الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

جهود الإمام عبد القاهر الجرجاني البلاغية ودورها في التأسيس لنظرية النظم

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

إعداد:
طلبة الفوج الأول
تخصص : لسانيات عامة

إشراف الأستاذ:
العربي طريلي

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	المؤسسة الأصلية
قويدر قيطون	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة حمه لخضر-الوادي-
العربي طريلي	أستاذ مساعد أ	مشرفا ومقررا	جامعة حمه لخضر-الوادي-
زيتونة مسعود علي	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة حمه لخضر-الوادي-

السنة الجامعية : (1441–1442 هـ / 2020–2021 م)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

جهود الإمام عبد القاهر الجرجاني البلاغية ودورها في التأسيس لنظرية النظم

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة و الأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

إعداد:
طلبة الفوج الأول
تخصص : لسانيات عامة

إشراف الأستاذ:
العربي طريلي

الأستاذ	الرتبة	الصفة	المؤسسة الأصلية
قويدرقيطون	أستاذ محاضرأ	رئيسا	جامعة حمه لخضر-الوادي-
العربي طريلي	أستاذ مساعد أ	مشرفا ومقررا	جامعة حمه لخضر-الوادي-
زيتونة مسعود علي	أستاذ محاضرأ	مناقشا	جامعة حمه لخضر-الوادي-

السنة الجامعية : (1441–1442 هـ / 2020–2021 م)

أعضاء الفوج الاول

1- الأعور أنفال	20- داودي انتصار
2- التجاني هاجرة	21- دقه إبتسام
3- العايز أسماء	22- دهانة مفيدة
4- بروكش جيهان	23- ذهبي محمد الأمين
5- بريم حنان	24- زكايره فيروز
6- بكاري هالة	25- سنوقة سليمة
7- بلخيري سميحة	26- سوفي رشدي
8- بلخيري فايزة	27- شريط فيروز
9- بلقاسم جهينة	28- صوادقية سعيدة
10- بلهادي مباركة	29- قشاب سليمه
11- بلهادي محمد علي	30- كهمان خديجه
12- بن ثامر نور الهدى	31- لكحل وئام
13- بن حامد رباب	32- مسعي محمد مسعودة
14- بن عتوس عائشة	33- ممي سهيلة
15- بوراس إناس	34- ميمون أمال
16- بوعفيان عائشة	35- نوري شعيب
17- حاوي نسيمة	36- نوري شهرازد
18- حميداتو أنفال	37- هويدي محمد رضا
19- خيشة حواء	38- يوسف الزهرة

قال تعالى:

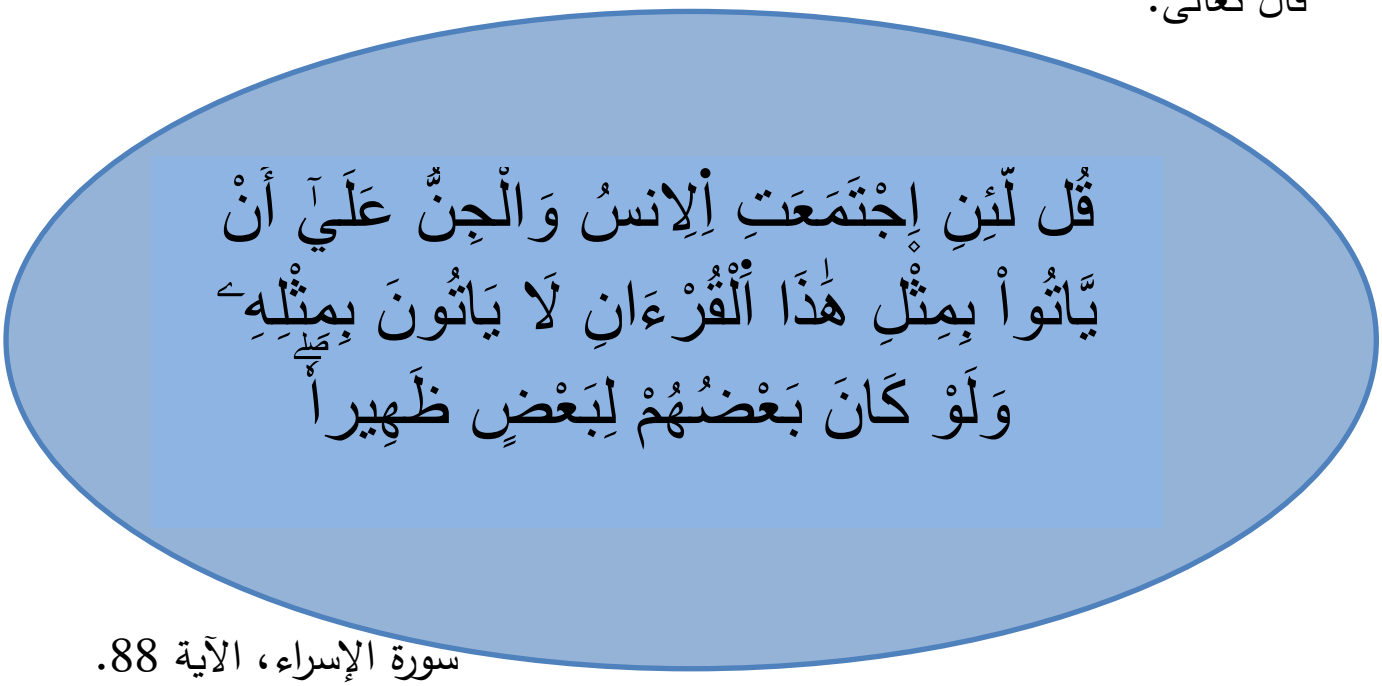

سورة الإسراء، الآية 88.

شكـــر وعرفـــان

قال النبي ﷺ: ﴿ لا يشكر الله من لا يشكر الناس﴾

دائما ما نجد حولنا لآلئ براقة لا يخفت بريقها لحظة من حولنا، نسعد بلمعانها، ونترقب إضاءتها في كل لحظة، وهذه اللآلئ تستحق منا الوقوف عندها والاعتراف بصنيعها:

أولا: إلى صاحب العلم الغزير، وصاحب القلب الكبير، وصاحب النفس الأبية، تعجز الحروف والكلمات أن تكتب ما في نفوسنا وقلوبنا من احترام وتقدير، أستاذنا المشرف إن للنجاح أناس يقدرونه، وللإبداع أناس يحصدونه؛ لذا نقدر جهودك المضنية، "أستاذنا الكريم": **شكرًا**.

ثانيا: إلى أسرة كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية، لكم منا أسمى آيات الحب والاحترام والتقدير، أصحاب هذه الفكرة: **شكرًا**.

ثالثا: إلى أساتذتنا الموقرين في لجنة المناقشة، يشرفنا أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير؛ لتفضلهم علينا بمناقشة هذه المذكرة، فأنتم خيرُ من تسد ثغراتها، لجنتنا الموقرة: **شكرًا**

رابعا: إلى كل عمال الصيانة والحراسة في كلية الآداب واللغات على وجه الخصوص عمال مكتبة الآداب: **شكراً**.

الإهـــــــــــداء

الحمـــــــــــد لله الـــــــذي بعزّتـــــــه وجلالـــــــه تـــــــتم الصـــــــالحات

قال تعالى: ﴿ ووصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوالِدَيْهِ إحْسَانَا﴾

إلى من أوصى بهما جلّ وعلا: الوالدين الكريمين.

الأم التي ربتنا في صغرنا، وعلمتنا وأحاطتنا بحنانها، والتي نجدها دائما وأبدا في أزماتنا، إلى الإنسانة الأغلى "أمي": **نهدي هذا العمل إليك.**

إلى مربينا ومرشدنا وقدوتنا في الحياة، إلى الأب الذي علمنا أن للنجاح قيمة، وأن للتفاني والإخلاص ثمرة، "أبي": **نهدي هذا العمل إليك.**

إلى كل زوج كان المعين في الحياة، وإلى كل زوجة قاسمت زوجها أعباء الحياة: **نهدي هذا العمل إليكم.**

إلى كل الأصدقاء والزملاء الذين وقفوا معنا في الشدة والرخاء: **نهدي هذا العمل إليكم.**

إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا، وإلى كل من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره، لينير دربنا إلى الأساتذة الكرام : **نهدي هذا العمل إليكم.**

مقـــــدمـــة

مقدمـــــــــــــة:

نحمدك يا من شواهد آياته غنية عن الشرح والبيان، ودلائل توحيده متلوة بكل لسان، صل وسلم على رسولك المصطفى محمد ﷺ، المؤيد بقواطع الحجج والبرهان، أما بعد:

فلقد عُنيَ العرب الأُوَل بدراسة الفنون اللغوية المختلفة إيمانا منهم بضرورة ذلك؛ لأنه لا كلام على الإنشاء والأدب والنقد دون حصول الوسيلة المؤدية إلى تلك الغاية، فكان لزامًا على المنشئ والأديب والناقد التمكّن من العلوم اللغّوية، ومعلوم أن أشرف تلك العلوم النحو والصرف ثم البلاغة. فهاته الأخيرة حصل لها مزيد عناية، وأفردت ببحوث قيمة لاعتنائها بالألفاظ والمعاني، والتراكيب والدلالات.

لا شك أنَّ البلاغة ذات أهميّة بالغة في الكشف عن الجمالية المضمّنة في كلام الله جلّ وعلا–وحديث النبي ﷺ، وسائر النصوص شعرها ونثرها، كما أنها كفيلة بإظهار أسباب الفروق والتمايز بين الأساليب المختلفة، والعلم الذي هذا شأنه حُقّ للدارسين أن يعتنوا به ويحفلوا.

ولم تعدَمْ البلاغة العربية رِجالاً من قِدم، بَلْ إنهم وِجدُوا وقد حملوا على عاتقهم النهوض بهذا العلم الدقيق فَحصَل لهم ما أمّلوا، ولقد جادت قرائح كثير منهم أظهر نتاجها حبر قد سال، فكتَابَات الجاحظ مثلاً–كانت تنبئ بتغير وتطوّر في هذا الفنّ يمسّ المصطلح ابتداءً والتنظير ثم التأسيس انتهاء.

ولا يتمارى اثنان في كون الجاحظ (255هـ) قد قفز بهذا العلم، حيث طرق فيه أبوابًا ليس من السهل فتحها لقليل خبرة وتمرس في هذا المجال، ومن أهم القضايا التي أتى عليها هو والبلاغيون من قبله قضية اللفظ والمعنى، هاته القضية التي أُسيل حولها حبر كثير كانت أحد أهمّ الأسباب التي غيرت مجرى الدرس البلاغي العربي، وإذا كانت البدايَات برزت

عند الجاحظ – وهو من أعيان القرن الثالث الهجري– فإن الغايات تحقّقت وحصلت عند الإمام عبد القاهر الجرجاني (471هـ/474هـ)، والذي استثمر جهوده ومَن سبقه في التأسيس لنظرية النظم، وقد شغل بها الناس لردْح غير قليل من الزمن.

مبررات اختيار الموضوع: وقد وقع اختيارنا على هذه الدراسة من بين عدّة موضوعات وجهت إلينا من طرف إدارة قسم اللغة والأدب العربي، ومع ذلك لم يكن اختيارنا لها، من باب الصدفة، أو وليد اللحظة، وإنما كان من اهتمام سابق لنا مفاده التعرف على جوهر نظرية النظم، لما كان لها من أصداء في مجال الأدب، وبناءً على هذه المعطيات يمكن أن نذكر بعض المبررات على سبيل المثال لا الحصر، وهي:

- الوقوف على الأصول والإرهاصات الأولى لنشأة هذا العلم.
- إبراز جهود وإسهامات علمائنا المتقدمين في المجال اللغوي والبلاغي.
- يعد الدرس البلاغي مجالا خصبا للدراسة والتحليل.
- التعرف على صاحب الإنجاز الفريد" الإمام عبد القاهر الجرجاني" وعلى نظريته.

الإشكاليـــــة: تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة الآتية:

–ما مدى نجاح الجرجاني في الإقناع بنظرية النظم التي شغل بها الناس؟

–هل نجح الجرجاني في التطبيق كما نجح في التنظير؟

–ما الشيء الذي امتلكه الجرجاني ولم يكن عند غيره من العلماء؟

–ما قيمة نظرية النظم بين بقية النظريات؟

–ما الشيء الذي أضافه من جاء بعد الجرجاني للنهوض بالدرس البلاغي؟

خطة البحث: قسمنا بحثنا هذا إلى أربعة فصول، مذيلة بخاتمة، وفي **المدخل** ألقينا نظرة بسيطة على البلاغة عند بعض الأمم السابقة للعرب مثل: الهند، واليونان، والرومان، والفرس. أمّا فصول البحث فقد جاءت كالآتي:

الفصل الأول: وقفنا فيه على ترجمة مختصرة للإمام "عبد القاهر الجرجاني"، تناولنا فيها: حياته، وعلمه، وتعلمه، وبعض أعماله وتآليفه اللغوية والبلاغية، ذاكرين في نهاية الفصل أبرز الأقوال التي قيلت فيه منتهين بظروف وفاته.

الفصل الثاني: بحثنا فيه البلاغة العربية قبل الإمام "عبد القاهر الجرجاني"، فتضمن الفصل: التعريفات وحدود المصطلح في اللغة والاصطلاح، ثم الأسباب والبواعث التي أدت إلى نشأة البلاغة العربية، فكان التركيز منصبا في هذا الفصل على مباحث وقضايا علم البلاغة، وعلى أبرز التآليف البلاغية المتخصصة وغير المتخصصة.

الفصل الثالث: تمحور هذا الفصل حول البلاغة العربية في عصر الإمام " عبد القاهر الجرجاني" فوقفنا فيه: على أصول فكرة النظم مرفقة بتوطئة لظهور هذه النظرية، ثم تعرضنا بعد ذلك لدواعي ظهورها، فرصدنا من خلال هذا التتبع أبرز نقاط التحول في الدرس البلاغي العربي، وأرفقناها بتطبيقات في نهاية هذا الفصل لتدعيم موقف صاحب النظرية وإنصافه من جهة، ومن جهة أخرى الوقوف على مدى نجاعة هذه النظرية في المجال التطبيقي.

الفصل الرابع: جاء هذا الفصل مكملا للفصل الذي قبله، فقد كان لزاما علينا أن نتبين ونُبيّن الأثر الذي خلفه" الجرجاني" من خلال هذه النظرية، فتضمن الفصل: صدى هذه النظرية وأثرها في التآليف اللاحقة، كما تطرقنا لمدى خصوبة هذه النظرية وفعاليتها في اتصال النقد باللغة، فحسمنا الجدل القائم حول الحقل أو المجال الذي ينتمي إليه هذا المصطلح، ووضحنا الخطوط الواصلة بين اللغة والنقد في ظلال هذه النظرية.

وككل عمل أدبي أو فني يطمح للتفرد والتميز ومزيدا من التطور، لابد من الوقوف على ما له وما عليه، وذلك بغية تدعيم المميزات، ومحاولة معرفة النقائص التي من الممكن أن تكون قد وقعت فيها هذه النظرية وصاحبها إن صح فيها قول نقائص، ولذلك خصص ختام هذا الفصل لوضع نظرية النظم في ميزان النقد.

وقد ختمنا هذا المشروع بحوصلة لأهم النقاط التي استخلصناها من هذه المباحث، ولم ننس أن نرفق البحث بملحق لبناة هذه النظرية.

منهج الدراســـة: وقد فرضت طبيعة الموضوع المتعلقة بإبراز جهود الإمام عبد القاهر الجرجاني البلاغية ودورها في التأسيس لدرس بلاغي جديد أن نقارب هذه الدراسة مقاربة وصفية تحليلية كونها الأنسب لمثل هذه البحوث التي تتطلب وصف الظاهرة وتفسيرها، كما استوجبت القراءة التاريخية للدرس البلاغي الاستعانة بالمنهج التاريخي.

الدراسات السابقة: أما عن الدراسات السابقة التي عنيت بهذا الموضوع فهي متعددة ومختلفة باختلاف زاوية الدراسة التي نظر منها كل باحث، كما أن دراستنا هذه قاربت كثيرا من الدراسات السابقة، وهذه الدراسات كانت هي العون في فهم هذه النظرية، ونكتفي بذكر بعضها :

-مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز للإمام "عبد القاهر الجرجاني" للطالبة ثقبايث حامدة، جامعة ميلود معمري تيزي وزو- الجزائر، 2012/7/1.

-بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية، الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز، للشيخ "عبد القاهر الجرجاني"، إعداد الطالبة: نجاح أحمد عبد الكريم الظهار، جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية، 1408هـ-1988م.

-بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في التفسير بعنوان: الشواهد القرآنية في كتاب دلائل الإعجاز، "لعبد القاهر الجرجاني"، إعداد الطالبة: رحاب صالح الطاهر عبد الرحمان، قسم الدراسات الإسلامية ، كلية الآداب، جامعة الخرطوم ،سبتمبر 2005م.

أهم المصادر والمراجع: ومن أهم المراجع التي اعتمدناها في هذه الدراسة نذكر:

- كتاب دلائل الإعجاز "لعبد القاهر الجرجاني" تح: محمود محمد شاكر.
- كتاب أسرار البلاغة "لعبد القاهر الجرجاني" تح: محمود محمد شاكر.
- كتاب تفسير الكشاف :للزمخشري"، تح:خليل مأمون شيحا.
- كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، لفخر الدين الرازي، تح: نصر الله حاجي مفتي أوغلى.
- كتاب النقد المنهجي عند العرب، لمحمد مندور.

أهمية الدراسة: تظهر أهمية هذه الدراسة في تبيان الدور الذي قام به هذا العالم الجليل الإمام "عبد القاهر الجرجاني" في تطور الدرس البلاغي، حيث تظهر عبقرية الرجل في هذا المجال بشكل منقطع النظير، كما تكمن أهميتها في تتبع السبل التي انتهجها في تبيان العامل الأساس في إعجاز القرآن الكريم، ومن ثمه تعميم ذلك على مختلف النصوص بجعل النظم معيارًا حقيقيا في تمايز النصوص، وكاشفا للجمالية.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على:

- إبراز الجهود التي قدمها عبد القاهر في تطور علم البلاغة.
- بيان مكانة الجرجاني بين علماء البلاغة.
- بيان نقاط التحول في الدرس البلاغي في عصر الجرجاني.
- إثبات أن النظم نظرية عربية خالصة.

أبـرز المعيقـات: ولعلّ أبـرز العوائـق التـي واجهتنـا فـي إنجـاز مشروعنا البحثي هذا، قلـة الخبـرة التـي وقفت عائقًا وحـائلًا كبيـرًا بيننـا وبـين إنجـاز هذه الدراسـة، وأيضـا صـعوبة هذه النظرية وكثرة مباحثها وقضاياها، وأسلوب الجرجاني نفسه الذي يتسم بالغموض في بعض الأحيان، ويضاف إلى ذلك كثرة المراجع والدراسات التي تناولت هذا الموضوع، الأمر الذي أربكنا وأدخلنا في حيرة أيَّ هذه المراجع نعتمد؟ ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بكرم وسعة صدر الأستاذ المشرف تمكنا في تجاوز هذه المعيقات.

وأخيرا لا يزعم أي فرد منا بأنه قد وصل لدرجة الكمال، ولكن الأمر الذي نؤكده أننا بذلنا جهدا كبيرا في إتمام هذه الدراسة، فإن أفدنا فمن فضل الله سبحانه وتعالى علينا، وإن أخفقنا فنرجو المعذرة لقلة الخبرة، كما من واجبنا أن نقف وقفة احترام و إجلال وتقدير للمشرف على هذه المذكرة، الأستاذ الكريم " العربي طريلي" فكلمة الشكر قليلة، فلو شكرناه دهرا بكامله لن نوفيه حقه، فلك منا أسمى عبارات الشكر.

المدخل: البلاغة عند الأمم السابقة للعرب

- عند الهنـود
- عند اليونـان
- عند الرومان
- عند الفرس

علم البلاغة من العلوم الضاربة جذورها في القدم، حيث أدركت كثير من الأمم ضرورته في أداء المعنى، فصاغوه في صورة قواعد تُتّبع للوصول إلى أداء المعنى بشكل صحيح، ومن أقدم الأمم التي كان لها جهد مذكور قد سبق في هذا المجال نجد: الهنود واليونان والرومان.

أولا: البلاغة عند الهنود

إن ظهور الدرس اللغوي ليس جديد العهد، فهو يعود في تاريخ نشأته إلى قرون قبل الميلاد، وتتفق جل آراء الباحثين اللغويين على أنه أول ما بدأ عند الهنود، في القرن الخامس قبل الميلاد، على يد بعض اللغويين الهنود وعلى رأسهم إمام النحويين "بانيني" .

لقد مزج الهنود العلم بالخرافة، وقرنوا الواقع بالخيال، واعتمدوا إلى حد كبير في شرحهم لأدق حقائق العلم الجافة على الأساطير.[1] ولن نقف طويلا أمام الجانب الخرافي أو الأسطوري في أبحاثهم اللغوية، وإنّما سنكتفي بالإشارة السريعة إلى بعض الأمثلة:

1-كان الكثير من الهنود يعتقدون أن لغتهم الأساسية قد خلقها الإله لاستعمال الناس، بل ويعتقدون أنها اللغة المستعملة بين الآلهة، وأطلقوا عليها وصف الوجود بدون سبب وبدون سبق علم.

2-من الواضح أن الهنود عالجوا مشكلة العلاقة بين اللفظ ومعناه من جوانبها اللاهوتية والروحية والنحوية والفلسفية جميعا [2].

توجد أكثر من أسطورة تتحدث عن تلقي عدد من العلماء قواعد عن الإله فنجد: [3]

أ-هناك أسطورة عن عالم برهمي اسمه**indradbruva** يقال إنه تلقى النحو عن طريق الوحي.

---

[1] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، دار الثقافة بيروت- لبنان، (د ط)، 1972، ص13.

[2] المرجع نفسه، ص14، نقلا عن: chakravrarti: the linguistic speculations333 ،ص20

[3] نفسه، الصفحة نفسها.

ب–وهناك قصة خرافية تحكي وقوع خلاف بين "بانيني" وأستاذه، ثم طرده "لبانيني" وذهاب الأخير.

إلى "الهملايا" حزينا لعدم إشباع رغبته في العلم.

ظهرت السنسكريتية التي هي أساس أداة الأدب "الفيدا" الكتاب المقدس لديانة الهنود واعتقادهم أن لغتهم لغة مقدّسة وأن الإله قد خلقها لاستعمال الناس. لاحظ بعض الباحثين أن الكلمات التي تحمل أكثر من معنى موجودة بكثرة في السنسكريتية حتى إن الكلمة الواحدة قد تفيد أكثر من اثني عشر معنى[1].

نضيف إلى ما ذكرناه الآراء الصوتية المأثورة عن الهنود، وأن النحو الهندي عامة قد أفاد الدراسة اللغوية الحديثة أيّما فائدة. ومعرفتنا بالسنسكريتية لا تعدو القرن الثامن عشر ميلادي، عندما كشف عنها "سير وليم جونز".[2] الإنجليزي، وقد كان الكشف عن السنسكريتية حدثًا خطير الشأن في تطور الدراسات اللغوية من وجوه كثيرة.

لقد حاول النحو الهندي أن يدرس اللغة السنسكريتية دراسة وصفية في ذاتها ومن أجل ذاتها، ومن هنا كان توفيقه الكبير.[3]

أما بخصوص البلاغة الهندية وما كان لها من حظ بين الأمم الأخرى، لعلّ أوضح صورة يمكن أن تقربنا وتكشف لنا عن بعض وجوهها، ما أورده "الجاحظ" في كتابه "البيان والتبيين" حيث حكى الجاحظ " أن معمرًا أبا الأشعب قال: قلت لبهلة الهندي أيام اجتلَب يحيى بن خالد أطباء الهند: ما البلاغة عند الهند؟ قال بهلة: عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة لا أُحسِن ترجمّتها لك، ولم أعالج هذه الصناعة فأثق من نفسي بالقيام بخصائصها، وتلخيص لطائف معانيها. قال أبو الأشعب فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة، فإذا فيها:" أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخَير اللفظ،

[1] المرجع السابق، ص15.

[2] محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص92.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لا يكلم سيد الأَمَةِ بكلام الأَمَةِ، ولا الملوك بكلام السُوقة. ويكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كلّ التدقيق، ولا ينقّح الألفاظ كلّ التنقيح، ولا يصفِّيها كل التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيمًا أو فيلسوفًا عظيمًا".[1]

ومن هذه الترجمة التي وجدها "معمر أبو الأشعب" أن البلاغة لا تخرج عن كونها ما يعرف عندنا نحن العرب بمراعاة مقتضى الحال.

ثانيا: البلاغة عند اليونان

إن الكلام عن اليونان ليسوقنا نحو حضارة اغريقية قديمة تربعت على عرش أوروبا قبل الميلاد، وكل الحضارات البشرية المختلفة كان العلم العامل الأساسي فيها، وما تخلف اليونانيون عن الركب الحضاري في ذلك، فقد ظهرت عندهم فنون ومعارف مختلفة تترجم وعي تلك الأمة. ولقد كانت لهم عناية بالبلاغة وأساليب الكلام المختلفة، خاصة عند منظريهم الأوائل على غرار "أفلاطون" و"سقراط" و"أرسطو". وقد ارتبطت البلاغة عندهم بقضايا الملكية لتصير تقنية يختص بها المحامون ورجال السياسة...وظهرت علوم البلاغة عند قدماء اليونان والرومان بوصفها مجموعة قواعد مساعدة على جعل الكلام قادراً على إقناع سامعه لذلك اقترنت عندهم بعلم الخطابة.[2]

1-عند أفلاطون غورغياس (348 ـ 428 ق م): ارتبطت الخطابة عند اليونانيين بدراسة وجوه الكلام، وكما سبق لنا الذكر أن الخطابة أيضا عندهم ارتبطت بفن الإقناع، خصوصا عند السوفسطائيين الذين اتخذوا منها فنا للتمويه والمغالطة والتأثير على العواطف من أجل تحقيق مآرب سلطوية، دون مراعاة أو اهتمام منهم بما هو حق و ما هو باطل، مادام يخدم أهدافهم ومصالحهم المتمثلة في التأثير وتشكيل الرأي العام، الأمر الذي لم يعجب العديد من

[1] أحمد أمين، ضحى الاسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة-مصر،(دط)، 2012م، ص228.

[2] محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد-المصطلح والنشأة والتجديد- الانتشار العربي، بيروت-لبنان، ط1، 2006م، ص22.

الفلاسفة على رأسهم أفلاطون، وسقراط، وأرسطو، فتصدّوا للرَّد عليهم، فوجدنا "محمد غنيمي هلال" تعرض لهذا الموضوع في كتابه "النقد العربي الحديث" الذي تطرق فيه لرؤية أفلاطون لهذا الأمر فقال:" والخطابة عند "أفلاطون" لها نفس المعنى الذي كان شائعا في عصره وقبل عصره. وهو دراسة وجوه الكلام وكيفية تأثيره. وقد كانت بذلك ذات صبغة عملية منذ وجدت عند اليونان حول نهاية القرن الخامس قبل الميلاد. وكان السوفسطائيون يلقنون فيها كيف يستطيع المرء إيهام القضاة في المحاكم، ونواب الشعب في المجتمعات السياسية، وكذلك الجماهير، مما يرون إيهامهم به من آراء وقضايا عامة. ولا يرى "أفلاطون" رأيهم في اتخاذ الخطابة وسيلة للإيهام. يقول "أفلاطون" على لسان "سقراط" في محاوره "فيدروس" : "ليس فن الجدال في الآراء مقصورا على دور المحاكم والمجتمعات السياسية، ولكن من الواضح أنَّا إذا عددناه فنا من الفنون بعامة، فإنه يكون هو في جميع أنواع الكلام، أي يكون هو الفن الذي يستطيع المرء أن ينتج تشابها بين كل الأشياء التي يمكن أن ينتج بينها ذلك التشابه. وقد سبق أن ذكرنا أن موضوع محاورة "فيدروس" هو الاهتداء إلى الفضيلة عن طريق المعارف الروحية الباقية في النفس من عالمها الأعلى. وهذه الفضيلة نوع من المعرفة تهتدي إليها الروح. والفضيلة والمعرفة شيء واحد كما هو الشأن عند" سقراط ". ويترتب على ذلك أن تكون الخطابة الصحيحة **(أو فن الكلام)** عند "أفلاطون" ليست هي محاولة التغرير بالناس أو القضاة. بل هي طريق الوصول إلى المعرفة أو تشخيص هذه المعرفة. وبذا تكون الخطابة نوعا من الفلسفة الملهمة".[1]

لقد وقف "أفلاطون" ضد هذا التيار(السوفسطائي)؛ لأنه اتجاه بنى أسسه على مفاهيم خاطئة، تتبنى أفكارا ضد نظريته عن المُثُل والفضيلة، "فأفلاطون" يشترط في الخطابة أن تكون ذات هدف وغاية نبيلة، بحيث تصبح السبيل الذي يوصلنا إلى الحقيقة، فالخطابة

[1] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، (د ط)، أكتوبر1990م، ص35.

الصحيحة ليست محاولة لإيهام الناس وإبعادهم عن المعرفة والحقيقة، وإنما هي وسيلة للوصول إلى المعرفة وتشخيصها وهكذا ربط الخطابة بالفلسفة.

ولم يتوقف "أفلاطون" عند هذا الحدَّ، بل استرسل في الحديث عن فن الخطابة وذلك من خلال حديثه عن تنظيم أجزاء الخطابة في إجمال، فيقول على لسان "سقراط" يخاطب ((فيدروس)):" أحسب أنك توافقني على أن كل خطاب يجب أن يكون منظما مثل الكائن الحي، ذا جسم خاص به كما هو، فلا يكون مبتور الرأس أو القدم، ولكنه في جسده وأعضائه مؤلف بحيث تتحقق الصلة بين كل عضو وآخر ثم بين الأعضاء جميعا".[1]

أكد "أفلاطون" عند تطرقه للصورة الصحيحة التي يجب أن تكون عليها الخطابة، على حتمية وجود تسلسل طبيعي وضروري للفكر الذي يتشكل من خلاله العمل الفني، ويمنحه نوعا من الوحدة العضوية، على اعتبار أن الخطاب الجيد يستلزم خطة مترابطة الأجزاء تتحكم في بناء كل العمل الفني، مؤكدا على ضرورة الانتباه للجانب النفسي في ما يخص الخطابة والخطيب في الوقت نفسه، مشبّها في ذلك الخطيب بالطبيب الذي يكون ملزمًا بمراعاة طبيعة أجساد مرضاه، فالخطيب أيضا يكون ملزما بمراعاة نفوس وطبائع مستمعيه، وأيضا يتحين الوقت المناسب لتوجيه الخطاب.[2]

2-عند سقراط (470 ـ 399 ق. م): أما الفيلسوف الثاني وهو "سقراط" الذي كانت تجمعه مع السوفسطائيين علاقة مدّ وجزر، فتراه في كثير من الأحيان يقف في وجههم وفي أحيان أخرى كثيرة يقفون هم في وجهه، كما كان له هو الآخر رؤيته الخاصة في فن الخطابة، وقد ذكر" إبراهيم سلامة" في كتابه "بلاغة "أرسطو" بين العرب واليونان" وجهة نظر سقراط في هذا الفن فقال: "ليست الخطابة في نظر "سقراط" علما ولكنها عادة ومرانة، لأن فكرة الخطابة

[1] المرجع السابق، ص37.

[2] ينظر: عبد المعطي شعراوي، النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، (دط)، 1999م، ص115-116.

وقواعدها لا تجد سببها في الطبيعة (أي في العلم الذي تقره الطبيعة وتصدقه) فنتيجة الخطابة هي الوصول إلى الغرض الفردي الذي يلزم به الخطيب الجماعة، ولا يمكن في كل الأحوال أن نرجع هذا الغرض إلى سببه وأصله، فالخطابة خارجة عن الحقيقة ولا يمكن تصديقها دائما عن طريق الحقيقة، وإذن يضع" سقراط" للخطابة خطتين هما:[1]

أ-**الخطة الجدلية:** إن الخطابة لابد لها من أمرين التركيب والتحليل فالتركيب من شأنه أن يجمع النواحي المتفرقة في فكرة واحدة حتى يمكن تحديد الكلام، أما التحليل فعلى العكس يرد فكرة الجملة إلى الآراء الحزبية التي تتألف منها مع مراعاة عدم التضارب بينها.

ب-**الخطة النفسية:** ولا يقتصر الأمر على دراسة النفسية المتعلقة بالسامعين بل يستدعي الأمر دراسة الخطيب نفسه متى يحسن أن يتكلم ومتى يحسن أن يسكت.

والمتمعن في هذا الاقتباس سيلاحظ أن "سقراط" لا يعتبر الخطابة طريقا للوصول للحقيقة، كما أنه لا يعتبرها علما بل هي في نظره عادة وميران، يشترط فيها فكرة التركيب والتحليل، كما أنه يضيف إلى ما قاله "أفلاطون" في فكرة مراعاة الخطيب لأحوال السامعين النفسية، الوقوف على الخطيب نفسه، وذلك من خلال دراسة متى يكون من الجيد له الكلام ومتى يكون من الجيد له السكوت.

3-عند أرسطو (384 ـ 322 ق ـ م): إن الخطابة عند "أرسطو" أخذت منحى مغايرا عما كانت عليه من قبل، "فأرسطو" في البداية أراد التأكيد على أنها فن من الفنون، كما أنها جزء لا يتجزأ من منظومة فلسفية شاملة، وفي هذه النقطة اختلف مع أستاذه "أفلاطون" الذي لم يعتبر الخطابة فنّا من الفنون، وهذا الأمر أكده عبد المعطي شعراوي في كتابه "النقد الأدبي عند الإغريق والرومان إذ قال: " تتركز نظرية "أرسطو" في مقال الخطابة في أنه مهتم بالدرجة الأولى لإثبات أن الخطابة فن من الفنون وأنها جزء مترابط في منظومة

[1] إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 1، 1369هـ- 1950م، ص26-27.

فلسفية شاملة. لقد رفض أفلاطون –كما ذكرنا من قبل–الاعتراف بالخطابة كفن من الفنون بل وصف فن الجدل أو فن الحوار بأنه "قمة العلوم" لكننا نجد "أرسطو" في مطلع مقال الخطابة يتحدى "أفلاطون" في هذه النقطة. إن الخطابة في رأي "أرسطو" هي فن نظير أو شقيق للجدل. كلاهما فرعان لفن الاستنتاج المحتمل بصفة عامة. كما يرى أن مهمة الخطيب هي نفس المهمة العادية للفن. هكذا يرى "أرسطو" كل الناس يمارسون فن الخطابة إما بموهبة طبيعية أو بمهارة مكتسبة بالمران. في ضوء هذه الحقائق كان من الممكن أن نسأل عن الأسباب التي تؤدي إلى النجاح أو الفشل، وهو ما وصفه "أرسطو" بأنه الهدف الخاص للفن. ومن هنا جاء وصف "أرسطو" للهدف من الخطابة، على أنه اكتشاف كل الوسائل الممكنة للاقتناع وليس الإقناع نفسه.[1]

إذن رؤية "أرسطو" اختلفت عن سابقيه في نظرتهم إلى الخطابة والغاية منها، على اعتبار أنها وسيلة للإقناع كما هو الأمر مع التيار السوفسطائي، ولكنه يرى أن الهدف من الخطابة هو اكتشاف كل الوسائل الممكنة للإقناع، وهذا ما أكده "محمد غنيمي هلال" إذ يقول:" وقصد "أرسطو" من تأليفه في الخطابة إلى غاية خلقية فنية فأراد أن يعين على إقرار الحق والعدل بتزويده الخطباء بوسائل البراهين الصحيحة. فلم يفته التنبيه إلى أولئك المغالطين الذين يتخذون الخطابة وسيلة للتعمية والتمويه، فكشف عن وسائل المغالطة في الحجة ليلتفت إليها الخطباء والسامعين سواء، فخير للخطيب أن يكون قادرا على الإقناع بما يضاد قضيته الصادقة... وقد أقام "أرسطو" البلاغة على البرهان وكان للمنطق شأن كبير في معالجته لمسائلها... ولذلك خالف "أرسطو" كل من سبقوه في الحديث عن الخطابة، فبين أنواعها وأسسها الفنية، وصلتها بالمنطق. ويعرف "أرسطو" الخطابة بأنها: "القدرة على الكشف نظريا في كل حالة من الحالات عند وسائل الإقناع الخاصة بتلك الحالة وقد

[1] عبد المعطي شعراوي، النقد الأدبي عند الإغريق والرمان، ص163–164.

يستطيع الإقناع بالحق أو الباطل فالخطابة كالمنطق. تستخدم للبرهنة على النقيضين وذلك باشتراكهما في طرق التقرير والبرهنة والتنفيذ".[1]

وقد قسم أرسطو البلاغة إلى ثلاثة أنواع:

أ. **الخطابة التداولية:** وهي التي يراد بها إقناع السامعين بتفضيل منهج على غيره في العمل أو الرأي.

ب. **الخطابة القضائية:** التي تشمل وسائل الاتهام والدفاع أمام القضاء.

ج. **الخطابة البيانية:** هي تلك التي تشمل التقريظ والتقريع.[2]

قدم "أرسطو" مفهوما جديدا للخطابة مخالفا تماما لسابقيه، كشف فيه أساليب التمويه والمغالطة التي استخدمها السوفسطائيون للتأثير على الرأي العام، كما أنه خالف أستاذه "أفلاطون" في نظرته للخطابة، ويكمن القول إن "أرسطو" قد قفز بالخطابة قفزة نوعية، فقد أراد منها أن تكون وسيلة لإقرار الحق والعدالة في المجتمع.

ثالثا: البلاغة عند الرومان

نشأ الأدب الروماني في أحضان الأدب الإغريقي، وتأثر به أشد التأثر، ولذلك عانى هذا الأخير من تبعية ثقافية وأدبية لفترة ليست بقصيرة، ولكن بفضل تظافر جهود علماء الرومان وأدبائهم تمكنوا أخيرًا من الانسلاخ عن هذه السيطرة الإغريقية، فظهر ذلك بشكل واضح في تلك الإنجازات والأعمال الأدبية المتنوعة في مختلف المجالات والفنون الإبداعية، شعرا كان أو نثرا، والأمر الذي يعنينا في هذا المقام هو فن الخطابة.

وقبل التطرق إلى هذا الفن لابد لنا من تسليط الضوء على روما كنظام عسكري تمكن من فرض نفسه في رحاب هذا العالم الواسع، حيث تمكنت روما في فترة زمنية قصيرة، من التحول من مجرد قرية صغيرة في سهل "اللاتيوم" إلى إمبراطورية كبيرة، هذه الأخيرة فرضت

[1] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص94-95.

[2] المرجع نفسه ، ص24.

سيطرتها على كل شعوب البحر الأبيض المتوسط، ولم تكتف بذلك إنما تمكنت من فرض نظامها السياسي وقوانينها ونمط معيشتها وثقافتها بما فيها لغتها اللاتينية، ومع اجتماع كل هذه المعطيات برزت حركة فكرية واسعة، كان تمركزها الأول في روما ومحيطها وما لبثت أن تحولت إلى المقاطعات الأخرى، هذه الحركة كان لها دور كبير في تنوع وتطور النشاط الأدبي والثقافي الروماني، وعلى الرغم من أنها في بادئ الأمر كانت مقلدة إلى درجة كبيرة كافة أساليب التعبير الذي تميّز به الأدب اليوناني، لكن سرعان ما تحرروا من تأثيرات الحضارة اليونانية، فاعتمدوا على أنفسهم في تطور ونضوج الأدب اللاتيني، ومن بين هذه الآداب والفنون نقف على فن الخطابة.[1]

ارتبط هذا الفن على وجه الخصوص بالسياسة، خاصة في القرن الثاني قبل الميلاد، حيث سعى كل شخص حاول الدخول إلى هذا المجال إلى كسب أصوات الشعب، وقد شهد مجلس الشيوخ نقاشات شملت كل المواضيع التي يمكن أن نعدّها ضمن هذا الفن، يضاف إليها تلك المحاكمات التي شهدتها روما، فاعتبرت فنا رومانيا وطنيا، سعى خلفه العديد من السياسيين والمحامين بغية التأثير على شعب روما.[2]

وقد مرَّ فن الخطابة الروماني بثلاث مراحل أساسية، شأنه في ذلك شأن الأدب الروماني بصفة عامة، فارتبطت المرحلة الأولى بالتقليد والاقتباس للفن الإغريقي، وتبعتها مرحلة ثانية عرفت بالمرحلة الكلاسيكية، وقد أطلق على هذه المرحلة أيضا العصر الذهبي، ثم تلتها مرحلة ثالثة وهي مرحلة الحكم الإمبراطوري واستمرت حتى سقوط روما، ولتوضيح الصورة أكثر وقفنا على أهم ما تميزت به كل مرحلة بشكل عام.

[1] ينظر: محمد الحبيب بشاري، الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها،مجلة عصور، مجلة علمية محكمة، علوم إنسانية تاريخ وحضارة، منشورات مخبر البحث التاريخي(مصادر وتراجم)، جامعة وهران–الجزائر، العدد:20، جانفي–جوان، 2013م، ص18.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 36.

المرحلة الأولى: امتدت هذه المرحلة من القرون الأولى لنشأة الدولة الرومانية إلى عهد الدكتاتور "صيلا"، فكانت هذه هي الخطوة الأولى للرومان ليتمرسوا فيها ويتعلموا هذا الفن، وأكثر ما ميَّز هذه المرحلة ذلك الصراع القائم بين طبقتي العامة والنبلاء. هذا الصراع خلَّف خطب كثيرة وذلك نتيجة محاولة كل طبقة كسب تأييد الشعب، وأشهر خطباء هذه المرحلة "أبيوس كلوديوس" و" تيبريوس جراكوس" و" كايوس جراكوس".[1]

المرحلة الثانية: أطلق الدارسون على هذه المرحلة مرحلة العصر الذهبي للأدب الروماني، وقد قسمت أيضا هذه المرحلة لفترتين؛ الأولى: عصر "شيشرون"، والثانية: عصر "أوغسطس"، فتميز العصر الأول بسيطرة تامة للنثر وعلى وجه الخصوص فن الخطابة، بينما تميز عصر الثاني بغلبة الشعر وتراجع كبير لفن النثر والخطابة معا، ولعل السبب في ذلك يعود لانهيار النظام الجمهوري الذي ترتب عليه غياب الحرية السياسية، وقيام النظام الإمبراطوري، وبالعودة للحديث عن فن الخطابة فقد عرفت هذه الفترة تطورا كبيرا، حيث أنجبت روما فيها أعظم خطبائها، والسبب في تطور وازدهار هذا الفن، يعود لتلك الصراعات التي شهدتها الساحة السياسية الرومانية، فكان "شيشرون" أبرز رجال هذه المرحلة، وقد عدّ أعظم خطيب في عصره، حتى أن مؤرخي الأدب اللاتيني أطلقوا على عصره عصر "شيشرون"، فالرجل لم يسطع نجمه فقط بخطبه المميزة، التي كانت النموذج المقتدى للعديد من الخطباء، بل تميز أيضا بنظرته الخاصة للخطيب، التي اختلفت تماما مع "أفلاطون" الذي أراد من الخطيب أن يكون فيلسوفا بالمعنى الأفلاطوني، بينما "شيشرون" أراد منه أن يكون على دراية بعلم الفلسفة والتاريخ والقانون وغيرها من العلوم حتى يكتسب القدرة على الخطابة الجيدة في الموضوعات الرفيعة، فمن وجهة نظره أن الموهبة والإلمام بقواعد

[1] ينظر: المرجع السابق، الصفحة السابقة.

الخطابة لا تعتبر كافية لتدريب الخطيب، ما لم يزكِّها بعلوم عدّة .[1]

المرحلة الثالثة: شملت هذه المرحلة العصر الإمبراطوري بأكمله إلى أن سقطت روما. ومن أشهر خطباء هذه المرحلة الإفريقي" فرانتون" ابن مدينة "كيرتا"، فبفضل تكوينه ومواهبه أصبح عضوا في مجلس الشيوخ في عهد الإمبراطور" هادر يانوس"، فكلفه هذا الأخير بتعليم ابنيه، كما يرجع له الفضل في إبداع ما يعرف بـ" الأسلوب الجديد"، وهو أسلوب يمازج فيه بين الأسلوب القديم والعامي.[2] كما أن هذه المرحلة شهدت صعودًا ونزولاً للأدب الروماني بصفة عامة، ولفن الخطابة على وجه الخصوص.

وعليه فقد ارتبط فن الخطابة ارتباطًا وثيقًا بمصير الإمبراطورية الرومانية، سواء كان ذلك في مرحلة التأسيس والبناء، وهذا ما لوحظ في المرحلة الأولى التي كانت مقلدة لحد كبير للأدب الإغريقي، أو في مرحلة الصعود والنضوج التي قفزت فيها الخطابة قفزة نوعية، فظهرت على إثرها مجموعة مبدعة وخلاقة من الخطباء حملوا على عاتقهم مسؤولية النهوض بهذا الفن، أو مع بداية الانحطاط الذي أصاب الإمبراطورية الرومانية فانعكس بشكل كبير على الفنون الأدبية عامة وعلى فن الخطابة بصفة خاصة.

رابعا: البلاغة عند الفرس

وعلى النقيض يبدو أن البلاغة عند الفرس لم تأخذ المنحى الذي أخذته عند اليونان، فاليونانيون أفردوا لهذه الأخيرة دراسات ومصنفات، مازالت ليومنا هذا مادة دسمة للتحليل والجدل. أما الفرس فلا نجد لهم سوى القليل من الدراسات المتناثرة في طيّات أمات الكتب، كما هو الحال مع ما سطره "الجاحظ"، فتراه يطرح رأيه في البلاغة عند بعض الأمم، حيث

[1] ينظر: علي عبد التواب علي، وصلاح رمضان السيد، الأدب اللاتيني في عصري الجمهورية وصدر الإمبراطورية، قراءة في الأجناس الأدبية، (د د)، (دط)، 2006م، ص197،223، وعبد المعطي شعراوي، النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، ص 253-254.

[2] ينظر: محمد الحبيب بشاري، الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها، ص36.

ينقل عنه شوقي ضيف في كتابه "البلاغة تطور وتاريخ" قوله: "ومن ذلك نرى أن الجاحظ يسوق تعريف البلاغة عند طائفة من تلك الأمم. فيقول: **قيل للفارسي: ما البلاغة؟** قال: أقسام الكلام، و**قيل للرومي: ما البلاغة؟** قال: حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة، و**قيل للهندي: ما البلاغة؟** قال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة."[1]

ويستفيض في شرح التعريف فيقول: **وعند الفرس:** إنما يشير إلى معرفة مقاطع الكلام وتمييز فقره وعباراته بعضها ببعض بحيث تتضح أماكن الوقوف وأماكن الوصل، ومازالت فكرته تدور عند أصحاب البلاغة حتى جعلوها فصلا خاصا في علم المعاني. وفي الصناعتين أن الكُتاب كانوا يعنون بمواضع الفصل وتبيينها في الكتابة، وأشار **اليوناني** إلى أهمية أخذ الألفاظ وتصحيح المعاني الخاصة ومن حيث التقسيم الدقيق في البديع ومحاسن الكلام. **أما الرومي:** فوقّف البديهة الحسنة وما يقترن بها من الكلمة المواتية الموجزة. كما وقّف غزارة الخطأ ووفرة معانيه وقدرته على حوك الكلام بينما **وقف الهندي** عند وضوح المعاني والإلقاء بالكلمة في لحظتها المناسبة، والكناية عن المعنى حيث يكون الإفصاح مركبا عسيراً.[2]

إن الخطابة في مهدها أخذت مسارات مختلفة في التراث البلاغي اليوناني، وقد وقعت في منزلقات خطيرة، حاول الفلاسفة المتقدمون إخراجها منها، كلٌّ حسب الزاوية التي نظر منها، فاختلفت بالضرورة المعالجة عند الفلاسفة، أما بخصوص البلاغة عند الفرس فلم تكن واضحة المعالم نظرا لكونها لم تأخذ من الدراسة والتمحيص ما أخذته البلاغة اليونانية، وهذا ليس إنقاصًا من شأن البلاغة الفارسية، ولكن من الممكن أنها لم تُتح لها الفرصة بما أتيح لها من المعطيات والمكانة التي نالها الأدب اليوناني بصفة عامة والبلاغة اليونانية بصفة خاصة، بينما ارتبطت كافة العلوم اللغوية وغير اللغوية عند الهنود بالظاهرة الدينية، فيما

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط9، 1995م، ص35-36.

[2] المرجع نفسه، ص36.

عُرفت الخطابة عند الرومان بارتباط مصيرها بمصير الإمبراطورية الرومانية، فشهد هذا الفن ازدهارا ونضوجا ثم شهد انحطاطا وركودا.

الفصل الأول: ترجمة مختصرة للإمام عبد القاهر الجرجاني

المبحث الأول: المولد والنشأة

المبحث الثاني: التعلم والتعليم

المبحث الثالث: التأليف اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني

المبحث الرابع: أقوال العلماء في الإمام عبد القاهر الجرجاني

المبحث الخامس: ظروف وفاة الإمام عبد القاهر الجرجاني

المبحث الأول: المولد والنشأة

جرجان هي المدينة المشهورة بين طبرستان وخراسان، قد نبغ فيها خلق من اللغويين والعلماء والفقهاء والمُحدّثين والأدباء وغيرهم من ذوي الاختصاصات المختلفة، هناك من ولد فيها ثم خرج إلى طلب العلم في مدن أخرى على غرار ما يفعله طلاب العلم في شتى البقاع والأسقاع، وهناك من بقي فيها وطلب العلم على أراضيها، ومن بين هؤلاء الشيخ النحوي الكبير عبد القاهر الجرجاني.

وهو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني السُّني الشافعي الذي عاش في القرن الخامس الهجري.

ولم نعثر لعبد القاهر رغم مكانته العلمية إلا على تراجم قصيرة، وهي تتفق في أنه كان عالما واسع الثقافة، وأنه كان متكلما على مذهب الأشعري، وأنه أخذ النحو على أبي الحسين محمد بن أخت أبي علي الفارسي المشهور، وبعضها يذكر أنه أخذ الأدب والنقد على القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني[1].

أما في كتاب سير أعلام النبلاء فنجد تعريفا آخر حيث يقول:

"هو الجرجاني شيخ العربية، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني. أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن حسن بن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي.

وصنف شرحا حافلا "للإيضاح"، يكون ثلاثين مجلدا، وله "إعجاز القرآن" ضخم، و"مختصر الإيضاح" ثلاثة أسفار، وكتاب "العوامل المئة" وكتاب "المفتاح" وفسر الفاتحة في مجلد، وله "العمدة في التصريف" و"الجمل" وغير ذلك، وكان شافعيًا، عالمًا، أشعريا، ذا نسك ودين، توفي سنة إحدى وسبعين وأربع مئة(471هـ)وقيل:سنة أربع وسبعين(474هـ)".[2]

[1] الرُّماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق وتعليق:محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر، ط3، 1976م، ص11.

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح:حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية في لبنان، (د ط)، 2004م، 2315/1.

"جُرجان: بالضم، وآخره نون، قال صاحب الزيج: طول جُرجان ثمانون درجة ونصف وربع، وعرضها ثمان وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة، في الإقليم الخامس، وروى بعضها أنها في الإقليم الرابع. وجُرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، فبعض يعدّها من هذه وبعض يعدها من هذه. وقيل: إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمُحدّثين، ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمي"[1].

وقال صاحب هدية العارفين:

"عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني أبو بكر الشافعي الأديب النحوي المتوفى سنة (474هـ)، من تصانيفه أسرار البلاغة، الإيجاز في مختصر الإيضاح في النحو، الجرجانية جمل النحو، درج الدرر في تفسير الآي والسور، دلائل الإعجاز في المعاني والبيان، شرح الفاتحة في مجلد، عمدة في التصريف، العوامل المائة في النحو، مختار الاختيار في فوائد معيار النظار في المعاني والبيان والبديع والموافي، المعتضد في شرح إعجاز القرآن للواسطي، المغني في شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، المقتصد في تلخيص المغني له"[2]. وقال اليافعي في موتى سنة (471هـ): "توفي الشيخ الإمام النحوي العلاّمة صاحب التصانيف المفيدة، عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني الشافعي. ومن تصانيفه (المغني في شرح الإيضاح) ثلاثون مجلّدا.

قلت وكلامه في علم المعاني والبيان يدلّ على جلالته وتحقيقه وديانته وتوفيقه. وقيل: إنه مات في أربع وسبعين (474هـ)"[3].

[1] ينظر: الحموي شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر –بيروت، 1397هـ–1977م، المجلد1، ص119.

[2] إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مؤسسة التاريخ العربي، (د ط)، (د ت)، ص606.

[3] اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط1، 1417هـ –1997م، 78/3.

أما في كتاب البلغة للفيروز آبادي نجده يعرفه على النحو التالي:

"هو النحوي الفارسي، إمام العربية والبيان، أول من دوّن علم المعاني، تخرج على أبي الحسين الوارث، ولم يقرأ على غيره، صنف في النحو والأدب كتبا مفيدة، منها "شرح الإيضاح" و"دلائل الإعجاز في المعاني" و " أسرار البلاغة " وغير ذلك. توفي سنة(471هـ) بجرجان"[1].

وقال الأنباري في النزهة:

"أبو بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي، فإنه كان من أكابر النحويين، أخذ عن أبي الحسين بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث، وكان يحكي عنه كثيرا؛ لأنه لم يَلْقَ شيخا مشهورا في علم العربية غيره، ولأنه لم يخرج عن جرجان في طلب العلم، وإنما طرأ عليه أبو الحسين فقرأ عليه، وأخذ عنه علي ابن أبي زيد الفصيحي. وصنف تصانيف كثيرة جيدة، منها: كتاب المغني في شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، وهو نحو من ثلاثين مجلدا، وكتاب المقتصد في شرح الإيضاح أيضا، نحو من ثلاثة مجلدات، وكتاب إعجاز القرآن، وكتاب العوامل، الجمل، وشرحها الموسوم بالتلخيص، إلى غير ذلك"[2].

ونجد أحمد أحمد بدوي يعرفه على النحو التالي:

"عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني لا ندري من أمر أسرته شيئا، سوى أنها أسرة فارسية، وأغلب الظن أنها كانت رقيقة الحال، لم تجد فضلة من المال تنفقها على ابنها؛ كي يستطيع أن ينتقل في البلاد يأخذ العلم عن أعلامه، فظل في مدينته لا يبرحها.

[1] الفيروز آبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تح: محمد المصري، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ -2000م، ص186.

[2] الأنباري أبو البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي مدينة نصر، القاهرة، (د ط)، 1418هـ-1998م، ص314.

ولم تعن الأسرة بتسجيل اليوم الذي ولد فيه طفلها؛ فظل هذا اليوم مجهولا لدى مؤرخيه. ويبدو أن الأسرة لم تكن لها أصالة في جاه؛ فلم يعرف التاريخ من سلسلة نسبه سوى جده محمد.

ولكن يظهر أن الطفل نشأ ولوعا بالعلم محبا للثقافة؛ فأقبل على الكتب يلتهمها. وبخاصة كتب النحو والأدب.

وأني أشك فيما رواه ياقوت من أنه قرأ على القاضي الجرجاني شيئا؛ لأن القاضي توفي سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة (392هـ)، فمتى يكون عبد القاهر قد أخذ عنه؟ وعبد القاهر قد توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة (471هـ)، فإذا كان قد أخذ عن القاضي الجرجاني، فلا بد أن يكون عبد القاهر الجرجاني ولد قبل وفاته بنحو خمسة عشر عاما على الأقل، حتى يستطيع أن يأخذ عن عالم واسع العلم كالقاضي، ومعنى ذلك أن عبد القاهر ولد حوالي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة (377هـ).

فيكون عند وفاته قد أربى على تسعين عاما ولم يشر أحد مؤرخيه إلى أنه طعن في السن إلى مثل هذا الحد".[1]

ومع هذا العلم الغزير، والإنتاج القيم، يبدو أن عبد القاهر كان مقترا عليه في الرزق، ولم يكن يعيش في حياة سعيدة يرضاها؛ ولسنا ندري مورد رزق عبد القاهر، ولعلّه هبات بعض الأثرياء الذين ألف لهم كتبه، ولكن ما خلفه لنا من شعر ينبض بالسخط على حظّ العلماء في هذه الحياة.[2]

وقال السيوطي في البغية:

"عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني النحوي. الإمام المشهور أبو بكر. أخذ النّحو

[1] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني و جهوده في البلاغة العربية، مكتبة مصر– القاهرة، (د ط)،(د ت)،ص5–7.
[2] المرجع نفسه، ص9.

عن ابن أخت الفارسي، ولم يأخذ عن غيره؛ لأنه لم يخرج عن بلده؛ وكان من كبار أئمة العربية والبيان، شافعيًّا، أشعريًّا. صنف المغني في شرح الإيضاح، المقتصد في شرحه، إعجاز القرآن الكبير والصغير، الجمل، العوامل المائة، العمدة في التصريف، وغير ذلك. مات سنة إحدى وسبعين (471هـ)، وقيل أربع وسبعين وأربعمائة (474هـ)".[1]

وقال صاحب كشف الظنون:

"الشيخ العلاّمة عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني المتوفى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة (471هـ)، كتب أولا شرحا مبسوطا في نحو ثلاثين مجلدا وسمّاه المغني ثم لخصه في مجلد وسمّاه المقتصد أوله أحمد الله عزت قدرته إلخ. وله مختصر الإيضاح المسمى بالإيجاز أوله الحمد لله الذي تظاهرت علينا آلاؤه... إلخ".[2]

أما في كتاب كارل بروكلمان نجده يعرفه على النحو التالي:

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، كان تلميذاً لعلي بن عبد العزيز الجرجاني، وأبي الحسين الفارسي ابن أخت أبي علي الفارسي في جرجان، وتوفي سنة (471هـ/1078م) وقيل سنة (474هـ).[3]

يقول صاحب إنباه الرواة:

"هو عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني أبو بكر النحوي، فارسي الأصل، جرجاني الدار، عالم بالنحو والبلاغة. أخذ النحو بجرجان عن الشيخ أبي الحسين محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الوارث الفارسي، نزيل جرجان، ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وأكثر

[1] السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1384هـ –1964م، مجلد2، 106/2.

[2] حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، (د ط)، (د ت)، المجلد1، ص212.

[3] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، كورنيش النيل–القاهرة، (د ت)، ط3، 199/5.

عنه، وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء، وتصدّر بجرجان، وحثت إليه الرّحال، وصنف التصانيف الجليلة.

وكان–رحمه الله– ضيّق الطعن، لا يستوفى الكلام على ما يذكره مع قدرته على ذلك فمن تصانيفه: كتاب "المقتصد" في شرح "الإيضاح" وهو مقتصد من مثله على ما سمّاه، لم يأت في "الإيضاح" له مقدار. ولما تبرع في "التكملة" لم يقصّر بنسبته على ما عهد منه، فلو شاء لأطال. وله شرح كتاب "العوامل" سمّاه "الجمل" ثم صنف شرحه، فجرى على عادته في الإيجاز. وله "إعجاز القرآن" دل على معرفته بأصول البلاغات ومجاز الإيجاز، وله مسائل منثورة أثبتها في مجلد، هو "كالتذكرة" له، لم يستوف القول حق الاستيفاء في المسائل التي سطرها. ومع هذا كله فإن كلامه وغوصه على جواهر هذا النوع يدل على تبحره وكثرة اطلاعه.

ولم يزل مقيما بجرجان يفيد الراحلين إليه، والوافدين عليه إلى أن توفى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة (471هـ)".[1]

أما في كتاب درج الدرر فنجد له تعريفا آخر:

ومن المعلوم أيضا عن الإمام عبد القاهر الجرجاني أنه نحوي بصري، فقد تتلمذ على تلميذ الإمام أبي علي الفارسي، وهو أبو الحسين الفارسي، أحد أئمة البصريين، بل لم يكن له شيخ غيره، وقد شرح كتابه "الإيضاح" واعتنى به عناية فائقة، وسمّاه "المغني" وقد بلغ هذا السفر نحوا من ثلاثين مجلدا، ولكننا نلحظ أن مؤلف هذا الكتاب لم ينقل عن أبي علي إلا في موضوع واحد فقط.

[1] القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة–مصر، ط1، 1406هـ–1986م، 2/188–189.

كما نجده ميالا إلى مذهب الكوفيين، فهو يقدم آراءهم في كثير من الأحيان على آراء البصريين ويعتدُّ بها، بل قد يكتفي بذكرها[1].

وقال محمد وليد مراد في ترجمة الإمام عبد القاهر:

"هو عبد القاهر الجرجاني بن عبد الرحمان بن محمد أبو بكر الجرجاني النحوي المشهور عن كبار أئمة العربية في زمانه، ولد عبد القاهر في مطلع القرن الخامس الهجري بجرجان إحدى المدن الفارسية المشهورة، والواقعة بين طبرستان وخراسان، ظل في بلدته لا يبرحها حتى توفاه الله فيها عام أربعمائة وواحد وسبعين (471هـ)، وقيل: أربع وسبعون وأربعمائة للهجرة (474هـ)، إنه على علم كبير باللغتين العربية والفارسية، ذواقة للأسلوب القرآني، متكلم أشعري شافعي المذهب، وهو من المؤسسين الأوائل لعلم البلاغة العربية. وقد تخرج من جرجان كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء حينما كانت زاخرة بالنشاط العلمي، وفي هذه المدينة نشأ عبد القاهر كما ينشأ غيره من الصبيان، درس فيها علوم الدين والعربية كما درسها الآخرون، وقد وهب الله له عَلَما من أعلام النحو هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث الفارسي النحوي ابن أخت أبي علي الفارسي الذي نزل بجرجان واستقر بها وأخذ عنه أهلها فضلا كثيرا"[2].

أما في كتاب طبقات الشافعية الكبرى فنجد تعريفا آخر حيث يقول:

"الشيخ أبو بكر الجرجاني، النحوي المتكلم على مذهب الأشعري، الفقيه على مذهب الشافعي، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن الحسن الفارسي، ابن أخت الشيخ

[1] عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم-منسوب- دراسة، وتح: طلعت صلاح الفرحان ومحمد أديب شكور، دار الفكر ناشرون وموزعون، الأردن-عمان، ط1، 1430هـ-2009م، 9/2.

[2] وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط1، 1403هـ-1983م، ص46.

أبي علي الفارسي، وصار الإمام المشهور، المقصود من جميع الجهات، مع الدين المتين والورع والسكون"[1].

وقال صاحب إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين:

"عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني النحوي، فارسي الأصل، جرجاني الدار، إمام في العربية واللغة والبلاغة، وهو أوَّل من استنبط علم المعاني والبيان، تخرَّج على أبي الحسين بن عبد الوارث الفارسيّ، ولم يقرأ على غيره، صنَّف في النحو وعلوم الأدب كتبا مفيدة، له "شرح الإيضاح"، و"دلائل الإعجاز في المعاني"، و"أسرار البلاغة"، وغير ذلك..."[2].

وقال صاحب شذرات الذهب في موتى سنة (471هـ): "وفيها عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني أبو بكر النحوي، صاحب التصانيف منها المغني في شرح الإيضاح ثلاثون مجلداً، وكان شافعيا قاله في العبر، وقال ابن قاضي شهبة كان شافعي المذهب متكلما على طريقة الأشعري، وفيه دين وله فضيلة تامة في النحو، وصنَّف كتبا كثيرة فمن أشهرها، كتاب "الجمل" وشرحه، وكتاب "العمدة في التصريف"، وكتاب "المفتاح"، وشرح الفاتحة في مجلد، وغير ذلك أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن الحسن الفارسي ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وأخذ عنه علي بن أبي زيد الفصيحي"[3].

[1] السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد إسحاق، دار إحياء الكتب العربية، (د ط)، (د ت)،149/5.

[2] عبد الباقي اليماني، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تح: عبد المجيد دياب، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1406هـ-1986م، ص188.

[3] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة-بيروت، ط2، 1399هـ- 1979م، ص340.

وقال الذهبي أيضا في وفيات سنة (471هـ):

"عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، أبو بكر النحوي العلاّمة، صاحب التصانيف، منها المغني في "الإيضاح" ثلاثون مجلداً، وكان شافعيًا أشعريًا. ومنهم من يقول توفي سنة أربع وسبعين (474هـ)"[1].

إن أغلب الذين تحدثوا عن الإمام عبد القاهر الجرجاني يوردون ترجمات موجزة، وأخباراً قليلة لا تسعف في معرفة نشأته وأسرته–سوى أنها فارسية الأصل– وكلام المؤرخين المقتضب لا يعطي صورة واضحة عن شخصية هذا العالم، لكن الباحث في مثل هذه الأمور والساعي إلى الحقائق لا يَعْدم فائدة، فالواقف على ماكتب حول هذه الشخصية الفذّة يدرك أنّ الرجل كان ذا خلق حسن، أعجب به مرتادوه فمكثوا عنده ونهلوا من مَعينه.

المبحث الثاني: التعلُّم والتَّعليم

لقد عُرف عن الشيخ "عبد القاهر الجرجاني" سعة علمه وغزارته، واشتهر بعلم النّحو، حتّى كان يسمّى "عبد القاهر الجرجاني" النحوي، وله مصنّفات كثيرة في النّحو، ولكن جهوده في علم البلاغة فاقت جهوده في علم النّحو، لما أحدث فيها من آراء ووطّد من نظريات، كما يتبين من خلال دراسة بعض من كتبه ملامح شخصيته العظيمة.

وبهذا يمكن القول بأنّنا أمام شخصية فذّة، حظيت بشهرة علمية نادرة، وإنْ لم تحظَ إلّا باليسير من التأريخ والترجمة.

[1] الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق وضبط :أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1405هـ–1985م، 330/2.

أولاً: التعلُّم

للشيخ عبد القاهر الجرجاني شخصية عالم متميزة، ذلك أنَّه لم يخرج من بلده لتلقّي العلم، ولم يُروَ أنَّه اتصل بسلطان أو أمير، ولم يختلف إلى أحد من الفقهاء والشيوخ المشهورين، ولم يعرف عن أسرته أنَّها قدّمت له مساعدة في هذا الشأن، أو جلبت له المعلِّمين، بل الذي عُرف عنه انكبابه على الدرس وتحصيل العلوم، وتلقف كل ما وصلت إليه يده بالتحصيل والدرس.

ذكر ذلك "ابن الأنباري" حين قال:

"هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، النحوي كان أكابر النحويين، أخذ عن أبي الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث، وكان يحكى عنه كثيرًا؛ لأنَّه لم يلقَ شيخًا مشهورا في علم العربية غيره؛ ولأنَّه لم يخرج عن جرجان في طلب العلم، وإنَّما طرأ عليه أبو الحسين، فقرأ عليه"[1].

والملاحظ أنَّ المؤرخين لحياة الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد اتَّفقوا على أنَّه لم يتصل بكثير من العلماء، ومع ذلك اختلف بعضهم في أستاذه.

بينما ذكر ياقوت الحموي:"أنَّ عبد القاهر قرأ على القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني واغترف من علمه، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به وشمخ بأنفه بالانتماء إليه"[2].

غير أنَّ "الحموي" نفسه قال في ترجمة "محمد بن الحسين ابن أخت أبي علي الفارسي"

[1] الأنباري أبو البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء–الأردن، ط3، 1405هـ–1985م، ص264.

[2] ياقوت الحموي الرّومي، معجم الأدباء، تح: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، ط1، 1993م، ص1797.

أنَّ من تلاميذه (عبد القاهر، وليس له أستاذ سواه)[1].

"والقول الأخير أقرب إلى الصحّة؛ لأن القاضي الجرجاني مات في بعض الروايات في سلخ صفر سنة ست وستِّين وثلاثمائة، وفي بعضها أنَّه مات سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، ولا يعقل أن يتصل به عبد القاهر حتَّى أواخر أيامه وقد شكَّ معظم الباحثين في هذه التلمذة"[2].

ولقد وافق "أحمد مطلوب" رأي "أحمد أحمد بدوي" الذي يقول:"وإنِّي أشكُّ فيما رواه "ياقوت" من أنَّه قرأ على القاضي الجرجاني شيئًا؛ لأن القاضي توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، فمتى يكون عبد القاهر قد أخذ عنه؟ وعبد القاهر قد توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، فإذا كان قد أخذ عن القاضي الجرجاني، فلا بدَّ أنْ يكون عبد القاهر قد وُلد قبل وفاته بنحو خمسة عشر عامًا على الأقل، حتَّى يستطيع أن يأخذ عن عالِم واسع العلم كالقاضي، ومعنى ذلك أنَّ عبد القاهر وُلد حوالي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، فيكون عند وفاته قد أربى على تسعين عامًا، ولم يُشِر أحد من مؤرخيه إلى أنَّه طعن في السن إلى مثل هذا الحد؛ ممَّا يرجِّح أنَّ أخذ عبد القاهر عن القاضي كان أخذًا عن كتبه لا شخصه"[3].

ونقل "أحمد مطلوب" أيضا في كتابه: "عبد القاهر الجرجاني" نصّا عن الخوانساري صاحب "روضات الجنات" فهم منه أنَّ الشيخ عبد القاهر قد تتلمذ في النحو وغيره على يد ابن جنّي، والصاحب بن عباد، وردَّ قول الخوانساري محتجًا بأنَّ ابن جنّي توفي سنة (392هـ)، والصاحب بن عباد توفي سنة (385هـ).

وذكر الخوانساري أنَّ عبد القاهر درس النحو على شيخين آخرين في قراءة النّحو، قال بعد أنْ نقل عن بغية الوعاة أنَّه أخذ عن ابن أخت الفارسي.

[1] ينظر: المرجع السابق، ص2524.

[2] أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1393هـ-1973م، ص14-15.

[3] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص6-7.

"وهو غريب؛ لأنَّ هذا الأحقر مع قلة بضاعته في هذه الصناعة قد اطَّلع على شيخين آخرين له في قراءة النّحو وغيره: أحدهما "ابن جنّي المشهور" والثاني "الصاحب بن عباد الوزير". وهذا غير صحيح؛ لأنَّ ابن جنّي توفي سنة (392هـ)، ومات الصاحب بن عباد سنة (385هـ). وقد تكون دراسة عبد القاهر لكتبهما لا عليهما".

ويشير عبد القاهر إلى شيخه ولكنّه لا يذكر اسمه بل يقول مثلاً:" (قال شيخنا رحمه الله) أو (وأنشدنا شيخنا رحمه الله) أو (حكى شيخنا رحمه الله) وأغلب الظنّ أنّ شيخه هذا هو ابن أخت أبي علي الفارسي؛ لأنّ ما يرويه عنه يتّصل بالنّحو.

ولكن عبد القاهر لم يقف عند أخذه عن شيخه وإنّما قرأ الكتب بعقلٍ واعٍ، ونقل عن الكثيرين ممّن اشتهروا باللّغة والنّحو والبلاغة والأدب كسيبويه، والجاحظ، والمبرد، وابن دريد والعسكري، والمرزباني، والفارسي، والآمدي، والقاضي الجرجاني".[1]

ثانيا: التَّعليم

كان لإقامة الشَّيخ بجرجان وعدم خروجه منها، وعكوفه على كتب العلم أنْ ذاع ذكره وارتفع قدره فشُدَّت إليه الرّحال من كلّ مكان، وقصده التلاميذ من جميع الأرجاء، يقرؤون عليه كتبه، ويأخذونها عنه. قال القفطي:

"وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء، وتصدَّر بجرجان، وحثَّت إليه الرّحال وصنَّف التصانيف الجليلة".[2]

[1] أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، ص15-16.

[2] القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 188/2.

فكان من أشهر تلاميذه:

1-أحمد بن عبد الله المهاباذي الضرير النّحوي:

لم تذكر التراجم عن هذا العالم سوى أنَّه نحوي من تلاميذ عبد القاهر الجرجاني، له شرح اللّمع[1].

2-أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الخطيب التبريزي:

من أهل تبريز، سافر في طلب العلم، قرأ على الشيخ عبد القاهر الجرجاني، وأبي العلاء المعرّي وغيرهم، وأخذ عنه الجلَّة: كالخطيب أبي بكر بن ثابت، مؤرخ بغداد، وابن الجواليقي، وغيرهم، وله مصنّفات جليلة منها: تفسير القرآن العظيم وإعرابه، وشرح اللّمع لابن جنّي، وشرح الحماسة ثلاثة شروح، وشرح ديوان أبي الطيّب، وأبي تمام، والمعرّي(سقط الزند)، والمفضليات، وهذّب كتب اللغة كالغريب المصنّف، وإصلاح المنطق، وله كتاب الكافي في العروض والقوافي، وتولّى تدريس النظامية في العربية، وكان ثقة في نقله، ليس بمحمود الطريقة، ومات فجأة سنة اثنتين وخمس مئة[2].

3- أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد الأبيوردي:

كان عالماً بالأنساب وفنون اللّغة والآداب، وسمع الحديث ورواه، أخذ عن عبد القاهر الجرجاني، وإسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي، وأبي بكر بن خلف الشيرازي، ومالك بن أحمد البانياسيّ، وخلق وروى عنه جماعة، وصنف كتباً منها المختلف والمؤتلف، طبقات العلم، تاريخ أبيورد، تاريخ نسا، وغير ذلك؛ وله في اللغة مصنفات لم يسبق إليها. وترجمه السّلفيّ في جزء مفرد، وذكر أنَّه فوّض إليه أشراف الممالك كلها، وأحضر عند السلطان أبي شجاع

[1] ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 357/1 و السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، 320/1.

[2] عبد الباقي اليماني، إشارة التّعيين في تراجم النحاة واللغويين، تح: عبد المجيد دياب، ص382-383.

محمد بن ملك شاه بشخصه، وهو على سرير ملكه، فارتعد ووقع ميتاً، وذلك يوم الخميس بين الظهر والعصر العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة[1].

4-أبو الحسن علي بن أبي زيد بن محمد بن علي الفصيحي:

سمي الفصيحي، لتدريسه كتاب الفصيح لثعلب، من أهل أستراباذ بلدة من أطراف خراسان، قرأ النحو على عبد القاهر الجرجاني، وبرع فيه حتى صار من أعرف أهل زمانه به. قدم ببغداد، واستوطنها إلى أن توفي بها. ودرس النّحو بالمدرسة النّظامية مدّة، وأخذ عنه الناس، وتخرج به جماعة، سمع منه أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني ببغداد، وقال: جالسته وسألته عن أحرف من العربية. توفي الفصيحي يوم الأربعاء الثالث عشر ذي الحجة من سنة ست عشرة وخمسمائة ببغداد[2].

ولم نعثر لعبد القاهر بالرّغم من مكانته العلمية، إلاّ على تراجم قصيرة وهي تتفق في أنّه كان عالماً وإماماً بارعاً انتهت إليه رياسة النحاة في زمانه وأنه كان متكلماً على المذهب الأشعري وفقيهاً على المذهب الشافعي، وأنّه أخذ النحو على أبي الحسين محمد بن الحسن بن أخت أبي علي الفارسي المشهور، والبعض يقول بأنّه أخذ الأدب والنقد على القاضي بن عبد العزيز الجرجاني.

[1] السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، 40/1، وجمال الدّين الأتابكي، النّجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة (د ب)، (د ط)، (د ت)، 206/5.

[2] القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 306/2-307، وعبد الباقي اليماني، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، ص227.

المبحث الثالث: التأليف اللغوي عند الإمام عبد القاهر الجرجاني

تدل كتب عبد القاهر الجرجاني المختلفة على سعة علمه وقدرته المعرفية الكبيرة التي تجلت ظاهرة في أعماله، فهو ذو كفاءة عالية في علوم الدين والأدب واللغة، وخط بقلمه مدونات كثيرة في مختلف العلوم. ولعلنا نذكر بعضاً منها فيما يلي:

أولا: التأليف اللغوي العام

1-في النحو والصرف:

أ-**كتاب "المغني"**: ذكره صاحب كشف الظنون بأنه: شرح مبسوط في نحو ثلاثين مجلدا.[1]

وذكره صاحب سير أعلام النبلاء فقال: "وصنف شرحا حافلا للإيضاح يكون ثلاثين مجلدا.[2]

وذكره صاحب كتاب دلائل الإعجاز بأنه: "كتاب كبير وضعه في ثلاثين مجلدا، كناية عن شرح مبسط لكتاب الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي، وهو كتاب مقسم بين النحو والصرف، أثار من إعجاب الجرجاني أن وضع لأجله أربعة كتب، أولها المغني".[3]

ب-كتاب "المقتصد": ملخص لهذا الشرح الطويل، في ثلاث مجلدات[4]، كما ذكرت طبقات المفسرين للداودي، ونزهة الألباء، أو في مجلد واحد كما ذكر صاحب كشف الظنون، وربما كان مجلدا واحدا ضخما يمكن تقسيمه ثلاثة أقسام. وأتم عبد القاهر كتابه في شهر رمضان

---

[1] حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تعليق: محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلك الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (د ط)، (د ت)، مجلد1، ص211.

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2315/1.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: شاكر، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، (د ط)، (دت)، ص47.

[4] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص31 (نقلا عن: عبد القاهر الجرجاني، المقتصد، نسخة خطية بدار الكتب رقم1103 نحو، ج2).

454هـ، ولقد كتبه بخطه، وقرأه عليه من أوله إلى آخره قراءة ضبط وتحصيل أحمد بن محمد الشجري.[1]

ج-كتاب "التكملة": أو التتمة، إن الجرجاني قد أضاف إلى كتاب الإيضاح بعض المسائل النحوية، ولقد ذكره بروكلمان فقال: "كتاب التتمة في الجملة"، وأشار إلى رقم مخطوطه في كل من المتحف البريطاني والمكتب الهندي[2]، وذكره صاحب إنباه الرواة، وربما أراد بهذا الكتاب أن يضيف مسائل لم يذكرها صاحب الإيضاح، ولعله أوردها مختصرة؛ لأن صاحب إنباه الرواة يقول عن التكملة: إن عبد القاهر(لو شاء لأطال).[3]

د-كتاب "الإيجاز": اختصر فيه الإيضاح، أورده له صاحب كشف الظنون، وذكر أن أوله هو(الحمد لله الذي تظاهرت علينا آلاؤه..).[4] وذكره صاحب دلائل الإعجاز: "وهو مختصر لكتاب الإيضاح" -لأبي علي الفارسي- ويذكر حاجي خليفة عددا كبيرا من الشروح التي عنيت بكتاب الإيضاح تتجاوز العشرات.[5] وذكره صاحب سير أعلام النبلاء بأنه: "مختصر شرح الإيضاح ثلاثة أسفار"[6]، وصاحب هدية العارفين بأنه" الإيجاز في مختصر الإيضاح في النحو".[7]

هـ-كتاب "الجمل": في النّحو، يقول عنه صاحب كشف الظنون: "وهو مختصر يقال له الجرجانية أيضا، على خمسة فصول: الأول في المقدمات، والثاني في عوامل الأفعال،

---

[1] المرجع السابق، الصفحة السابقة، (نقلا عن: القفطي، إنباه الرواة، 198/2).

[2] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 206/5.

[3] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص32.

[4] حاجي خليفة، كشف الظنون، ص211.

[5] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص47 (نقلا عن: حاجي خليفة، كشف الظنون، مكتبة المثنى- بغداد،(د ط)، (دت)،1 /211-213).

[6] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص2315.

[7] إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (د ط)، 1951م، مجلد1، ص606.

والثالث في عوامل الحروف، والرابع في عوامل الأسماء، والخامس في أشياء منفردة"، وهو مختصر لعلم النحو، وذكر له عددا كبيرا من الشروح لكثير من علماء العصور اللاحقة وصولا حتى منتصف القرن الثامن هجري (8هـ).[1]

ولقد ذكر بروكلمان: أنه منظومة نحوية، شرحت كثيرا، وقد عدد شراحها وأسماء شروحهم.[2]

و-**كتاب "التلخيص"**: ألفه عبد القاهر نفسه شرحا لكتاب الجمل. ويأخذ الوزير القفطي على مؤلف التلخيص أنه قد جرى فيه على عادته من الإيجاز.[3]

ز-**كتاب "العوامل المائة في النحو"**: أو كتاب العوامل المائة[4]، أو مائة عامل. أقبل عليه القراء والعلماء، فشرحوه وبسطوه وعلقوا عليه، وذكر منهم حاجي خليفة، ما بين شارح ومترجم وناظم ومعرب ومعلق ومختصر، وقال عنه صاحب كشف الظنون:"وهو مشهور متداول[5]. فكتاب الجمل نفسه شرح لمختصر في النحو ألفه عبد القاهر وسمّاه "العوامل المائة في النحو"[6]. وقد بدأ عبد القاهر هذه الرسالة القليلة الصفحات بقوله: "...اعلم أنه لا بد لكل طالب معرفة الإعراب من معرفة مائة شيء، ستون منها تسمى: عاملا، وثلاثون منها تسمى: معمولا، وعشرة منها تسمى: عملا وإعرابا، فأبين لك بإذن الله تعالى هذه الثلاثة عن

[1] حاجي خليفة، كشف الظنون، 602/1-603.

[2] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص205.

[3] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص33 (نقلا عن: نزهة الألباء، ص435/وطبقات المفسرين للداودي، ص410 / إنباه الرواة للقفطي188/2).

[4] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص2315.

[5] حاجي خليفة، كشف الظنون، 1179/2.

[6] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص33 (نقلا عن: نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم31 لغة، وأخرى برقم78 لغة).

طريق الإيجاز..".[1]

ح-كتاب"العمدة": في التصريف، أشار إليه صاحب كشف الظنون وصاحب هدية العارفين دون تعرف[2]، وكذلك صاحب سير أعلام النبلاء فقال: " له العمد في التصريف".[3]

ط-كتاب في العروض: (أشار إليه صاحب فوات الوفيات دون تعريف).[4]

2-في الشعر:

أ-المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام: من مختاراته من الشعر، وهو كتاب اعتنى بنسخه وتصحيحه ومعارضته بالأصول وشرحه: عبد العزيز الميمني، بعليكرة الهند، وصدر ضمن كتاب بعنوان "الطرائف الأدبية" الذي قسمه الميمني: الأول: لدواوين كل من الأفوه الأودي والشنفرى، وتسع قصائد نادرة، والثاني: للمختارات.[5] ويقول ناشر المختار: "وهذا الاختيار لا أعرف أحدا يكون يعرفه، أو يذكره في عداد تآليف الشيخ"[6]. ويصدر عبد القاهر كتابه مبينا ما اختاره من دواوين الشعراء، وسر هذا الاختيار، إذ يقول: "...عمدنا فيه لأشرف أجناس الشعر، وأحقها أن يحفظ ويروى...".[7] صدر الكتاب عن دار الكتب العلمية في بيروت مصورا عن طبعة صدرت في القاهرة1937م، وقد وقع الميمني على نسخة من المخطوطة في إحدى قرى الهند- مملكة حيدر آباد-.[8]

---

[1] المرجع السابق، ص34(نقلا عن: نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم31لغة، وأخرى برقم78 لغة).

[2] حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 1169.

[3] الذهبي، سير أعلام، ص2315.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص48 (نقلا عن : فوات الوفيات، 2/ 297)

[5] المرجع نفسه، ص50.

[6] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص35 (نقلا عن: الطرائف الأدبية، ص198).

[7] المرجع نفسه، ص35.

[8] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص50.

وذكر صاحب كتاب هدية العارفين بأن اسمه:

مختار الاختيار في فوائد معيار النظار في المعاني والبيان والبديع والقوافي.[1]

3-في الشرح والتفسير القرآني:

أ- **كتاب "شرح الفاتحة"**: في مجلد واحد[2]، ولم يبق لنا الكتاب حتى نعرف أي نوع من أنواع أنواع التفسير قام به عندما شرح الفاتحة، وهل طبق رأيه في النظم؟ ولم خص الفاتحة بالشرح؟.[3]

ب- **كتاب "المعتضد"**: شرح كبير لكتاب إعجاز القرآن لأبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي المتوفى سنة 306هـ[4]، ويسمى أيضا: إعجاز القرآن الكبير.[5] وقال عنه صاحب كتاب سير أعلام النبلاء: (وله إعجاز القرآن ضخم).[6]

ج- **إعجاز القرآن الصغير**: شرح صغير لكتاب إعجاز القرآن للواسطي، ويسمى أيضا "شرح الإعجاز الصغير". ذكره حاجي خليفة كما ذكر شرحه الأول المعتضد.[7]

د- **الرسالة الشافية**: في الإعجاز، كتاب خاص في "بيان عجز العرب عن معارضة القرآن، وإذعانهم وعلمهم أن الذي سمعوه من آي الذكر الحكيم فائت للقوى البشرية ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين"، هكذا قدم لها الجرجاني.[8] ولقد فصل هدفه من

---

[1] إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ص606.

[2] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 3/ 340.

[3] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص43.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص48.

[5] صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، (د ب)، (د ط)، (د ت)، ص12.

[6] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص2315.

[7] حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/ 120.

[8] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص44.

هذه الرسالة إذ قال: "هذه جمل من القول في بيان عجز العرب حين تحدُوا إلى معارضة القرآن...".[1]

صدر الكتاب عن دار المعارف بمصر 1968م، وعدد صفحات الرسالة الشافية تسعون صفحة من الكتاب[2]، والذي نشر ضمن مجموعة ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في كتاب واحد.[3]

هـ- **درج الدرر**: في تفسير القرآن، ذكره بروكلمان وأشار إلى مخطوطين له في كل من: الأسكوريَال والقاهرة. كما ذكره حاجي خليفة على وجه الظن[4]، وذكره صاحب هدية العارفين "درج الدرر في تفسير الآي والسور".[5]

و- **كتاب "المفتاح"**: ذكره السبكي في طبقات الشافعية، وابن العماد في شذرات الذهب، والداودي في طبقات المفسرين، وصاحب كشف الظنون، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ولم يبين واحد من هؤلاء موضوع هذا الكتاب، [6]ولم يتضح محتواه في الأخبار.

ثانيا: التأليف البلاغي.

أ- **كتاب "دلائل الإعجاز"**: في المعاني والبيان[7]، يرد فيه عبد القاهر على مذهب أصحاب الصرفة، على نحو ما رد به عليهم في الرسالة الشافية، ومضى شارحا فيه الفصاحة والبلاغة. وبالرغم أن الكتاب معنون بدلائل الإعجاز لم نجد فيه علاجا طويلا لآيات

[1] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص107.
[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص49.
[3] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص44.
[4] حاجي خليفة، كشف الظنون، ص745.
[5] إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ص606.
[6] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص69.
[7] حاجي خليفة، كشف الظنون، ص759.

القرآن، حيث لم يتخذ القرآن الأساس الأول لبيان البلاغة والإعجاز.[1] ويعد الكتاب العلامة الفارقة في نتاج الرجل وعصره، والأثر الأنفس بين كتب ومصنفات البلاغة، فهو لم يضع أسس علم من علوم البلاغة العربية، بل وضع "النظم" مصطلحيا فنيا علميا أدبيا قائما على نظرية متكاملة لم يزد عليها العلماء بعده إلا التبسيط والتنوير.[2]

ب- **كتاب "أسرار البلاغة"**: تحدث فيه عن أهم أبواب البلاغة، من تشبيه، واستعارة، ومجاز، وكناية. فكل ما كتبه في دلائل الإعجاز أوجزه في أسرار البلاغة.[3] ويعد الكتاب العلامة الثانية، والمعلم الثاني في نتاج الرجل والعصر، فهو خاص بعلمي البيان بخاصة والبديع بعامة. وقد صدر الكتاب في غير طبعة، أهمها طبعة المنار، ونشرتها دار المعرفة مصورة عنها في بيروت سنة 1978م، وكان قد صدر محققا من المستشرق "هيلموت ريتر"، ثم أعيد نشره مصورا في دار المسيرة طبعة ثالثة في بيروت سنة1983م.[4]

وما يستخلص من آثار عبد القاهر الجرجاني أنه قد أحاط علما بما صنفه السابقون عليه في علوم الدين والفلسفة والكلام والأدب واللغة، أدلى بدلوه فيما عرضوا له من قضايا ومشاكل، إضافة إلى ما حفظ وجمع له من شعر، فيتضح من آثاره وإحاطته بما كتب أبو عمرو بن العلاء والخليل والأخفش وسيبويه وابن قتيبة وأبو هلال العسكري وغيرهم، حيث غلبت عليه شهرة اللغوي النحوي، ولقيت مؤلفاته قبولا لدى الدارسين في الأمم المتلاحقة، وقام على شرحها وتلخيصها ومناقشتها الكثير من العلماء في كتب لهم، إضافة إلى دراستها في حلقات العلم.

[1] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص53.
[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص49.
[3] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص65.
[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص49.

المبحث الرابع: أقوال العلماء في الإمام عبد القاهر الجرجاني

ليس غريبًا أن يثني العلماء والمؤرخون على شخصية فذة شقت طريقها في الدرس البلاغي العربي، ولعلّنا في هذه الإضاءة نفصّل ما أجمل فيما يلي:

أولا: العلماء المعاصرون له

لقد ذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني بخير عند كثير من الأئمة الأعلام، وهنا نورد بعض أقوالهم:

قال السمعاني (426-489 هـ): "أحد الحفاظ المكثرين".[1]

وقال الذهبي: "الحافظ الإمام الثبت"، وفي الشذرات: "الثقة الحافظ وكان من أئمة الحديث حفظا ومعرفة وإتقانا".[2]

قال السّلفي: "كان ورعا قانعا، دخل عليه لص، فأخذ ما وجد، وهو ينظر، وهو في الصلاة فما قطعها، وكان آية في النحو، توفي سنة إحدى وسبعين وأربع مائة، وقيل أربع وسبعين رحمه الله".[3]

وقال السيوطي: "الإمام المشهور أبو بكر، أخذ النحو عن ابن أخت الفارسي، ولم يأخذ عن غيره؛ لأنه لم يخرج عن بلده، وكان من كبار أئمة العربية والبيان، شافعيا، أشعريا، صنّف المغني في شرح الإيضاح، المقتصد في شرحه[4]، وقد كان ذا نسك ودين".[5]

---

[1] السهمي، تاريخ جرجان، مراقبة: محمد عبد المعيد خان، مدير دائرة المعارف العثمانية، عالم الكتب، ط4، 1407هـ-1987م، ص 18.

[2] المصدر نفسه، ص 18.

[3] الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط11، 1417هـ-1997م، 433/18.

[4] السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 2/ 106.

[5] الذهبي، سير أعلام النبلاء، 433/18.

ثانيا: المؤرخون

اتفق المؤرخون على الثناء عليه بالعلم والدين، ولقبّوه بالإمام واشتهر بالنحو، من قبل أن يضع علم البلاغة على أنه كان متعلّما وفقيها.

هذا، وينقل أحمد أحمد بدوي كلام بعض من الأئمة الثقات فيه على النحو التالي:

يقول السيوطي: "هو الإمام المشهور أبو بكر... كان من كبار أئمة العربية".

ويقول عنه ابن الأنباري: "كان من أكابر النحويين".

ويقول عنه السبكي: "صار الإمام المشهور المقصود من جميع الجهات مع الدين المتين، الورع والسكون".

يقول ابن قاضي شهبة: "إن له فضيلة تامة في النحو".

يقول ابن شاكر الكتبي: "كان من كبائر أئمة العربية".

ويدعو محمد باقر: "الإمام المشهور، وينقل عن صاحب تلخيص الآثار أن عبد القاهر كان فاضلا عارفا بعلم البيان".

والباخرزي يرى الألسنة قد اتفقت على إمامته.

وعبد الله اليافعي يرى فيه الإمام النحوي العلامة صاحب التصانيف المفيدة.

يقول يوسف بن تغري بردى: "عبد القاهر النحوي اللغوي شيخ العربية في زمانه، كان إماما بارعا متفننا، انتهت إليه رياسة النحاة في زمانه".

ويقول عنه الحافظ الذهبي في تاريخه: (دول الإسلام) وفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة مات إمام النحاة أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني صاحب التصانيف".[1]

[1] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص 28- 29.

وللوزير القفطي رأي فيه، فرغم أنه يعترف له بأنه عالم بالنحو والبلاغة، وأنه تصدّر بجرجان، وحثت إليه الرحال، وصنّف التصانيف الجليلة... ولم يزل... يفيد الراحلين إليه، والوافدين عليه إلى أن توفي_ برغم ذلك يرى في تأليفه ثُغرأ من النقص والتقصير.[1]

ويُرجع ذلك إلى ما كان فيه من ضيق الخلق، فكان لا يستوفي الكلام على ما يذكره مع قدرته على ذلك، وأنه لو شاء لأطال ويعيد سبب ذلك تقصير مرة ثانية إلى أن حياة عبد القاهر لم تكن حياة هانئة وادعة، ولذلك ذمّ الزمان وأهله؛ إذ لم يجد لهم راحة ممن جمع لهم وألّف.[2]

قال السّمعاني: "إمام فاضل كبير الشأن جليل القدر"، وقال فيه الثعالبي شعرا، وكان من بين الذين أشادوا به وذكروه ومجدوه وقالوا فيه الشعر، الحافظ أبو طاهر السّلفي الأصبهاني نزيل الإسكندرية، وفقيهها وعالمها ومحدثها في القرن السادس الهجري، وقد شرح له مقدمة كتابه "معالم السنن"، ونوه بعلمه فيه أكثر من مرة.[3]

ثالثا: العلماء وأهل التراجم

أثنى عليه الكثير من العلماء الذين ترجموا له ونعتوه بمختلف النعوت، وهذا ما قيل فيه:

قال الحافظ الذهبي في تاريخه (دول الإسلام): "وفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة مات إمام النحاة أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني صاحب التصانيف.

وقال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: "عبد القاهر بن عبد الرحمان الشيخ الكبير أبو بكر الجرجاني النحوي المتكلم على مذهب الأشعري، الفقيه على مذهب الشافعي".

[1] المرجع السابق، ص28-29.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] الروماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص9.

أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن الحسين الفارسي ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وصار الإمام المشهور المقصود من جميع الجهات مع الدين المتين، والورع والسكون".[1]

اتفقت على إمامته الألسنة، وتجملت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة، وأثنى عليه طيب العناصر، وثنيت به عقود الخناصر، فهو فرد في علمه الغزير، لا بل هو العلم الفرد في الأئمة المشاهير.[2]

وقال السّلفي: "كان ورعا قانعا، دخل عليه لص وهو في الصلاة فأخذ ما وجد، وعبد القاهر ينظر ولم يقطع صلاته".[3]

ثم قال السبكي: "ومن مصنفاته "كتاب المغني على شرح الإيضاح"، في نحو ثلاثين مجلدا، وكتاب "المقتصد في شرح الإيضاح"، أيضا ثلاث مجلدات، وكتاب "إعجاز القرآن الصغير"، "العوامل المائة"، "المفتاح"، "شرح الفاتحة"، و"العمدة في التصريف"، وكتاب "الجمل" المختصر المشهور.[4]

قال عنه اليافعي (1997م): "كلامه في علم المعاني والبيان يدّلان على جلالته وتحقيقه وتوفيقه".

وقال عنه ابن تغري الأتابكي (1935م): "شيخ العربية في زمانه، وكان إماماً بارعاً مفنّناً، انتهت إليه رياسة النحاة في زمانه".[5]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، (دط)، (دت)، ص 15.

[2] علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، دمية القصر وعمرة أهل العصر، تحقيق ودراسة: محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1414هـ-1993م، 1/ 578.

[3] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 15.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] جهاد النصيرات، رسالة الشافية في إعجاز القرآن لعبد القاهر الجرجاني، تحليل ونقد، PDF، ص06.
http://academic.ju.edu.jo/j.nusairat/Lists/PublishedResearches/DispForm.aspx?ID=16

وأثنى عليه الكثير من العلماء المعاصرين والمؤرخين وأهل التراجم واعترفوا له بالجهود الكثيرة التي بذلها في سبيل تطوّر الدرس البلاغي النقدي العربي، والذي توّج بنظرية شغل بها الناس لأزمان وأزمان.

المبحث الخامس: ظروف وفاة الإمام عبد القاهر الجرجاني

نعلم أن الإمام عبد القاهر الجرجاني عاش حياته في ظل أسرة فقيرة بعيدة عن رغد العيش ولمّا كان فقيرا فإنه لم يخرج لطلب العلم، وقد قضى عمره في مدينة "جرجان" لم يفارقها طول حياته، وهي مدينة كان قد وصفها ياقوت الرومي بقوله: "هي مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان... وهي أكبر مدينة بنواحيها، وهي أقل ندى ومطرًا من طبرستان، وأهلها أحسن وقارا وأكثر مروءة ويسارًا... وأهلها يأخذون أنفسهم بالتأني والأخلاق المحمودة... ولقد خرج منها خلق من الأدباء والفقهاء والمحدثين، ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمي... وكل الذي نعرفه أن عبد القاهر الجرجاني لم يفارق مدينة جرجان إلى أن توفي بها".[1]

لم نهتد إلى السنة التي ولد فيها عبد القاهر، ولم يتحدث مؤرخوه عن عمره، فهل عمر طويلاً؟ أو مات صغير السن؟ ولكن عدم الحديث عن سنه يدل على أنه مات في سن عادية قد تكون السبعين، وإذا كان قد مات في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة[2] في أرجح القولين، ورواية أنه مات سنة أربع وسبعين وأربعمائة تُسبق(بقيل)[3]دالة على ضعفها فربما كان ميلاده في أوائل القرن الخامس الهجري.

[1] القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 189/2.

[2] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي، (دط)، 1351هـ، 34/3.

[3] الكتبي، فوات الوفيات، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة بمصر، (د ط)، (د ت)، 297/1.

وهؤلاء الذين يعنون بذكر من مات في كل عام من المشهورين، يروون نبأ وفاته في العام الذي مات فيه، وهو سنة إحدى وسبعين وأربع مائة، ويضيفون إلى ذلك النبأ تقديرهم للرجل، وذكر بعض آثاره كما فعل ذلك: أبو محمد عبد الله اليافعي في كتابه(مرآة الجنان وعبرة اليقظان).[1]

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاة عبد القاهر الجرجاني، حيث ذهبت طائفة إلى أنه توفي سنة واحد وسبعين وأربعمائة للهجرة وطائفة أخرى قالت إنّه توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة للهجرة، وثالثة ذكرت التاريخين معا، ومن الذين ذكروا أنه توفي في التاريخ الأول البستاني[2] والأتابكي[3]، ومن الذين رجحوا وفاته في التاريخ الثاني الذهبي.[4]

ومما ينبغي أن نوجه إليه النظر أن تراجم الذين كتبوا عن عبد القاهر الجرجاني كانت موجزة، متشابهة، تدل على أن حياة الرجل ليس فيها شيء بارز غريب، ووقوع التشابه في مواد المترجمين له انعكس على تحديد تاريخ وفاته –رحمه الله–.

[1] اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، 101/3.

[2] البستاني، دائرة المعارف، دار الفكر، بيروت، ط1، (د ت)، 426/6 .

[3] الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 108/5 .

[4] الذهبي، العبر في خبر من غبر، 330/2 .

الفصل الثاني: البلاغة العربية قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني

المبحث الأول: البلاغة وحدود المصطلح

المبحث الثاني: أسباب نشأة البلاغة العربية وظهورها

المبحث الثالث: مباحث علم البلاغة وقضاياه

المبحث الرابع: بدايات التأليف البلاغي العربي

المبحث الخامس: خصائص البلاغة العربية قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني

المبحث الأول: البلاغة وحدود المصطلح

لقد وردت لفظة بلغ ومشتقاتها في مصادر الاحتجاج عند العرب بكثرة ولعلنا في هذه الإضاءة نأتي على شيء من ذلك فيما يلي:

أولا: القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِے قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِےٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلاَۢ بَلِيغاًۖ﴾ سورة النساء الآية62.

ـ "يصح حمله على المعنيين وقول من قال معناه: قل لهم إن أظهر تم ما في أنفسكم قتلتم، وقول من قال خوفهم من بمكاره تنزل بهم، فإشارة إلى بعض ما يقتضيه عموم اللفظ والبلغة ما يتبلغ به من العيش."[1]

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَےْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَےْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَي ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُۖ﴾ سورة النحل الآية34.

"يخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الشرك واعتبارهم محتجين بالقدر في قولهم:﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَےْءٍ﴾؛ أي: من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك، مما كان ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم، مالم ينزل الله به سلطانا، ومضمون كلامهم: أنه لو كان تعالى كارها لما فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة ولما مكّنا منه. قال الله رادّا عليهم شبهتهم:﴿فَهَلْ عَلَي ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه لم

[1] الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وإعداد: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د د)، (د ط)، (د ت)، 77/1.

يغيره عليكم ولم ينكره، بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار ونهاكم عنه آكد النهي".[1]

ثانيا: القراءات القرآنية

وقرأ: ﴿بَلَٰغٌۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ سورة الأحقاف الآية35.

"بنصب بلاغ بدلا من رفعها كما هي القراءة المشهورة برواية حفص، وكأنه أضمر له فعلا: أي بلغوا بلاغا كما يقول ابن جني وتابعه في النصب عيسى ابن عمر".[2]

ثالثا: الحديث النبوي الشريف

لقد وردت لفظة بلغ أو مشتقاتها في العديد من أحاديث النبي ﷺ.

1ـ " قول العرباض رضي الله عنه: الحديث:<<وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون...>>الحديث. (صحيح) رواه ابن ماجة.

والموعظة ما كان من الكلام فيه ترغيب وترهيب، يؤثر على النفوس ويبلغ القلوب، فتوجل من مخافة الله، وقد وصف العرباض رضي الله عنه هذه الموعظة بهذه الصفات الثلاث، التي هي البلاغة ووجل القلب وذرف العيون، قال ابن رجب في (جامع العلوم والحكم) (111/2) (والبلاغة في الموعظة مستحسنة، لأنها أقرب إلى قبول القلوب واستجلابها، والبلاغة هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة وإيصالها إلى قلوب

[1] ابن كثير القرشي الدمشقي الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار بن حزم، (د ط)، (د ت)، ص750.

[2] عبد السلام غجاتي، القراءات القرآنية والدرس اللغوي العربي، جهود أبي عمرو بن العلاء ويعقوب بن أبي إسحاق الخضرمي، مجلة علمية لغوية متخصصة ومحكمة تصدر عن مختبر . جامعة منتوري، قسنطينة، العدد6، 1431هـ- 2010م، ص14.

PDF<Library<mohamedrabeea.net.

السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها، وأفصحها وأحلاها للأسماع وأوقعها في القلوب".[1]

2ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "بينما رجل يمشي فاشتدّ عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملأ خفّه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له" قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: "في كل كبد رطبة أجر". (صحيح) رواه البخاري.

يحث الرسول ﷺ على الإحسان إلى الحيوانات، ويشير إلى سعة فضل الله وإنه قد يغفر الذنب الكبير بعمل الخير اليسير، فيقول: كان رجل يمشي بصحراء بطريق مكة فعطش عطشًا شديدًا فوجد بئرا، فنزل فشرب، ثم خرج. فلقي كلبا يلهث، وقد ضاقت أنفاسه من شدة العطش، فأشفق الرجل على هذا الكلب، وقال في نفسه: وقد تذكر الألم الذي أصابه منذ قليل قبل أن يروى. قال في نفسه: إن هذا الكلب يعاني ما عانيت من الجهد والمشقة والظمأ، فنزع خفه ونزل البئر فملأه ماء ثم أمسكه بفمه ليعالج الصعود العسير بيديه، فصعد فوضع الخف أمام الكلب؛ وجعل يغرف له بخفه حتى أرواه وانصرف، فغفر الله له، وأدخله الجنة بسبب إحسانه إلى هذا الحيوان، قال السامعون من الصحابةـ وقد عجبوا لهذا الأجر العظيم ـ كأنّ لنا في سقي بهائمنا أجرا يا رسول الله ؟ قال: نعم لكم أجر في سقي كل حيوان حي".[2]

[1] عبد المحسن بن حمد العباد البدر، فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب، دار عمر بن الخطاب، القاهرة، ط1، 1429هـ –2008م، ص76.

[2] موسى شاهين لاشين، المنهل الحديث في شرح الحديث، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1424هـ –2003م، 263/2.

رابعا: الشعر

قال عمرو ابن كلثوم:

إذا بلغ الفطام لنا صبيّ تخر له الجبابر ساجدينا

الشرح:

يقول: إذا بلغ صبياننا وقت الفطام سجدت لهم الجبابرة من غيرنا.[1]

قال عمرو بن كلثوم في هجاء النعمان بن المنذر:

ألا أبلغا عني سليما وربّه فزيدا علي مئرة وتغضبا

الشرح:

سليم: أغلب الظن أنه أحد خواص الملك النعمان بن المنذر.

ربّه: المقصود النعمان.

المئرة: العداوة والنميمة والوشاية.[2]

وقال يهجو عمرو بن هند:

ألا من مبلغ عمرو بن هند فما رعيت ذمامة من رعيتا

الشرح:

مبلغ: مخبر.

[1] الزوزني أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات العشر، دار المدار الإسلامي، ط1، 2002م، ص179.

[2] إميل بديع يعقوب، سلسلة شعراؤنا، ديوان عمرو بن كلثوم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1411هـ -1991م، ص25.

رعيت: حفظت.

رعيت: من سست وتوليت أمره.[1]

ذمامة: الذمام: وهو العهد والأمانة والكفالة.

خامسا: النثر

"بلغ السيل الزبى"

هي جمع زبية وهي حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده وأصلها الرابية لا يعلوها الماء، فإذا بلغها السيل كان جارفا مجحفا. يضرب لمن جاوز الحد.[2]

"بلغت الدماء الثنن."

"الثنة: الشعرات التي في مؤخر رسغ الدابة. يضرب عند بلوغ الشر النهاية، كما قالوا "بلغ السيل الزبى".[3]

"بلغ الغلام الحنث".

"أي جرى عليه القلم، والحنث: الإثم، ويراد به ههنا المعصية والطاعة".[4]

"بلاغة قس".

"وهذا مثل يضرب لمن فاقت بلاغته وخطابته غيره".[5]

---

[1] المرجع السابق، ص 28.

[2] الميداني، مجمع الأمثال، مكتبة مشكاة الإسلام، (د ط)، (د ت)،1/ 134.

[3] المرجع نفسه، 37/1..

[4] نفسه، 156/1.

[5] سفر الحمداني، الأمثال والحكم العربية في خدمة الدّاعية، (د د)، ط1، 1432هـ -2011م، ص19.

سادسا: المعاجم

1. يقول الخليل بن أحمد في معجم العين:

"**بلغ:** بَلْغٌ بليغ: وقد بَلُغَ بلاغة وبلغ الشيء يبلغ بلوغا وأبلغته إبلاغا وبلّغته تبليغا في الرسالة ونحوها في كذا بلاغ وتبليغ أي كفاية وشيء بالغ أي جيد.

و**المبالغة:** أن تبلغ من العمل جهدك.

قال الضرير: سمعت أبا عمرو يقول: اللهم نسمع بمثل هذا فلا تنزله بنا".[1]

2. يقول ابن فارس في المقاييس:

"**بلغ:** الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء تقول بلغت المكان، إذا وصلت إليه، وقد تسمى المشارفة بلوغا بحق المقاربة، قال الله تعالى:﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ ومن هذا الباب قولهم هو أحمق بلاغ أي أنه مع حماقته يبلغ ما يريده والبُلْغَةُ ما يتبلّغ به من عيش كأنه يراد أنه يبلغ رتبة المكثر إذا رضي وقنع وكذلك البلاغة التي يمدح بها فصيح اللسان، لأنه يبلغ بها ما يريده ولا في هذا بلاغ أي كفاية. وقولهم بلغ الفارس يراد به أنه يمد يده بعنان فرسه ليزيد في عَدْوِهِ.

وقولهم تبلّغت القلة بفلان إذا اشتدت فلأنه تناهيها وبلوغها الغاية".[2]

لقد وردت العديد من التعريفات الاصطلاحية لكلمة "بلاغة" لدى أربابها ومؤسسيها نذكر منها الآتي:

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ترتيب ومراجعة: داود سلوم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2004م، ص66.

[2] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (د ط)، (د ت)، المجلد1، ص301-302.

خواص التركيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والإيجاز والكناية على وجهها.[1]

2ـ والبلاغة في الاصطلاح تكون في الكلام والمتكلم، والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، فالكلام البليغ هو الكلام الواضح المعنى: الفصيح العبارة، الملائم للموضع الذي يطلق فيه والأشخاص الذين يخاطبون.[2]

3ـ جاء في معجم المصطلحات العربية: (هي مطابقة الفصيح لمقتضى الحال فلا بد فيها من التفكير في المعاني الصادقة القيمة المبتكرة منسقة حسنة الترتيب مع توخي الدقة في انتقاء الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وحال من يكتب لهم أو يُلقى إليهم).[3]

وقد جمع عاطف فضل تعريفات اصطلاحية عدة للبلاغة في كتابه البلاغة العربية للطالب الجامعي نوردها على النحو التالي:[4]

أ. يعرفها القزويني بقوله: أما بلاغة الكلام فهي مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، أي أن لكل مقام مقالا، فمخاطبة العلماء تختلف عن مخاطبة العامة ومخاطبة الملوك غير مخاطبة الوزراء وهكذا...فلكل ما يناسبه."

ب. تعنى كلمة بلاغة حين ترد في كتب الأدب في الزمن الأول قبل القرن الرابع. المعنى العام للقول الجميل الذي يبلغ به الأديب درجة من الجودة بتعدد نظرة من يستخدم

[1] الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم العربية، مكتبة لبنان، (د ط)، (د ت)، ص26.

[2] المرجع نفسه، ص26.

[3] محمد أبو شارب، المدخل لدراسة اللغة العربية، دار الوفاء لدينا، القاهرة، ط1، 2007م، ص9.

[4] عاطف فضل، البلاغة العربية للطالب الجامعي، دار الرازي، ط1، 1426هـ – 2006م، ص37.

اللفظة، كلها تدور حول المعنى الذي أشرنا إليه وتناول كذلك حسن التعبير في شتى صوره اللفظية الشكلية باعتبار المتكلم نفسه، هيئته، سلامة منطقه، وإشاراته.

ج. يورد الجاحظ قول العتابي حين سئل عن البلاغة: (البليغ كل من أفهمك حاجتك من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ).

د. قال الأصمعي عن البلاغة: (البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر، يعني كما قال جعفر بن يحي أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلى عن مغزاك ويخرجك عن الشركة، ولا تستعين عليه بالفكرة.

هـ. كذلك الرماني في(النكت) يستخدم البلاغة بالمعنيين جميعا فيقول:

"فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات، منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو أدنى طبقة ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس. والبلاغة إفهام المعنى؛ لأنه قد يفهم المعنى متكلمان: أحدهما بليغ والآخر عيي، ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف، وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن. وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة".[1]

5 ـ ذكر الرواة أن ابن المقفع عندما سئل عن البلاغة وتفسيرها قال: "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الإسماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما

[1] محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي، دار منشأة المعارف، الاسكندرية، ط3، (د ت)، ص23-25.

يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل. فعامة الناس من هذه الأبواب الوحي فيها الإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة...".[1]

6ـ قال ابن المقفع: "لا خير في الكلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك" وقال بشر بن المعتمر ـ وهو أحد بلغاء المعتزلة:"... والمعنى ليس يشرف بأن يكون من المعاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال...".[2]

المبحث الثاني: أسباب نشأة البلاغة العربية وظهورها

لا يبرز أي علم من العلوم عند الأمم المختلفة إلاّ إذا تهيأت له أسبابه، والبلاغة العربية ماهي إلا أحد الفنون اللغوية التي دعت إلى ظهورها بواعث مختلفة نوردها على النحو التالي:

أولا: الأسباب الدينية

1ـ الرغبة في فهم أسرار إعجاز القرآن الكريم وإقامة الأدلة العلمية على هذا الإعجاز.

2ـ اختلاف العرب في تأويل آي القرآن الكريم.

3ـ تعرض القرآن الكريم لحملة من التشكيك والهجوم.[3]

4ـ اختلاف وجهات النظر في الإعجاز، وكثرة سبل القول؛ لأن الوصول إلى ذلك صعب، وتحديد وجوه البلاغة في القرآن أصعب.[4]

---

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، الاسكندرية، (د ط)، (د ت)، ص20.

[2] مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، قطر، (د ط)، (د ت)، ص17.

[3] عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب، القاهرة، ط 2، 2000م، ص 19.

[4] ينظر: أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد ـ الجمهورية العراقية، (د ط)، 1982، ص31.

5ـ التشكيك في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.[1]

6ـ الجدل الكبير الذي قام بين الفرق الدينية، والذي كان سببا في تدوين الملاحظات البلاغية فيما بعد.

7ـ محاولة كشف أسرار البلاغة القرآنية وبيان دلائل إعجازها، كان باعثا هاما لوضع علوم البلاغة(المعاني، البيان، البديع).[2]

8ـ بعد نزول القرآن ببلاغته بدأ العرب بدراسة أسرار هذه البلاغة بما فيه من براعة في التركيب والتصوير وسلامة في الألفاظ وعذوبة وسهولة ليبرهنوا على إعجاز القرآن وليستوضحوا أحكامه ويتفهموا معانيه.[3]

9ـ لقد كان تأثير القرآن واضحا في اتخاذه مدارًا للدراسات البلاغية.[4]

ثانيا: الأسباب الفنية

1ـ فساد الذوق وانحراف الملكات وتضاؤل الطبع في نفوس العرب بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، وامتزاج العرب بالشعوب الأخرى، فشاع اللحن فكان من البواعث في تدوين أصول البلاغة العربية لتكون ميزانا للكلام.

2ـ الخلاف الذي نشب بين أئمة الأدب وعلمائه في بيان جودة وحُسن الكلام حتى يرقى في سلم البلاغة وينال قسطه من الفصاحة وتناقض آرائهم في ذلك.

3ـ تمييز الكلام الحسن من الرديء والموازنة بين القصائد والخطب والرسائل.[5]

---

[1] محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار أفريقيا الشرق، بيروت ـ لبنان، (د ط)، 1999، ص 154.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط 2، 1989م، ص 9.

[3] عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب، القاهرة، 2001م، (د ط)، ص 7 ـ 8.

[4] المرجع نفسه، ص 9.

[5] ينظر: أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، ص 25.

4ـ توافر الذوق الفني والحسّ الجمالي الرفيع، لوضع هذه الأشياء في مواضعها المناسبة والملائمة.[1]

5ـ ممارسة الناس كلامهم بألوان التعبير البليغ، وتدريب أنفسهم على تذوُّق آداب القول، ومعرفة أحوال التلاؤم بين أسلوب الكلام ومقتضى حال المخاطب به، حتى يكون كلامُهُم أكثر تأثيرًا وتأثرا، وتكون متأسية بمنهج القرآن الكريم.[2]

6ـ اشتهار العرب في العصر الجاهلي بفصاحة اللسان وبلاغتهم في التعبير ولم يكتسب العرب هذه الفنون من علم تعلموه، بل جاءت هذه الفنون الأدبية من الفطرة التي نشأوا عليها، واتصفت هذه الفطرة بتمييز جيد الكلام ورديئه، وكان سوق عكاظ موقع تجمع الشعراء.[3]

7ـ إرشاد وتعليم الذين يريدون الإصابة في القول.

ثالثا: الأسباب العامة

1ـ قيام سوق نافعة للمناظرة بين أئمة اللغة والنحو في الحفاظ على أساليب العرب وأوضاعها من جانب الأدباء والشعراء وغيرهم.

2ـ تحسين اللغة والدعوة إلى الفصاحة والصفاء، في قول كلام العرب.[4]

3ـ اختلاف لغات العرب في الحركات، وإبدال ما يجب تغييره في كلامهم.

---

[1] ينظر: عبد الرحمان حسن حبنكة الميراني، البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، دار القلم، دمشق، حلبُونِي، ط 1، 1416هـ ـ 1996م، 58/1.

[2] المرجع نفسه، ص 51.

[3] أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، ص 9.

[4] ابن فارس، الصاحبي، فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامهم، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان ط1، 1418هـ–1997م، ص 11.

4- انتشار اللحن والمغالطات في كلام العرب.[1]

5- رغبة الناس في الاشتغال بأصول الفقه، وعلوم الآلة التي من فنونها البلاغة لها أهميتها في هذا المجال.

6- تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب بأمم شتى، وأدى ذلك الاتصال إلى فساد اللغة، ودخول اللحن فيها، يضاف إلى ذلك أن كثيرا من المسلمين كانوا بحاجة إلى تعليم العربية وبلاغتها ليفهموا كتاب الله.[2]

7- انتشار اللحن في استعمال اللغة العربية، وميول اللغة نحو الضعف.[3]

8- عدم الحفول بالمعنى وطرائق التعبير عنه في الدراسات السابقة.

9- زيادة الثروة اللفظية اللغوية ودورها في توليد الألفاظ.[4]

10- عدم فصاحة الكلمة وعُرِيّهَا عن البلاغة.[5]

11- معرفة وفهم معاني الجمل التي يتم قراءتها خاصة الأبيات الشعرية والقوافي.

12- القدرة على النطق بالكلام الفصيح وتمييز الجيد من الرديء.

13- تحضرّ العرب واستقرارهم في المدن.

---

[1] المرجع السابق، ص 13 ـ 22.

[2] أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، ص23-24.

[3] المرجع نفسه، ص23.

[4] عبد الواحد حسن الشيخ، المدخل إلى البلاغة العربية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، كلية التربية-جامعة الإسكندرية، (دط)، (دت)، ص54.

[5] المرجع نفسه، ص47.

لقد تعددت الأسباب في ظهور ونشأة البلاغة العربية وتنوعت بين دينية تخص الإعجاز القرآني، وفنية من تذوق وحسّ جمالي وأدبي، إضافة إلى الأسباب العامة التي جعلت البلاغة تسمو وترتقي قبل عهد الإمام عبد القاهر الجرجاني.

المبحث الثالث: مباحث علم البلاغة وقضاياه

البلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، فهي تكون وصفا للكلام، وتحمل البلاغة معاني كثيرة في ألفاظ قليلة.

أولا: المباحث

لقد نالت البلاغة حظها من السبر والتقسيم قبل الجرجاني عبد القاهر، فهم قد قسموها إلى قسمين بارزين: البديع والبيان.

1.علم البيان:

إن البيان لم يرد قبل عبد القاهر الجرجاني كعلم قائم بذاته، وإنما كان مشارا إليه في بعض الكتب من بينها كتاب الجاحظ البيان والتبين. حيث قال: "بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم، مستورة خفيفة وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى، معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره".[1]

[1] الجاحظ، أبو عثمان عمر وبن بحر بن محبوب، البيان والتبين، تح: درويش، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د ط)،2001م، ص56.

والمقصود من هذا القول إن المعاني موجودة في قلوب الأفراد والمتطبعة في عقولهم والمتصلة بنفوسهم، فهي تعبير عن أفكارهم، فالمعاني غير واضحة ومكان تواجدها في المعنى، فهي ليست جماعية وإنما فردية ذاتية؛ أي لا يعرف الإنسان ما يدور في ذهن الفرد.

أ. تعريف البيان

لقد عرف الجاحظ البيان في قوله:" والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل. لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع".[1]

ونجد الجاحظ قد اقتصر في هذا التعريف للبيان على كلمة اسم إلا أنه أعطاها العمومية في قوله:" اسم جامع لكل شيء" الذي يفصح ويكشف ويظهر حقيقة المعنى ويهدم الحاجز ويزيل الحائل بينه وبين الاسم، ويزيل الغموض واللبس والإبهام الذي يعتريه دون الإحالة عنه أو الإشارة إليه، وعليه فالبيان هو غاية الإفهام من القائل وغاية الفهم من السامع.

و"البيان يعني عند القدماء مناسبة اللفظ للمعنى الذي يرمي إليه، أي أن يعبر عن معناه، وأن يكون سليما بعيدا عن التكلف والصنعة وخاليا من التعقيد الذي قد يخرجه من دائرة البيان."[2]

[1] المرجع السابق، ص56.

[2] جهيدة عبدات وأمال ساسي، المصطلحات البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبين ج1، مذكرة ماستر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البويرة، 2016م-2017م، ص28.

ب. ما قيل في البيان:

"أن حكم المعاني يختلف على حكم الألفاظ، كون المعاني مبسوطة ومطروحة إلى غير نهاية، أما أسماء المعاني، فهي محدودة ومحصورة، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من اللفظ وغير لفظ : خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال، سمي نصبة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات".[1]

ج. مباحث البيان:

إن للبيان مباحث ثلاثة، أولا المجاز حيث نجد له أهمية كبيرة عند الباحثين في القرآن الكريم، حيث احتل منزلة واضحة في الدراسات القرآنية منذ أول ظهورها، ثانيا الاستعارة فهي نوع من المجاز اللغوي في علم البلاغة، وهو يشابه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الآخر المختلف والذي تود إيصاله الجملة، وأخيرا الكناية وهي من أقدم المصطلحات البلاغية، فهي تفهم من السياق.

ج.1.المجاز:

ج.1.أ.تعريف المجاز:

"اتفق جميع البلاغيين على أن المجاز هو استعمال اللفظ لغير ما وضع له أصلا. أما الجاحظ فنجده قد عرف المجاز في قوله: خروج عن المعنى الأصلي وابتعاد عنه، فهو عبارة عن مخالفة ترتكب من المتكلم ضد قاعدة التطبيق بين اللفظ والمعنى، هذا التطبيق الذي يعتبر حقا من الحقوق، وواجبا من الواجبات، فالمتكلم الذي يلجأ إلى المجاز هو متكلم

[1] ينظر: الجاحظ، البيان والتبين، تح: درويش، ص56-57.

يستبيح إعطاء المعاني مالا تستحقه من الألفاظ، ولذلك لم يفهم المجاز إلا على أنه تجاوز المقدار أو مجاوزة لمقدار الحاجة أو تحويل المعاني عن مقادير صورها."[1]

يعني الجاحظ بهذا نقل المعنى من معناه الأصلي إلى معنى بعيد لا يدرك إلا من وراء الألفاظ.

وللمجاز أنواع من بينها المجاز العقلي والمجاز اللغوي والمجاز المرسل وهو فرع من فروع المجاز اللغوي، ومن بين علاقات المجاز المرسل نذكر منها:

السببية، المسببية، الكلية، الجزئية، الماضوية، المستقبلية، المحلية، الحالية، الآلية.

ج.1.ب.مثال عن المجاز:

قال امرئ القيس:

قفا فاسألا الأطلال عن أم مالك وهل تخبر الأطلال غير التهالك؟

هنا فقد علم أن الأطلال لا تجيب إذا سئلت، إنما معناه: قفا فاسألا أهل الأطلال.[2]

ج.2.الاستعارة:

تعتبر الاستعارة الدعامة الأولى الأساسية للبلاغة وتعرف الاستعارة بأنها نقل سمات وخصائص شيء ما لشيء آخر يكون بعيدا عنه في الأصل.[3]

ظهر مصطلح الاستعارة في أشعار العرب خاصة، وذلك كقول النابغة الذبياني:

وصدر أراح الليل عازب أهله تضاعف فيه الحزن من كل جانب

[1] جهيدة عبدات وأمال ساسي، المصطلحات البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، 58/1.

[2] أحمد مداح، التنظير البلاغي عند ابن قتيبة ، مذكرة الماجستير، قسم العربية وآدابها، جامعة وهران، 2011م-2012م، ص86.

[3] جهيدة عبدات وأمل ساسي، المصطلحات البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين،60/1.

وهذا مستعار من إراحة الراعي الإبل إلى الموضع التي تأوي إليه.[1]

كانوا يستعملونها قصد التأثير في السامع وكي تزيد كلامهم جمالا، وذلك دون أن يعرفوا قواعد سيرها ووقعها.[2]

ج.3.الكناية:

"الكناية وهي كلام أريد به معنى غير معناه الحقيقي الذي وضع له، مع جواز إرادة ذلك المعنى الأصلي، إذ لا قرينة تمنع هذه الإرادة."[3]

مثال عن الكناية:

"في قول المتنبي في إيقاع سيف الدولة بأعدائه:

فمساهم، وبسطهم حرير وصبحهم، وبسطهم تراب

أراد المتنبي أن يقول: إن سيف الدولة هاجم أعداءه الذين قضوا ليلتهم وهم في عز، ولما أصبح عليهم الصباح ماتوا جميعا فأصبحت بسطهم ترابا، أو أنهم كانوا في المساء سادة أعزاء، ثم صاروا في الصباح بعد الإيقاع بهم فقراء.. أو قتلى..

فالتعبير ب(بسطهم حرير) و(بسطهم تراب) كنايتان عن صفتي الغنى والفقر.. كما يجوز في الوقت نفسه إرادة المعنى الأصلي لبسط الحرير وبسط التراب."[4]

2.علم البديع:

إن ابن المعتز هو أول من اقتحم هذا الباب في كتابه "البديع" في قوله "وما جمع فنون

---

[1] المرجع السابق، ص29.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] بكري الشيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد،ج2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1 ،1982م، ص139.

[4] المرجع نفسه، ص139-140.

البديع ولا سبقني إليه أحد."[1]

أ. تعريف البديع:

"البديع هو علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسنا وقبولا مع رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة."[2]

أي أن هذا العلم يعرف من خلال ظاهر الكلام، وبما يمتاز من خصائص أضافت له جمالا، ومراعاة مطابقة مقتضى الحال، وإفصاح الدلالة.

ب. أقسام البديع:

"ومواطن التحسين الكلامي، ووجوهه في البديع ضربان:

ضرب يرجع إلى المعنى: وهو يعرف بالمحسنات المعنوية، وهي التي يكون فيها التحسين بها راجعا إلى المعنى أولا بالذات.

ضرب يرجع إلى اللفظ: وهوما ما يعرف بالمحسنات اللفظية، وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ أصالة."[3]

ج. فنون البديع:

تنقسم المحسنات إلى معنوية ولفظية: وهذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى وضرب يرجع إلى اللفظ.[4]

---

[1] ابن المعتز أبو العباس عبدالله، كتاب البديع، شرح وتحقيق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، بيروت، ط1، 2012م، ص5.

[2] أحمد مداح، التنظير البلاغي عند ابن قتيبة، ص158.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] أبو المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، بالجماميزت، (د ط)، (د ت)، ص3.

ج.1- قسم المحسن المعنوي:

المطابقة أو الطباق: قال الخليل رحمه الله" طابقت بين الشيئين إذ جمعتهما على حذو واحد".[1]

كذلك قال أبو سعيد، فالقائل لصاحبه: أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان، قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب.[2]

مثال عن الطباق:

في قول القاضي الأرجاني...

ولقد نزلت من الملوك بما جد فقر الرجال إليه مفتاح الغنى

فالطباق هنا بين الكلمتين "الفقر" و "الغنى".[3]

الطباق هناك ظاهر وخفي: والطباق قد يكون ظاهرا كما ذكرنا، وقد يكون خفيا نوع خفاء، كقول أبي تمام:

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

طابق بين هاتا وتلك.[4]

طباق الإجاب وطباق السلب: والطباق ينقسم إلى طباق الإيجاب كما تقدم، وإلى طباق سلب، وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهي.[5]

---

[1] ابن المعتز، كتاب البديع، ص48.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] أبو المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ص6.

[4] المرجع نفسه، ص7.

[5] نفسه، الصفحة نفسها.

مثال في قول أبي الطيب:

ولقد عرفت وما عرفت حقيقة ولقد جهلت وما جهلت خمولا

فطباق السلب بين الكلمات" عرفت ما عرفت" و" جهلت وما جهلت".[1]

المقابلة: هي أحد فنون طباق، وهو أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل.[2]

ج.2- قسم المحسن اللفظي: الجناس التام و أقسامه: وأما اللفظي فنه الجناس بين اللفظتين، وهو تشابهما في اللفظ.[3]

فالجناس هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على سبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها.[4]

مثال في التجنيس: في قول الشاعر:

يوم خلجت على الخليج نفوسهم عصبا وأنت لمثلها مستام

التجنيس بين الكلمتين "خلجت والخليج"

أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى مثل قول الشاعر:

يا صاح إن أخاك الصب مهموم فارفق به إن لوم العاشق اللوم.[5]

[1] المرجع السابق، ص8.

[2] المرجع نفسه، ص13.

[3] نفسه، ص77.

[4] ابن المعتز، كتاب البديع، ص36.

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ثانيا: القضايا

1. قضية اللفظ والمعنى:

لقد ظهر اهتمام النقد التراثي بهذه القضية وكانت واحدة من القضايا المركزية والتي شغلت الفكر النقدي العربي، وقد استخدموا مصطلح المعنى بدلالتين، لا دلالة واحدة، فبدا واضحا أن المقصود منه أحيانا الفكرة الذهنية المجردة، وهي التي تواضع الناس في بيئة ما أو زمن ما على قبولها واستحسانها أو رفضها واستهجانها، كما بدا المقصود منه، في سياقات أخرى وأحيانا، ومغايرة، المعنى الشعري الذي يتمثل في ذلك المعنى بعد أن يصاغ صياغة فنية خاصة، وتمتزج هيئته الفنية بمادته الدلالية في كل لا يتجزأ على نحو يستثير معه لدى المتلقي استجابة لا يمكن أن تعزى لأيّهما منفصلا أو مستقلا وإن جاء التعبير عن تلك الاستجابة لدى بعض النقاد مرجحا لهذا الجانب أو ذلك.[1]

أ. تعريف اللفظ:

اللفظ هو القابل المادي أو الحسي المنطوق لمصطلح المعنى، إذ وصف بأنه فكرة ذهنية مجردة لا يمكن أن ترجع إلى المادة، فإن ما يقابل هذه الفكرة الذهنية المجردة هو ما نقصده باللفظ وعليه اللفظ هو المنطوق الذي يتكلم به اللسان أيا كان قدره وكمه وهو شكل ويقابل المعنى.[2]

ب. تعريف المعنى:

"إن المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه وقد يكون معنى الكلام في اللغة ما تعلق به القصد، و"الحقيقة" ما وضع من القول موضعه ما ذكرنا، يقال عنيته

[1] نورة فلوس، بيانات الشعرية العربية من خلال مقدمات المصادر التراثية، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري تيزي وزي، 2012م، ص40.

[2] الدوادي بريكة ومحمد زغمار، التناسب بين الألفاظ والمعاني في معلقة لبيد بن ربيعة العامري، مذكرة ماستر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري قسنطينة، ماي 2011م، ص4.

وأعنيه معنى، والمفعل يكون مصدرا ومكانا وهو هنا مصدر ومثله قولك دخلت مدخلا حسنا، أي دخولا حسنا."[1]

المعنى هو ما تحمله النفس من الدلالة على أشياء حسنة أو معنوية، وتظهر هذه المعاني خارج النفس في صورة رموز صوتية أو كتابية أو حركات تعبيرية وصور رمزية.[2]

"والمعنى هو ما تضمنه اللفظ. يقول الجرجاني المعاني هي الصور الذهنية، قال أبو علي رحمه الله: إن المعنى هو المقصد إلى ما يقصد إليه من القول فجعل المعنى القصد؛ لأنه مصدر، وكقولهم: عنيت بكلامي زيدا كقولك، أردته بكلامي والمعنى مقصود على القول دون ما يقصد، ألا ترى أنك تقول معنى قولك كذا، ولا تقول معنى حركتك كذا، ثم توسع فيه فقيل ليس لدخولك إلى فلان معنى والمراد أنه ليس له فائدة تقصد ذكرها بالقول وأورد الزبيدي عن المناوي أن المعاني هي الصور الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ، ولذلك تصبح لهذه الصورة الذهنية أسماء تطلق عليها بحسب مراتب حصولها".[3]

ج.علاقة اللفظ بالمعنى :

شاعت آنذاك نظريتان، الأولى ترى أنها علاقة طبيعية، والثانية ترى أنها مواضعة وعرف واصطلاح.

وامتد الأمر إلى سقراط(470–399 ق.م) ثم أفلاطون(427_348ق.م) الذي يرى أن للألفاظ معنى لازما يتصل بطبيعتها الذاتية، فالكلمات عنده تتطابق ومسمياتها، وذلك في محاورة قراطيلوس أو كراتيل.[4]

---

[1] عباس محمد وآخرون، متون، مجلة دورية محكمة يصدرها معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي، مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر، العدد:01، جانفي 2008م، ص82.

[2] الدوادي بريكة ومحمد زغمار، التناسب بين الألفاظ والمعاني في معلقة لبيد بن ربيعة العامري، ص9.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص41.

ومنهم من ربط بين اللفظ والمعنى، فجعلهما متلازمين تلازم الروح والجسد مترابطين ترابط الثوب بمادته، كابن رشيق الذي يقول: "اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ، وكان نقصا للشعر وهجنه عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور، وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه، وكان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح".[1]

ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ، وجريه فيه على غير الواجب، قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد، بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين إلا أنه لا ينفع به، ولا يفيد فائدة، وكذلك إن اختل اللفظ جملة، وتلاشى، لم يصح له معنى، لأنا لا نجد روحا في غير جسم ألبتة.[2]

2.البلاغة وعلاقتها بقضية اللفظ والمعنى:

تحدث الجاحظ عن قضية اللفظ في جوانب مختلفة قرر فيها أن أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه... فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه ومتزنا عن الاختلال مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صنع في التربة الكريمة.[3]

فقول الجاحظ هنا يبين أنه يجعل البلاغة في اللفظ والمعنى معا ويذكر بعض الشروط التي تجعل الكلام بليغا منها شرف المعنى وأن يكون اللفظ غير مستكره وغير

[1] بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، مؤسسة المختار، دار المعالم الثقافية للنشر وللتوزيع، القاهرة، ط1، 1998م، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص30.

[3] جهيدة عبدات وأمال ساسي، المصطلحات البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين، ص36.

متكلف، والبلاغة عنده هي المزاوجة بين اللفظ والمعنى، المتمثلة في نظم الألفاظ وقناعته بأن البلاغة هي النظم، دعته إلى كتاب أسماه نظم القرآن أوضح فيه نظرياته القائلة بأن إعجاز القرآن هو في نظمه وتأليفه.[1]

إن فن البلاغة العربية قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني أو لنقل قبل القرن الخامس الهجري عموما كان يحويه مصطلح البديع بالمعنى العام، ورغم أن مباحث علم البيان كانت موجودة في واقع الدرس البلاغي العربي لكنها لم تؤسس اصطلاحيا وقتذاك. هذا، وقد دفعت قضية اللفظ والمعنى والجدل الذي دار حولها الدراسة البلاغية نحو إيضاح المحاور الكبرى للبلاغة عموما، وقد بات من الضروري إعادة الترتيب والتبويب لهذا الفن اللغوي الذي تأخر فيه العمل التنظيري مقارنة بفنون أخرى.

المبحث الرابع: بدايات التأليف البلاغي العربي

نشأت البلاغة وترعرعت تحت راية القرآن والبحث في إعجازه... وهذا البحث هو الذي وصل بها إلى أن تصبح علمًا مستقلاً يختص بالتأليف.

أولاً: التآليف البلاغية غير المتخصصة

ونقصد بها تلك الكتب التي ألفت في فنون أخرى غير البلاغية لكنها ضمت مباحث وفصولًا بلاغية، وهذا شيء منها:

1. كتاب معاني القرآن للفراء (207هـ):

إن السبب في تأليف هذا الكتاب هو الغوص في ألفاظ ومعاني القرآن، وقد تضمن هذا الكتاب تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه، والتوضيح للقارئ الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم في مواضع، ومواضع أخرى يشرح للقارئ طريقة العرب في التعبير وبلاغتهم

[1] المرجع السابق، ص36.

وكيف كان من شأن العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه.[1]

2. معاني القرآن لأبي عبيدة(210هـ):

يتميز أبو عبيدة بوفرة محصوله العلمي، وهو يدرك ما في اللغة والشعر من جمال، ويقف أبو عبيدة ويقارن الصور الشعرية بعضها ببعض، ثم بينه على المعاني الجديدة الخاصة بكل شاعر، وفي التراث الأدبي العظيم الذي خلفه لنا أدلة واضحة على هذا.

لقد كان أبو عبيدة يرى أن القرآن نص عربي، وأن الذين سمعوه من الرسول(ﷺ) ومن الصحابة لم يحتاجوا في فهمه إلى السؤال عن معانيه؛ لأنهم كانوا في غنى عن السؤال مادام القرآن جاريا عن سنن العرب في أحاديثهم ومحاوراتهم، ومادام يحمل كل خصائص الكلام العربي من زيادة، وحذف، وإظهار، واختصار، وتقديم، وتأخير.[2]

3. البيان والتبيين للجاحظ(255هـ):

تعرض الجاحظ لكثير من الفنون البلاغية، فعرضها عرضا يمتاز بالجمع بين الحديث النظري والنموذج التطبيقي، ففي البيان والتبيين نماذج رائعة وكثيرة لكل ما عرض له الجاحظ من فنون البلاغة وأساليب البيان، لقد عرض للبديع، فذكر أصحابه، وعدد شعراءه، وعرض للإيجاز، فبين فضله وأتى بنماذج منه. وتحدث عن الإطناب، فذمه وذم التكلف فيه، وذكر الازدواج ومثل له، وتحدث عن السجع وجاء بنماذج منه. وتعرض الجاحظ أيضا للمجاز والتشبيه، وذكرهما في كثير من المناسبات، ففي البيان والتبيين كثير من التشبيهات الرائعة.[3]

---

[1] الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار الكتب البصرية بالقاهرة، ط 1، 1374هـ- 1955م، 1/ 18- 23. بتصرف.

[2] أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تح: محمد فؤاد سزكين، الخانجي، بمصر، ط 1، 1374هـ -1954م، ص 22 - 23. بتصرف.

[3] مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص 55 -56.

4. كتاب الحيوان للجاحظ(255هـ):

ففي كتاب الحيوان وقفات موفقة ولفتات ذكية تدل على إدراك الجاحظ لحقيقة المجاز ولأركان التشبيه، ففي مناقشته لرأي النظام في الاحتراق والنار... يقف ليتحدث عن معنى أكل النار لما تأتي عليه فيكون لنا من ذلك أبواب عن المجاز والتشبيه في الأكل والذوق.[1]

5. كتاب الكامل في اللغة والأدب أبي العباس المبرد(285هـ):

تناول كثيرا من المسائل البلاغية، فقد تحدث فيه عن عيوب الكلام ووضوحه، كما تناول الإيجاز، والمساواة، والإطناب، فتحدث عن (الاختصار المفهم والإطناب المفخم...)

وكثيرا ما كان المبرد يشير إلى بعض الصيغ التي خرجت عما وضعت له كصيغة الاستفهام.[2]

6. كتاب قواعد الشعر لثعلب(291هـ):

يعتبر أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب، أحد زعماء مدرسة الكوفة وكتاب قواعد الشعر من بين أهم مؤلفاته، وقد تطرق في هذا الكتاب إلى المدح والهجاء والرثاء والاعتذار والتشبيب والتشبيه وحكاية الأخبار. ويُورد ثعلب مجموعة كبيرة من الشواهد على أنواع التعبيرات الصائبة أو التعبيرات المعيبة مثل التشبيه الخارج عن التعدي والتقصير، والإفراط في الإغراق، ولطافة المعنى، والاستعارة، وحسن الخروج عن بكاء الطلل، وشرح ذلك جزالة اللفظ واتساق النظم.[3]

[1] المرجع السابق، ص 56.

[2] المرجع نفسه، ص 61.

[3] ثعلب، قواعد الشعر، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 1، 1995م، ص 16 -18.

7. كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي(332هـ):

ففي (عيار الشعر) يتحدث ابن طباطبا عن صنعة الشعر وقياس بلاغته، وكيف يبلغ الشعر منه ما يريد، ولعل من أبرز ما تناوله في الصنعة الشعرية ومعيارها موضوع التشبيه، فهو عنده موضوع مفصل وبحث مسهب ويعرض فيه لأنواع التشبيهات المختلفة وما يتصل بها.[1]

8. نقد الشعر لقدامة بن جعفر(337هـ):

يتألف الكتاب من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تناول فيه تعريف الشعر وتفصيل عناصره.

القسم الثاني: أظهر فيه شروط الجودة، وهي التي ينبغي أن تتوافر في كل عناصر الشعر.

القسم الثالث: وأبرز فيه نعوت الرداءة، وهي التي يكون الشعر بسببها ـ إذا وجدت ـ رديئا.[2]

9. الموازنة بين الطائيين للآمدي(370هـ):

يلجأ الآمدي إلى الكثير من الفنون البلاغية التي استعملها كل من الشاعرين، فيستعين بها في الموازنة بينهما، إنه يفاضل بين الاستعارات والتشبيهات، ويوازن بين أنواع بديعية وقعت في شعر الشاعر ليصل من وراء ذلك إلى تفضيل أحد الشاعرين وإيثار مذهبه على الآخر.

وهكذا، فعلى الرغم مما قلناه فيهما، لا يمكن أن نعد هذا الكتاب كتابا في البلاغة بالمعنى الذي آلت إليه البلاغة.[3]

---

[1] مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص 80 –81.

[2] المرجع نفسه، ص 76.

[3] نفسه، ص 81.

10. الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني(392هـ):

تحدث طويلا فيه عن الكثير من الفنون البديعية ـ وفنون البديع في عصره كانت تشتمل على كثير مما خرج فيه فيما بعد عن نطاق البديع ـ كالاستعارة والتشبيه والتمثيل... وكذلك كان حديث الجرجاني عن أبي الطيب حديثا امتزج النقد فيه بالبلاغة، أو كانت البلاغة فيه عنصرا أساسيا من عناصر النقد. وهكذا، فعلى الرغم مما قلناه في الوساطة لا يمكن أن نعده كتابا في البلاغة بالمعنى الذي آلت إليه البلاغة.[1]

11. كتاب إعجاز القرآن للباقلاني(403هـ):

تحدث فيه الباقلاني عن البلاغة وقضاياها في فصوله الأخيرة، فهناك فصل: في نفي السجع في القرآن، وفصل في ذكر البديع من الكلام. وفصوله الأولى تحدثت عن القرآن وإعجازه.

12. كتاب شرح ديوان الحماسة للمرزوقي(421هـ):

إن كتاب شرح ديوان الحماسة للقاضي المرزوقي جمع بين دفتيه حسنيين اثنتين. أولهما هذه المجموعة الطيبة الرائعة من شعر العرب القديم، التي اختارها الشاعر الكبير أبو تمام، ومجموعة الأشعار من الشواهد التي أوردها المرزوقي نفسه خلال شرحه. والحسنى الثانية هذه الشروح الضافية الجميلة التي أنارت ألفاظ هذه الأشعار ومعانيها وأضاءت صورها الفنية، وقربت كل ذلك من ذهن القارئ المتلقي في أبهى صورة أقوم مقال.

فهو يعتمد كثيرا في شرح الشعر على عناصره التشبيه والاستعارة والكناية.[2]

---

[1] المرجع السابق، ص 81- 82.

[2] إلهام السوسي العبد اللوي، العناصر البلاغية والنقدية في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (79)، 471/3.

13. كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني(454هـ):

يتألف كتاب (العمدة) من جزأين يشتملان على نيف ومئة باب، ويعالج ابن رشيق فيه كثيرا من الموضوعات الأدبية والقضايا النقدية، كبيان فضل الشعر، والرد على من يكره، وشرح موقف الإسلام منه، وبيان منافعه ومضاره. ويتعرض فيه للقدماء والمحدثين من الشعراء، وللمكثرين والمقلين منهم، ويتحدث عن الشعر والشعراء وطبقاتهم...

ويقف عند البلاغة فيستعرض كل ما كان معروفا من فنونها وامتزجت البلاغة فيه بالنقد.[1]

14. كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي(466هـ):

تعرض ابن سنان ـ لأول مرة في الدراسات البلاغية ـ لموضوع الأصوات، وذلك لأن طبيعة بحثه في الفصاحة. وتعرض ابن سنان في كتابة لكثير من قضايا النقد وآراء النقاد في الشعر والشعراء، وأقوالهم في القدماء والمحدثين، كما عرض في أثناء ذلك كثيرا من الفنون البلاغية.[2]

ثانيًا: التآليف البلاغية المتخصصة

ونقصد بها الكتب التي حوت المباحث والفصول البلاغية تنظيرا وتطبيقا، ونجملها على النحو التالي:

1. كتاب البديع لابن المعتز(296هـ):

والبديع عند ابن المعتز يشمل خمسة فنون هي: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد إعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي. وأن ابن المعتز لم يختصر كتابه على هذه

[1] مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص 86.

[2] المرجع نفسه، ص 88.

الفنون الخمسة، وإنما ذكر بعدها ثلاثة عشرة فنا، قال إنها من محاسن الكلام، وترك لمن يشاء أن يدخلها في فنون البديع.[1]

2. كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري(395هـ):

يتألف (كتاب الصناعتين) من عشرة أبواب تشتمل على ثلاثة وخمسين فصلا، تتناول الموضوعات البلاغية المختلفة في تحديد موضوع البلاغة لغة واصطلاحا، إلى تمييز جيد الكلام من رديئه، ومعرفة صنعته، وحسن الأخذ وقبحه إلى ذكر الإيجاز والإطناب، والتشبيه، وما يستحسن منه وما يستقبح، وذكر السجع، والازدواج، والقول في البديع ووجوهه وحصر أبوابه وفنونه...

وقد بلغت فنون البديع عند أبي هلال العسكري خمسة وثلاثين فنا واستغرقت من كتابه خمسة وثلاثين فصلا.[2]

ثالثا: الرسائل البلاغية

الرسائل البلاغية هي تلك الرسائل التي تشمل مباحث بلاغية بحته، وقد تضمّ قواعد نظرية قصد أصحابها جعلها متنًا لغاية تعليمية.

1. صحيفة بشر بن المعتمر (210هـ):

تعد صحيفة بشر بن المعتمر من أوائل الآثار المذكورة في توجيه الناشئة وتعليمهم أساليب الكتابة والخطابة–المعدة–، وترشدهم إلى أقصر الطرق لإجادتها وقد شهر أمر هذه الصحيفة، وتناقلت كتب الأدب والنقد والبلاغة بعض فقراتها، كل يأخذ منها بقدر ما يحتاج إليه موضوعه، وإن كنا لن نقف على نص ثابت وكامل لهذه الصحيفة إلا أنه يمكن الاطمئنان إلى ما أورده منها الجاحظ في البيان والتبيين، هذا وقد ورد نص الصحيفة في

[1] المرجع السابق، ص 71.

[2] المرجع نفسه، ص 84 –85.

الصناعتين مختلطا بآراء العسكري، كذلك وردت فقرات منها في كتاب العمدة.[1]

2. رسالة صناعة القواد للجاحظ (255هـ):

إن الموضوع الحقيقي للرسالة هو الأدب والبيان، ويتناول ما ينبغي أن نتعلم من الأدب واللغة لتستطيع التعبير عن أفكارنا في مختلف الموضوعات ولهذا يطلب الجاحظ في تعداد حسنات اللسان ويرجعها إلى عشرة. فاللسان أداة البيان والمعبرة عن النفس، والمصدر للحكم والمجيب، وطالب الحاجة وواصف الأشياء، والواعظ والمعزي، والمثني والملهي، ويردف هذه المحسنات بأقوال تدل على أهمية اللسان في حياة الإنسان.

فالإنسان بدون لسان يشبه البهيمة أو الصورة وقيمة الإنسان في لسانه وعقليته. وعلى هذا الأساس ينبغي أن يعنى المرء باللغة؛ لأنها أداة التعبير ومادة اللسان، وهذه العناية تقتضي التزود بالمفردات والتعابير المختلفة في كل علم وموضوع هذا ما قصد إليه الجاحظ بقوله للمعتصم: "فخذنا يا أمير المؤمنين".[2]

3. رسالة البلاغة والإيجاز للجاحظ(255هـ):

لم يبق من هذه الرسالة سوى الأسطر القليلة. ولكنها تلخص لنا مفهوم الجاحظ للبلاغة وعلاقتها بالإيجاز.

وإذا أردنا التوسع يمكننا التماس ذلك مسهبا في كتاب البيان والتبيين، وكتاب الحيوان.

ولقد أطلق الناس من عرب وعجم على أن البلاغة هي الإيجاز في القول.

لكن الجاحظ لا يوافق على ذلك ويعرف البلاغة بأنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة دون فضل أو تقصير، أي دون تطويل أو إيجاز، وهذا يعني المساواة. فالكلام البليغ هو الذي نستخدم فيه من الألفاظ القدر الضروري لإبلاغ المعنى إلى السامع. وهذا معنى قوله "وربما كان الإيجاز محمودا، والإكثار مذموما، وربما رأيت الإكثار أحمد من الإيجاز، ولكل مذهب

---

[1] بشر بن المعتمر، صحيفة بشر بن المعتمر، ص1. pdf http://site .iugaza.edu.ps

[2] ينظر: الرسائل الأدبية، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد. هارون، دار الجيل للطباعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ مصر، الجمهورية المصرية العربية، (د ت)، 375/1.

وانظر: الرسائل الأدبية ـ الجاحظ ـ مكتبة مدرسة الفقاهة ـ ar.lib.efatwa.ir

ووجه عند العاقل". وإن الإكثار يغدو عيبا إذا بعث على "الملال وجاوز المقدار وخرج عن مجرى العادة". ولكنه لا يعد عيبا إذا قصد به التعريف والتوكيد والتشديد، لأن التفريق يحتاج إلى تطويل، والتوكيد يقتضي التكرار، والتشديد يتطلب الإكثار.[1]

4. رسالة بمدح التجار وذم عمل السلطان للجاحظ (255هـ):

لم يبق من هذا الكتاب سوى صفحات قليلة. وما تبقى منه يعطينا فكرة واضحة عن محتواه. إنه مقارنة بين التجار وخدم السلطان.

والجاحظ كعادته يتخيل شخصا يؤيد خدم السلطان ويمدحهم فيرد عليه ويعارضه ويتنصل من التهمة التي وجهها إليه ذلك الشخص، وهي التكلف والصنعة البيانية في كتابته يقول: " استحى من الكتابة، واستنكف بأن أنسب إليها في البلاغة وأن أعرف بها في غير موضعها، ومن السجع أن يظهر مني، ومن الصنعة أن تعرف في كتبي، ومن العجب بكثير ما يكون مني".[2]

5. الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر (279هـ):

تعد الرسالة العذراء من أنضج الرسائل في موضوعها، حيث استقصى المؤلف فيها كل ما يتعلق بكتابة الرسائل، فتحدث عن طبيعة الكتابة وأدواتها، مؤهلات الكاتب ثم وما ينبغي أن يتزود به من علوم ومعارف وتحدث فيها عن أجزاء الرسالة وما يشترط في كل جزء، وما يستحب وما يستقبح فيها، هذا بالإضافة إلى أن "الرسالة ملأى بنقد الأسلوب ونقد المعنى"، ورشاقة نظم الكتابة، ومشاكل سرده، وحسن افتتاحه وختمه وانتهاء فصوله، واعتدال وصوله، وسلامته من الزلل، وبعدها من الخطل.[3]

وكان لصحيفة "بشر بن المعتمر" تأثيرًا واضحًا في تعلم الدرس الأدبي والإبداعي والخطابي والبلاغي، وما يهمنا هو أهميتها الكبيرة في تاريخ البلاغة العربية.

---

[1] كتاب الرسائل الأدبية، للجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، 319/3.

[2] المرجع نفسه، ص 376.

[3] ينظر: إبراهيم بن المدبر، الرسالة العذراء، تحقيق وتقديم: زكي مبارك، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط2، 1350هـ -1931م، ص 6.

6. النكت في إعجاز القرآن للرماني (384هـ):

تأخذ الرسالة شكل جواب وسؤال وجه المؤلف عن (ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج)، وهذا الجواب يتلخص في أن وجوه الإعجاز تظهر في سبع جهات: ترك المعارض مع توافر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقص العادة وقياسه بكل معجز.

ويوجه المؤلف همه في هذه الجهات السبع إلى البلاغة فيذكر أنها على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة. وبعد أن يشرح المؤلف كل واحدة من هذه يحصر البلاغة في عشرة أقسام أو أبواب هي: الإيجاز والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان. ثم يستمر فيفسر هذه بابًا بابًا بتعريف الموضوع ثم بتقسيمه إلى نواحيه مستشهدًا لكل ناحية بالآية تلو الآية من القرآن، وندر أن يستشهد ببيت من الشعر أو قول مأثور من النثر إلا ما استلزمته الموازنة بين الآية وما في معناها من كلام العرب.[1]

7. بيان إعجاز القرآن للخطابي (388هـ):

في هذه الرسالة يقرر الخطابي أن الناس قديمًا وحديثًا ذهبوا في الموضوع كل مذهب من القول ولم يصدروا عن رِيّ. ويناقش فكرة الصرفة، وفكرة تضمن القرآن للأخبار المستقبلة، ولا يرتضيها شرحا لأسرار الإعجاز، ثم ينتقل إلى موضوع البلاغة، ويعيب على القائلين بها اعتمادهم على التقليد وعدم تحقيقهم وقصور كلامهم عن الإقناع. ويعالج هو الموضوع على طريقته فيذكر الأقسام الثلاثة للكلام المحمود، ويقرر أن بلاغات القرآن قد أخذت من كل قسم حصة، ومن كل نوع شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من

[1] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 16.

الكلام يجمع صفتي الضخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين.[1]

8. الرسالة الشافية للجرجاني (471هـ):

تناول عبد القاهر الجرجاني في هذه الرسالة بعض نواحٍ من فكرة الإعجاز، أخصها إثبات الإعجاز عن طريق عجز العرب عن معارضة القرآن، ويتعرض عبد القاهر في سياق الرسالة لنواحي الميدان الأدبي يُبين فيها تفاوت الشعراء في أقدارهم واشتمال كلامهم على البليغ وغير البليغ، ثم يناقش في نهاية رسالته فكرة الصرفة ويفند رأْي القائلين بها. ويلحق بالرسالة فصولا قصيرة مستقلة يزيد فيها بعض جوانب الموضوع شرحًا ويجيب عن بعض اعتراضات.[2]

والجاحظ صادق فيما يقوله عن نفسه فهو لا يتصنع في كتابته، وإذا ورد فيها شيء من السجع أو الصنعة البيانية فإنّما يرد عفو الخاطر دون أن يقصد إليه قصدا. وقد أعلن رأيه في هذه المسألة مرارا وهو أن جمال الأدب يرتكز على الطبيعة أي عدم التكلّف وعلى البلاغة أي المساواة بين اللفظ والمعنى، واختيار اللفظ الذي يناسب المعنى ويوازيه فلا يفضل عنه ولا ينفض، شرط أن تتوافر فيه الفصاحة أي الوضوح ويتجنب الغرابة والوحشية. نجد هذا الرأي في كتاب البيان والتبيين وفي كتاب الحيوان، وفي كتاب المعلمين وغيرها.[3]

رغم كثرة الكتب والمؤلفات التي تتحدث عن البلاغة وفنونها في فترة التآليف القديمة إلاّ أنّ أبوابها ومباحثها مازالت مختلطة وغير متميزة حتى عند عبد القاهر الجرجاني الملقب بشيخ العربية والبلاغة.

[1] المرجع السابق، ص 13.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 17- 18.

[3] نفسه، ص 376.

المبحث الخامس: خصائص البلاغة العربية قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني

لا يخفى على دارس أهمية البلاغة وفنونها في الدرس اللغوي العربي، إذ من خلالها نعرف أسرار الإعجاز القرآني، وجماليات النصوص الأدبية، ويتم بفضل خصائصها تصحيح مسار الأدباء والمبدعين، والحفاظ على اللغة ومسارها، وتزويد النقاد بما يبرّر أحكامهم النقدية إزاء الأعمال الأدبية، ولمّا كان أثرها بالغ الأهمية رأينا أن نعدّد بعض خصائصها على النحو التالي:

أولاً: تختص البلاغة العربية القديمة بمعرفة إعجاز القرآن الكريم، وبيان سرّ إعجازه، وهذا الغرض ديني بحت، الهدف منه خدمة القرآن الكريم، وتثبيت العقيدة الإسلامية في أذهان الناس.[1]

ثانيا: إيجاد آليات لمعرفة الكلام الجيد من الرديء.

ثالثا: شغلت قضية الفصاحة والبلاغة حيزا كبيرا من الدرس البلاغي العربي.

رابعا: تميزت البلاغة العربية القديمة بدراسة المعاني التي تتولد في الواقع من أمرين اثنين: بيان وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين، والمواطن التي يقال فيها.[2]

خامسا: كان المصطلح السائد قديما لعلم البلاغة ومباحثه هو البديع.

سادسا: البيان موجود واقعا لكن تأسيسا كان يحتاج إلى جهود وجهود حتى يخرج المصطلح بحقيقته إلى النور.

سابعا: كانت البلاغة العربية قبل الجرجاني معيارية.

---

[1] أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، دار التضامن ـ بغداد، ط 1، 1999م، ص 77.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية ـ علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص 33.

ثامنا: لم تكن البلاغة العربية القديمة جافة، قائمة على الحدود والتعريفات، بل كانت بلاغة تطبيقية تحيا في النماذج البليغة وتلتصق بالنصوص الأدبية فتثير الرغبة في الاستشعار والتذوق.[1]

تاسعا: الاعتماد على الحاسة الفنية لإدراك الإعجاز وتمكن الذوق الأدبي.

عاشرا: الخلو من الأسلوب المنطقي الاستدلالي.

حادي عشر: غياب الترتيب والتبويب والتصنيف الجيد لمباحث وقضايا البلاغة.

ثاني عشر: البلاغة قبل الجرجاني كان يضمها مبحث البديع اصطلاحا بالمعنى العام.

ثالث عشر: كان الاهتمام باللفظة المفردة مستقلة عن التركيب الذي وردت فيه، والصراع الذي دار حول قضية البلاغة والفصاحة لهو خير دليل على ذلك خاصة عند أئمة المعتزلة.

رابع عشر: قضية اللفظ والمعنى هي من أهم القضايا البلاغية العربية، وكان لها الأثر الكبير في تطور الدرس البلاغي العربي عمومًا، والانتقال من مرحلة سكون ومعيارية إلى مرحلة تطبيقية.

خامس عشر: السمة الطاغية على موضوعات البلاغة العربية القديمة هي السمة التعليمية التقريرية، إذا طبعت أغلب التآليف البلاغية في المراحل الأولى، فالمؤلفون والمصنفون في هذا اللون من الدراسة مشغولين بإقامة مثال بلاغي له حدود ورسوم معلومة، فهم يأخذون الناشئة بحدود وأصول هذا المثال ليربوا لديهم الذوق وملكة التمييز بين الجيد والرديء من أساليب القول.[2]

سادس عشر: يهتم هذا العلم بمدى جمالية الكلمات التي يتكون منها النص الأدبي.

---

[1] مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص 107.

[2] سعد سليمان حمودة، دروس في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، (د ط)، 1999م، ص53.

سابع عشر: يهتم علم البلاغة أيضا بإدراج اللفظ المناسب في المكان المناسب من كل نص أدبي.

ثامن عشر: التمكن من اختيار الكلام المناسب للموقف المناسب مما يعد بلاغة في الرد.

تاسع عشر: لقد اهتم البلاغيون والنقاد بأسلوبي الإيجاز والإطناب فتحدثوا عن أقسامها وحدودهما وأثرهما في التعبير ووجه الحاجة إلى كل منهما وموضعه المناسب. ولذا قال العسكري(إن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منهما، ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كحاجة الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ).[1]

لقد تنوعت خصائص البلاغة العربية قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني بين ما يرتبط منها بقضايا دينية وأخرى فنية، والعناية بأساليب الكلام. فالأولى تبرز مع الإعجاز القرآني على غرار ما سطره الخطابي والرماني والباقلاني وغيرهم، أما الثانية فتظهر بشكل جلي عند الجاحظ والجرجاني وغيرهما خلق كثير.

[1] المرجع السابق، ص 34.

الفصل الثالث: البلاغة العربية في عصر الإمام عبد القاهر الجرجاني

المبحث الأول: فكرة النظم والتوطئة لظهور النظرية

المبحث الثاني: دواعي ظهور نظرية النظم الجرجانية

المبحث الثالث: نظرية النظم ونقاط التحول في الدرس البلاغي العربي

المبحث الرابع: تطبيقات نظرية النظم

المبحث الأول: فكرة النظم والتوطئة لظهور النظرية

اشتهر العرب منذ القديم بالبلاغة والفصاحة، وحسن البيان عما في نفوسهم؛ ذلك أنهم أولوا لهذا الأمر اهتماما كبيرا وتجلى هذا في اعتنائهم بالمعلقات السبع التي هي من أجود وأروع ما قيل في الشعر العربي القديم وأنفسه، بل هي كنز العرب وفخرهم، وقد ميز العرب الشعر الحسن الجيد من الشعر القبيح الرديء، وهذا من خلال تتبعهم ونقدهم للشعر في الألفاظ، والمعاني، والنظم، والصدق، والكذب، والاستقامة، والإحالة.

ولو تمعنا في فكرة النظم ودققنا فيها لوجدنا أن بذورها ممتدة عبر العصور، فهي ليست وليدة الإعجاز القرآني كما يذكر البعض، فقد لمّح لها أرسطو بذكره أقسام الكلمة والفروق بينها والمقاطع والحروف والأصوات التي رآها ضرورية في البلاغة في كتابه "فن الشّعر".[1]

كما أشار بعض الباحثين إلى أنّ الهنود عنوا بنظرية النظم وأولوا لها اهتماما إلا أنه لا يوجد ما يثبت ذلك عنهم إلا ما ذكره الجاحظ عن الصحيفة الهندية وما جاء فيها من أصول تتصل بالأسلوب والخطيب وصفاته، وما ذكره البيروني في تاريخ الهند ووصفه للمحاولة البلاغية التي كانت تصل بقضية الإعجاز في كتابهم الديني.[2]

وقد عُرف مصطلح النظم في مباحث الإعجاز، وألف فيه جماعة من العلماء أبرزهم الجاحظ (255هـ)، ومحمد بن يزيد الواسطي (306هـ)، والحسن بن علي الطّوسي (308هـ)، وأبو علي الحسن بن يحي بن نصر الجرجاني، وأبو يزيد البلخي (322هـ)، وابن الأخشيد أحمد بن علي (326هـ)، ولكن كتب هؤلاء لم يصلنا منها شيء. وذهب بعض الدارسين إلى أن فكرة النظم ظهرت في أوساط المعتزلة الذين أشرعوا باب البحث في إعجاز القرآن الكريم،

[1] ينظر: حاتم الضامن، نظرية النظم، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د ط)، 1399هـ- 1979م، ص5.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص5-6.

فذكر بعضهم أن القرآن معجز بنظمه العجيب.[1]

ولعلّ العرب في الجاهلية والإسلام بلغوا مرتبة رفيعة من الفصاحة والبلاغة وسحر البيان برزت في شعرهم ونثرهم لذلك كانت الفصاحة والبلاغة وحُسن البيان معجزة الرسولﷺ وحجته القاطعة لهم، إذ دعاهم لمعارضة القرآن في بلاغته الباهرة قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَي عَبْدِنَا فَاتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ سورة البقرة، الآية 22. فعجزوا ووقفوا أمام روعة نظمه وقفة عجز وإعجاب وتقدير وذهول وحيرة.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَيَ أَنْ يَّاتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَاتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ سورة الإسراء، الآية 88. فأصبح من الطبيعي أن يأخذ البحث في إعجاز القرآن الصدارة على كل ما أنتجوه من أدب وبيان، وأنّه الكتاب المعجز إلى كونه وحي السّماء وأساس التشريع والقانون المنظم للسلوك الموجّه المرشد لجميع البشر[2].

ومن أبرز الجهود المبذولة في التوطئة لفكرة النظم نجد:

أولا: أصحاب القرن الثاني

1 ـ **ابن المقفّع (ت142هـ):** لعلّ أقدم إشارة عُثر عليها في الكتب العربية لفكرة النظم هي عبارة ابن المقفع التي أشار فيها إلى صياغة الكلام حين قال: «فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل وأن يقولوا قولاً بديعًا، فليعلم الواصفون المخبرون أنّ أحدهم وإن

[1] مسعود بودوخة، نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان–الأردن، ط1، 2018م، ص 16–17.

[2] وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط1، 1403هـ–1988م، ص13.

أحسن وأبلغ ليس زائدا على أن يكون صاحب فصوص وجد ياقوتا وزبرجدا ومرجانا فنظمه قلائدا وسموطا وأكاليلا، ووضع كل فصّ موضعه، وجمع إلى كل لون شبهه وما يزيده بذلك حُسْنا، فسُمي ذلك صانعا رفيقا، وكصاغة الذهب والفضة صنعوا منها ما يُعجب الناس من الحُليّ والآنية، وكالنحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيّبة، وسلكت سبلا جعلها الله ذُللا، فصار ذلك شفاءً وطعامًا وشرابا منسوبا إليه، مذكورا به أمرها وصنعتها فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه أو يُستحسن منه فلا يعجبنّ إعجاب المخترع المبتدع، فإنه إنما اجتناه كما وصفناه»[1].

قارن ابن المقفع في كتابه "الأدب الصغير والأدب الكبير" بين صناعة القول مع صناعة الذهب والفضة والنحل التي تنتج عسلا فيه شفاء للناس، واقترنت كلمة النظم عنده بالقلائد والسموط والإكليل، وهذه العبارات تؤكد على المشابهة بين نظم الكلام ونظم الجواهر، فملخص النظم عنده وضع الألفاظ مواضعها كما يضع الصائغ كل فصّ في موضعه.

2 ـ **سيبويه (ت180هـ):** لمّح سيبويه للنظم حين عقد بابا في كتابه "الكتاب" تحت عنوان (هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة منه) وذكر فيه أنواع الكلام «المستقيم الحسن، والمُحال، والمستقيم الكذب، والمستقيم القبيح، والمحال الكذب».[2]

فرق سيبويه بين معاني الحروف إذا تغيرت مواضعها، وعقد لذلك بابا في كتابه "الكتاب" تحت عنوان (هذا باب معنى الواو فيه كمعناها في الباب الأول) ومثّل ذلك بقوله: «لو قلت: ما صنعت مع أخيك ومازالت بعبد الله، لكان مع أخيك وبعبد الله في موضع نصب. ولو قلت: أنت وشأنك كنت كأنك قلت: أنت وشأنك مقرونان، وكلّ امرئ وضيعته

[1] ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير، دار بيروت، (د ط)، 1397هـ-1977م، ص12-13.

[2] سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1408هـ- 1988م، 1/25-26.

مقرونان؛ لأن الواو في معنى مع هُنا، يَعمل فيما بعدها ما عمل فيما قبلها من الابتداء والمبتدإ»[1].

ثانيا: أصحاب القرن الثالث

1 ـ **بشر بن المعتمر (ت210هـ):** قال بشر بن المعتمر «فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أوّل نظرك وفي أول تكلُّفك، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر إلى قرارها وإلى حقّها من أماكنها المقسومة لها...».[2]

يؤكد بشر بن المعتمر على أنه من الواجب أن تقع كلّ لفظة في موقعها الصحيح المُحدّد لها لكي تؤدي معناها وتصل بالمتكلم إلى الهدف المنشود عنده وعند المتلقي.

2 ـ **عمر بن كلثوم العتابي (ت220هـ):** قال العتابي «الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنّما تراها بعُيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخرا، أو أخّرت منها مُقدّما أفسدت الصورة وغيّرت المعنى، كما لو حُوّل الرأس موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، لتحولت الخلقة، وتغيّرت الحلية»[3].

3 ـ **الجاحظ (ت255هـ):** ذكر الجاحظ النظم لما تكلم عن الشعر الجيد فقال: «أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسُبك سبْكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان»[4].

فأراد هنا أن يقول إن الشعر الجيّد ترى كلماته سهلة ليّنة ورطبة متواتية خفيفة على

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص300-299.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (د ط)، (د ت)، 137/1.

[3] أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، (د ت)، ص167-168.

[4] الجاحظ، البيان والتبيين،67/1.

اللسان وسلسة النظام ومحبوكة حبْكا قويما.[1]

ردّ الجاحظ عن الدهريّين الذين ينكرون بأن الله خالق الخلق والعالم بكلّ شيء، وأنه المرسل للرّسل لدعوة الناس إلى التوحيد واستدل على ذلك بإعجاز نظم القرآن فقال: «وفي كتابنا المُنزل الذي يدلّ على أنه صدقٌ، نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد، مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به»[2].

بالرغم من أن الجاحظ يؤيد أستاذه النظام في فكرة إعجاز القرآن بالصرفة إلا أنه يظهر من خلال كلامه أنه لا ينكر أن القرآن معجز بنظمه أيضا، ولو أن كتابه (نظم القرآن) بين أيدينا لاكتشفنا رأيه الواضح في هذه المسألة.

لقد نقد الباقلاني الجاحظ في زعمه أنّه صاحب فكرة إعجاز نظم القرآن، حين ألّف كتابا سمّاه "نظم القرآن" ولم يأت فيه بجديد بخصوص هذه المسألة غير الذي تطرّق إليه المتكلمون قبله[3].

4 ـ ابن قتيبة (ت276هـ): عقد ابن قتيبة بابا في كتابه "تأويل مشكل القرآن" تحت عنوان (باب تأويل الحروف التي ادُّعِيَ على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم) ومن الأمثلة على ذلك الحروف المقطعة التي اختلف المفسرون في تأويلها فكان بعضهم يراها أسماء للسّور، وبعضهم يجعلها أقساما، وبعضهم يجعلها حروفا مأخوذة من صفات الله تعالى.[4]

تحدث ابن قتيبة في هذا الباب عن المفسّرين المنشغلين بتأويل الحروف المقطعة في بدايات بعض السور القرآنية مثل ("ألم" في بداية سورة البقرة) و("كهيعص" في بداية سورة

[1] ينظر: المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[2] الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، (د ت)، 90/4.

[3] ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن، مطابع دار المعارف بمصر، (د ط)، 1971م، ص6.

[4] ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث بالقاهرة، ط2، 1393هـ-1973م، ص299.

مريم) والذين أخذوا بآراء مختلفة مُدّعين بها فساد النظم، وردّ عليهم مبيّنا أن الله أقسم بحروف المعجم لشرفها وفضلها؛ ولأنها مباني كُتبه المنزلة بالألسنة المختلفة، و مباني أسمائه الحسنى وصفاته العُلى وأصول كلام الأمم، بها يتعارفون، ويذكرون الله ويوحدون[1].

1 ـ **إبراهيم بن المُدبر (ت279هـ):** وطّأ لفكرة النظم في قوله: «فإنّما يكون الكاتب كاتبا إذا وضع كل معنى في موضعه، وعلّق كل لفظة على طبقها من المعنى، فلا يجعل أوّل ما ينبغي له أن يكتب في آخر كتابه ولا آخره في أوّله، فإني سمعت جعفر بن محمّد الكاتب يقول: لا ينبغي للكاتب أن يكون كاتبا حتّى لا يستطيع أحد أن يؤخر أول كتابه ولا يقدّم آخره»[2].

قدّم ابن المدبر نصيحة للّغويين بأن يراعوا موضع كل كلمة من ناحية التقديم والتأخير فلا ينبغي أن يقدموا مؤخرا أو يؤخروا مقدّما، وأن لا يستطيع من أتى بعدهم أن يغيّر في ترتيب كلامهم وإن قام بذلك فقد غيّر المعنى وأخلّ به.

2 ـ **المُبرّد (ت286هـ):** سُئل المبرد عن البلاغة في الشّعر المرصوف والكلام المنثور، أيهما أولى بأن تكون المقدمة، وأحق أن تكون على الكمال مشتملة؟ فأجاب:«أن حقّ البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم، حتّى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاضدة شكلها، وأن يقرّب بها البعيد، ويحذف منها الفضول.

فإن استوى هذا في الكلام المنثور، والكلام المرصوف، المسمى "شعرا"، فلم يُفضل أحد القسمين صاحبه، فصاحب الكلام المرصوف أحمد؛ لأنه أتى بمثل ما أتى به صاحبه، وزاد وزنا وقافية، والوزن يُحمل على الضرورة، والقافية تضطر إلى الحيلة. وبقيت بينهما واحدة،

[1] ينظر: المرجع السابق، 299-301.

[2] إبراهيم بن المدبر، الرسالة العذراء، ص17.

ليست ممّا توجد عند استماع الكلام منهما، ولكن يرجع إليهما عند قولهما، فينظر أيّهما أشّد على الكلام اقتدارا، وأكثر تسمحا وأقلّ معاناة وأبطأ معاسرة، فيعلم أنه المُقدّم.»[1]

يرى المبرّد النظم أن تكون الكلمة مقاربة لأختها في شكلها ومعناها الذي توحي إليه بشكل دقيق ويتجنب الفضول من الكلام الذي لا يَضُرّ حذفه.

ثالثا: أصحاب القرن الرابع

1 ـ **محمّد بن يزيد الواسطي (ت306هـ):** اشتهر بكتابيه "الإمامة" و"إعجاز القرآن" هذا الأخير الذي يُعد أوّل كتاب يختص بالإعجاز، فيما يروي المترجمون، وقد شرحه عبد القاهر الجرجاني شرحين أحدهما كبير وسماه المقتضب، والآخر صغير.

ويبدو أن كتاب الواسطي كان على شيء غير قليل من الأهمية، لاهتمام عبد القاهر به، وتناوله بالشرح مرتين، ولا يستبعد أن يكون عبد القاهر قد تأثر به في كتابه، وخاصة في دلائل الإعجاز ولم نعثر على الكتاب أو على شيء من شرحي عبد القاهر[2].

2 ـ **الطبري المفسّر (ت310هـ):** قال الطبري المُفسر:«ومن أشرف تلك المعاني التي فضّل بها كتابنا سائرَ الكتب قبله، نظمه العجيب، ورصفه الغريب، وتأليفه البديع، الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء، وكلّت عن وصف شكل بعضه البُلغاء، وتحيّرت في تأليفه الشعراء، وتبلّدت – قصورا عن أن تأتي بمثله – أفهام الفُهماء، فلم يجدوا له إلا التسليم والإقرار بأنّه من عند الواحد القهار»[3].

[1] المبرد، البلاغة، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الريفية بالقاهرة، ط2، 1405هـ– 1985م، ص81.

[2] محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطوّر النقد العربي، تقديم: محمد خلف الله أحمد، مكتبة الشباب بالمنيرة، ط1،(د ت)، ص234.

[3] الطبري ابن جرير، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1415هـ–1994م، 1/81–82.

وقال أيضا: «فمهما يكن فيه من إطالة، على نحو ما في أمّ القرآن، فلما وصفت قبل من أنّ الله جلّ ذكره أراد أن يجمع – برصفه العجيب ونظمه الغريب، المُنعدل عن أوزان الأشعار، وسجع الكُهّان، وخطب الخطباء، ورسائل البلغاء، العاجز عن رصف مثله جميع الأنام، وعن نظم نظيره كل العباد – الدلالة على نُبوّة نبيّنا مُحمدﷺ »[1].

3 ـ **ابن طباطبا (ت322هـ):** يرى ابن طباطبا أن للكلام الواحد جسدًا وروحا فالجسد عنده النطق والروح المعنى، لذلك أوجب على صانع الشعر أن يُتقن صُنعه، لمجلبة محبّة السّامع له، والنّاظر بعقله إليه مستدعيا لعشق المتأمّل في محاسنه، والمتفرس في بدائعه، فيُحسه جسما ويحقّقه روحا، أي يتقنه لفظا ويبدعه معنى، ويتجنب إخراجه على ضد هذه الصفة يُسوّي أعضاءه وزنًا، ويُعدل أجزاءه تأليفا، ويُحسن صورته إصابة، ويكثر رونقه اختصارًا ويدنيه سلالة وينأى به إعجازًا[2].

4 ـ **أبو سعيد السيرافي (ت358هـ):** قال أبو سعيد: «معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخّي الصواب في ذلك، وتجنّب الخطأ من ذلك، وإن زاغ شيء عن هذا النعت فإنّه لا يخلو من أن يكون سائغا بالاستعمال النّادر والتأويل البعيد، أو مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم»[3].

5 ـ **علي بن عيسى الرُمّاني (ت386هـ):** تكلّم الرمّاني عن تشبيه أعمال الكفّار بالسّراب في قوله تعالى: ﴿وَالذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسِبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ سورة النور، الآية 38.

---

[1] المرجع السابق، ص82.

[2] ينظر: ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، شرح وتحقيق: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ-2005م، ص126.

[3] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، مراجعة: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، (د ط)، 1432هـ-2011م، 1/96-97.

وقال إنّ هذا «من حُسن التشبيه، فكيف إذا تضمّن مع ذلك حُسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة وصحّة الدلالة».[1]

وقال أيضا: «وحسن البيان في الكلام على مراتب: فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحُسن في العبارة من تعديل النّظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللّسان، وتتقبله النفس تقبل البرد، وحتّى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقّه من المرتبة»[2].

6 . **الخطّابي (ت388هـ):** يقول الخطابي في نظم الإعجاز القرآني إن «أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية، فمنها البليغ الرّصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السّهل، ومنها الجائز الطَّلق الرَّسل. وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم، الذّي لا يوجد في القرآن شيء منه البتّة فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصّة، وأخذت من كلّ نوع من الأنواع شُعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة»[3].

وقد ذكر الخطابي أن القرآن معجز بنظمه، وذلك في قوله:«واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزًا؛ لأنّه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف مضمّنا أصح المعاني»[4].

7. **أبو هلال العسكري (ت395 هـ):** عقد أبو هلال العسكري بابا في كتابه الصناعتين تحت عنوان (في البيان عن حسن النظم وجودة الرّصف والسبك وخلاف ذلك)، وذكر فيه أن أجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرسائل، والخطب، والشعر، وجميعها تحتاج إلى حسن

[1] الرماني، الخطابي، عبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص82.
[2] المرجع نفسه، ص107.
[3] نفسه، ص26.
[4] نفسه، ص27.

تأليف وجودة تركيب.[1]

رابعا: أصحاب القرن الخامس

1- أبو بكر الباقلّاني (ت403هـ):يقول الباقلاني في مستهل كتابه "الانتصار للقرآن" «وقد رأيت أن نبدأ بذكر جُمل ما نذهب إليه في نقل القرآن ونظمه»[2].

جاء في كلام أبي بكر الباقلاني عن الشعراء: «ومنهم من يعرف بالبديهة وحِدَّةِ الخاطر، ونفاذ الطبع، وسرعة النظم، يرتجل القول ارتجالا، ويطبعه عفوا صفوا، فلا يقعد به عن قوم قد تعبوا وكدوا أنفسهم، وجاهدوا خواطرهم.

وكذلك لا يخفى عليهم الكلام العُلوي واللّفظ المُلوكي، كما لا يخفى عليهم الكلام العامي، واللفظ السوقي، ثم تراهم ينزّلون الكلام تنزيلا، ويعطونه حقوقه، ويعرفون مراتبه، فلا يخفى عليهم ما يختص به كل فاضل تقدّم في وجه من وجوه النّظم، من الوجه الذي لا يشاركه فيه غيره، ولا يساهمه سواه»[3].

وقال عن نظم القرآن «...لتعرف أنّ ما ادّعيناه من معرفة البليغ بعلُوّ شأن القرآن وعجيب نظمه وبديع تأليفه، أمر لا يجوز غيره، ولا يُحتمل سواه، ولا يشتبه على ذي بصيرة...»[4].

2- القاضي عبد الجبّار المعتزلي (ت415هـ): وقد قال في ردّه على شيخه أبي هاشم: «قال شيخنا أبو هاشم:إنما يكون الكلام فصيحا لجزالة لفظه وحسن معناه، ولا بد من اعتبار الأمرين؛ لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد نصيحا، فإذن يجب أن يكون جامعا لهذين الأمرين. وليس فصاحة الكلام بأن يكون له لفظ مخصوص؛ لأن الخطيب عندهم يكون أفصح من الشاعر، والنظم مختلف، إذا أريد بالنظم اختلاف الطريقة، وقد يكون النظم

[1] ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص167.

[2] الباقلّاني، الانتصار للقرآن، تح: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط1، 1422هـ-2001م، 59/1.

[3] الباقلّاني، إعجاز القرآن، ص123.

[4] المرجع نفسه، ص125.

واحدا، وتقع المزية في الفصاحة، فالمعتبر ما ذكرناه؛ لأنه الذي يتبين في كل نظم و كل طريقة، وإنما يختص النظم بأن يقع لبعض الفصحاء: يسبق إليه، ثم يساويه فيه غيره من الفصحاء، فيساويه في ذلك النظم، ومن يفضل عليه يفضله في ذلك النظم»[1].

وكلام أبي هاشم صريح في أن النظم لا يصلح أن يكون مفسرا لفصاحة الكلام؛ لأن النظم قد يكون واحدا، ويفضل أديب صاحبه فيه.[2]

هكذا بهذه الآراء المختلفة أسْهمَ العلماء قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني في صقل فكرة النظم، فكل واحد نظر إليها من جهته، فالنحويون رأوا أن النظم ضبط أواخر الكلمات المكونة للجملة؛ لأن حركة الكلمة تتغير بتغير موقعها في الجملة، والنقاد رأوه ترابط وتلاحم أجزاء الكلام، أما البلاغيون فرأوه حسن اختيار الألفاظ مع جودة التركيب.

وفي الأخير يمكن القول، بأن مفهوم النظم بدأ بسيطا جدا، ثم أخذ يتوسع شيئا فشيئا على يد اللغويين عند ارتباطه بقضية الإعجاز القرآني، مما جعل الجرجاني يبدع فيه، فيخرج لنا نظرية عبقرية متكاملة تتميز بالاتساع والشمولية لاحتوائها على جميع المجالات العلمية وأسماها نظرية النظم.

لكن هذه النظرية لم تأت من عدم بل أتت نتيجة جهود هذا العالم الفذ والتي دفعته إلى الوقوف على جهود سابقيه الذين اقتفى أثرهم على غرار (أبي الحسين محمد بن الحسن بن عبد الوارث الفارسي النحوي نزيل جرجان، وأبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني). واستكمال نقائصهم واستخلاص العديد من التصورات لنفسه، أهمها تمثلت في وقوفه على قضية اللفظ والمعنى، الذي وُفق بالجمع بينهما وإعطاء لكل منهما حقه، وهنا وصلت النظرية إلى مرحلة النضج.

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف الإسكندرية بمصر، ط9، 1995م، ص115.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الثاني: دواعي ظهور نظرية النظم الجرجانية

لقد تعددت واختلفت الأسباب التي مهدت للفكر الجرجاني في تأسيس نظرية بلاغية نحوية سماها نظرية النظم، مما جعل هذه الأخيرة تثبت عبقريته الفذة ووجوده القوي في عالم العلوم اللغوية، وهنا نورد بعض أسباب قيام نظرية النظم الجرجانية:

- الصراع الذي أثاره امتزاج الثقافات وتعصب الحملة اليونانية لفلسفة اليونان ومنطقهم، ودفاع الحملة العربية عن تراثهم وثقافتهم.[1]

- الفتنة التي كانت تطل برأسها في البيئة الإسلامية، منذ ظهور الإلحاد في القرن الأول للهجرة والذي أصبح ظاهرة خطيرة على المجتمع الإسلامي في العصر العباسي، ألا وهي: التشكيك في القرآن الكريم وإعجازه، إلا أن القضية – كما رأى الجرجاني– لم تحسم بعد، وكان الواجب الديني يفرض عليه أن يجند نفسه وقلمه للدفاع عن هذه القضية التي تتصل بالدين، فألف كتابه "دلائل الإعجاز" ووضح من خلاله أن الإعجاز لا يكمن في اللفظ وحده، ولا في المعنى وحده وإنما يكمن الإعجاز في النظم.[2]

- تصوّر العلاقات النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الإسناد، والتعدية وعلاقة السببية، يقول عبد القاهر: "وإذ قد عرفت أن مدار النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الوجوه والفروق كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا نجد لها ازديادا بعدها[3].

- ضرورة نقل العناية بالمفردات استقلالاً إلى كونها جزءاً من كلّ أي معالجتها ضمن التركيب.

---

[1] أم الخير بن الصديق، النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقاتها في المقررات التعليمية لأقسام السنة الثانية ثانوي آداب مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 30أفريل 2007م، ص 22.

[2] المرجع نفسه، ص 23.

[3] ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1418هـ– 1998م، ص 186.

- انطلاقا من التفرقة الضمنية التي قام بها الجرجاني بين اللغة والكلام، صاغ مفهوم النظم الذي يميز على أساسه بين كلام، وكلام من حيث الفنية أو الأدبية .[1]

- الإعجاز في رأي عبد القاهر كامن في النص ذاته، بل كامن في كل آية من آيات القرآن سواء طالت أو قصرت.[2]

- بيان القيمة الفنية للأعمال الأدبية التي تدور بين الحسن والقبح[3]، والحاجة الماسة لإيجاد آليات أخرى غير التي تنبني على الانطباع في الأحكام النقدية إزاء النصوص الأدبية.

- الإفادة من دائرة النقد، أو دائرة النحو والبلاغة في بلورة مفهوم(نحوي نقدي) قاد الجرجاني إلى تكوين نظرية مكتملة في فهم الخطاب الأدبي بالتركيز على صياغته.

- الصراع بين الأشاعرة والمعتزلة، فالأول يعلّل إعجاز القرآن بالنسبة لنظمه، أما الثاني فعلله بالنسبة للفصاحة مما جعل الجرجاني يعقد فصلا لتحقيق القول في كليهما، إضافة إلى البيان والبراعة، وأن هذه الأوصاف ترجع إلى النظم وكيفياته الصياغية وخصائصها، وبالتالي سر الإعجاز كامن في أسرار النظم.[4]

- بروز فكرة النظم والتي تعني النسق الخاص في التعبير والطريقة المتميزة في التراكيب.[5]

- البحث في معاني العبارات وإدراك الفروق الدقيقة التي تكون بين استخدام لغوي وآخر.[6]

---

[1] نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014م، ص160.

[2] المرجع نفسه، ص 155.

[3] ينظر: عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب القاهرة، (د ط)، 1998م، ص409.

[4] منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منشأة المعارف بالإسكندرية جلال حزي، مصر، (دط)، (دت)، ص231 ـ232. بتصرف.

[5] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص217. بتصرف.

[6] ينظر: المرجع نفسه، ص220.

- إيمان الجرجاني بأن التفسير الصحيح للإعجاز ينبغي أن يطلب في علاقات الكلام النحوي[1].

- جعل عبد القاهر الجرجاني دعامته الرئيسية في دمج طرق متكاملة من العلوم للدرس البلاغي.[2]

- دراسة العلاقات اللغوية في السياق، فالسياق عند الجرجاني من شروط فصاحة الكلام وبيانه، إذ اللفظة التي توضح في معناها المخصص لها، وكانت مرتبة ومتماسكة مع ما سبقها من ألفاظ وما يلحقها فتؤدي فائدة دلالية في الكلام، كانت في منتهى الفصاحة والبيان[3].

- أفكار الأئمة السابقين إزاء اللفظ والمعنى كانت إحدى الدواعي الرئيسية لتبلور نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني[4]، إذ لم يكن منطقيا أن يكون إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني آنذاك محايدا إزاء صراع ونزاع استمر لأزمان، ففكّ النزاع بالنظم.

- تعمق عبد القاهر في النحو وفهمه وبيان خصائصه وإبراز وجه الحاجة إليه في نظم الكلام وتنسيق التراكيب وتماسك لبناته، ومراعاة أحكامه أدى إلى نهوض نظرية النظم على أكتافه، فصارت عملا مدروسا ومحورا يدور حوله كتاب الدلائل كله، وبالتالي النظم عبارة عن حوصلة تدور عليها فلسفة عبد القاهر النحوية. [5]

---

[1] محمد عبد المنعم خريبة، (17\02\1434هـ، 31\12\2012م)، دراسة تاريخية عن الإعجاز البلاغي للقرآن ، https://www.alukah.net 12:00، 24\4\2020.

[2] ينظر: ثقبايث حامدة، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، 1\7\ 2012، ص 155.

[3] ينظر: نظرية النظم عند الجرجاني: معناها ومبناها 24\04\2021، 07:00 https://www.inst.at.

[4] ينظر: عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص 374.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص 380-381.

- تفكير عبد القاهر العميق، وامتصاص روافد التراث الثقافي من منطق ونحو ولغة ومزج ثقافتهم، فكانت بذلك السند الأول في إرساء دعامة قوية وإقامة بناء متماسك لنظرية النظم، مما جعل هذه النظرية العميقة تبلغ مكانة مرموقة، فمثلا: ثقافته المنطقية، فلعل أبرز ما يدل عليها ويوحي أنه انتفع بها واستعملها في نظرية النظم الحديثة عن نفي العموم، وعموم النفي حيث تسبق بأداة النفي لفظة "كل" أو تتأخر عنها مراعيا في ذلك صحة النظم وفساده، فقد نظر إليه نظرة خاصة تتمثل في الارتباط المعنوي بين العامل والمعمول، سواء كان فعلا أو اسما أو مبتدأ أو خبرا، وتوصل بها إلى وجوه التصرف في هذه العلاقات، ومعرفة الحسن والقبح في الكلام، كما أنه ينظر إلى الكلام على أنه وحدة شاملة يساند بعضه البعض في اللغة في فكرة ارتباط اللفظ بالمعنى، فهي لا تقف عند أصوات الألفاظ وخفتها على اللسان، بل ارتقت إلى حيث ائتلاف معانيها حتى تبلغ الجودة في الكلام المنظوم[1].

- توخي معاني النحو في الكلام فإذا حدث خطأ في النظم فإنما يكون راجعا إلى معنى من معاني النحو، إذا فالارتباط وثيق بين النحو والنظم، ومن المؤكد إبلاغ النظم وتختلف من قائل لآخر وذلك تبعا لما يتوخاه وطريقته المتبعة في ترتيب الكلمات على حسب ترتيب المعاني في النفس.[2]

- وضوح عبد القاهر الجرجاني أثناء بحثه للاستعارة والكناية والتمثيل في تأكيد دور النظم والغرض منها كامن فيما وراء ذلك المعنى الظاهر وما يتبع من معاني ثانية تذهب بعيدا بخيال المتلقي وإعمال عقله.[3]

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 380.

[2] زهرة عز الدين، جماليات الصورة ومقتضيات النظم عند عبد القاهر الجرجاني، رسالة دكتوراه، جامعة بوزيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2015م، ص2.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 16.

- تعبير عبد القاهر عن الارتباط بين المعنى والمبنى، وذلك بوضع النظم بإزاء فكرة البناء[1].

- أسس عبد القاهر نظرية النظم؛ لأنه يرى فيها الأمن والصواب والطمأنينة لعقيدته وعقله لا في غيره، واعتبر الخروج عنها يؤدي إلى زيغ وضلال[2].

- ضم أبواب البلاغة في سلك واحد وإزالة ما يكتنفها من لبس وغموض وتسميتها بعلم المعاني ثم إخضاعها لنظرية ابتكرت من قريحة عبد القاهر الوقادة وبصيرته النفاذة وإحساسه الدقيق[3].

- الرد على من قال إن الإعجاز يرتب بالكلم المفرد، وهذا مستحيل، لأن الألفاظ المفردة المدونة في القرآن الكريم هي ألفاظ اللغة الموثوقة عند العرب بأصواتها ومعانيها.

- الإجابة على معارضي الجرجاني في الإعجاز وتحديهم في معارضة كلام الله والإتيان بمثله أو بما يقابله، لكنهم بسبب نظمه عجزوا عن ذلك.

- الخلاف الذي نشأ بين النحويين والذي كانت بدايته بسبب فتح الباب لتجويز القراءات التي لم تشملها القواعد البصرية الأولى، وهذا الخلاف أدى إلى التركيز على المسائل النحوية وأصبح للنحو علماؤه المتخصصون ومدارسه المتخصصة، ونتج عن ذلك تفرع في مسائل كثيرة في ميدان النحو والصرف، وسارت البلاغة العربية –التي انفصلت عن النحو أيضا في الاتجاه نفسه، فتحولت إلى تقسيمات، وتعريفات، وحدود بعيدة عن النصوص اللغوية مما أدى إلى الزهد في النحو والإبعاد عنه.[4]

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 187.

[2] ينظر: حاتم الضامن، نظرية النظم، ص 25.

[3] ينظر: عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص 417.

[4] أم الخير بن الصديق، النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقاتها في المقررات التعليمية لأقسام السنة الثانية ثانوي آداب، ص 23 .

- المنهج النحوي الذي سلكه عبد القاهر في البحث عن العلاقات التي تقيمها اللغة بين الكلمات، وإلى اجتلاء معانيها، وكشف غامضها وبذلك اتسع أفق النحو إلى اشتماله على علم المعاني وتجاوز القواعد النحوية إلى الجودة الفنية .[1]

- إقامة عبد القاهر بناءه الفكري في الثقافة العربية التي ينتمي إليها من خلال عمليتين هما: الهدم والبناء، أو الإثبات والنفي، حيث يتم الإثبات بالتأويل، ويتحقق النفي بالإنكار.[2]

- التفرقة بين مستويات الكلام، المستويات التي تبدأ من الكلام العادي، وتنتهي إلى الكلام المعجز الذي يفوق طاقة البشر، ولا تتم هذه التفرقة عند الجرجاني إلا بالوقوف على مستوى الكلام الأدبي، والتوقف الطويل أمام خصائصه.[3]

- التأكيد على الإعجاز القرآني الذي يتناقل ويتواتر في جميع الآيات بطرق مختلفة وبراعة وجودة تفوق القدرة البشرية، وربطها بالنحو لإخراجه من مجال المجرد اللفظي إلى مجال النحو البلاغي (معنوي).

- الكشف عن أسرار البلاغة، وجعلها حجة دامغة على الإعجاز البلاغي للقرآن من خلال أمثلة، وشواهد مستمدة من النصوص التي تمثل قمة البلاغة في الثقافة العربية.[4]

- مزج عبد القاهر الجرجاني في مسلكه بين دقة التقنين، ورحابة الذوق.

- تصوير المعنى الذي يمثل الهدف الأساسي فيها؛ لأنه يتألف في أروع صورة إذا جاء عن

---

[1] عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص 397.

[2] نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة و آليات التأويل، ص154.

[3] المرجع نفسه، ص 155 .

[4] ابتسام أحمد حمدان، أسس نحوية ولغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة دراسات اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد:3، 2010م ، ص25-26.

- طريق الصورة البيانية الأخاذة كالكتابة والمجاز.[1]

- انتماء الجرجاني إلى بيئة تتسم بكل السمات التي تميز المنهج الفكري في بيئة المتكلمين، من ميل نحو تداخل الأشياء، والدقة في تتبع الجزئيات داخل نسيج يخضع للتوليد المنطقي المنتظم الذي لا يخرج عن ركائز مذهبه، مما جعله أكثر جريا وراء الجمال، الذي يحكمه العقل، والمنطق.[2]

- توصل الجرجاني إلى أبعاد دقيقة، وعميقة، خرج منها إلى أن النظم هو الذي يحدد معنى الكلمة، ويمنحها قيمة وتميزاً.[3]

- تأسيس علمي المعاني والبيان مهدا للجرجاني بروز نظرية النظم، وهما في الحقيقة ناتج عرضي لتأسيس نظرية النظم.

- الكشف عن علاقة المتكلم بالمتلقي من خلال شبكة العناصر المكونة للحدث الكلامي من متكلم ونص، ومقام يمثل صلة التواصل بين المتكلم، والمخاطب.[4]
- معاصرة الجرجاني لمرحلة كثر فيها الجدل حول حقيقة الإعجاز، وما يتعلق بها من مفاهيم جعلته يؤسس نظرية تهدف إلى بيان معاني تلك المصطلحات كالفصاحة، والبلاغة والبيان، وغيرها؛ لأن تفسيرها هو أول خطوة في تفسير الأدبية، وتفاوت الأساليب سعيا إلى فهم حقيقة الإعجاز.[5]
- بيان أن جوهر الكلام هو ذلك الكلام النفسي، كما قصد إثبات كون القرآن هو المعجزة التي أيّد بها الله النبي عليه الصلاة و السلام، وما دام شرط المعجزة أن تكون أمرا خارقا

[1] ينظر: عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، جامعة قازيونس– بنغازي، ط 1، 1997، ص34.

[2] ابتسام أحمد حمدان، أسس نحوية ولغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص24.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص25.

[4] ينظر: نفسه، ص27.

[5] ينظر: مسعود بودوخة، نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها، ص 43–45.

للعادة، فمن الواجب أن يكون مناط البلاغة والبيان أمرا يتسع للمعجزات، و يقبل العقل أن يتصل به الإعجاز.[1]

- عدم تخصص لفظتي البلاغة، والفصاحة بمفهوميهما الاصطلاحي في عهد الجرجاني، الذي أرجعهما إلى النظم، وكيفيات الصياغة، وصورها، وخصائصها.[2]
- تطبيق فكرة النظم، ومعانيه الإضافية على الصور البيانية.[3]
- دراسة أنواع البلاغة من خلال ربطها بالنظم.[4]
- محاولة اقتراح نظرية تفسر من خلالها التراكيب. [5]
- تبديد ظلام الكثير من المفاهيم الخاطئة التي هيمنت على تفكير النقاد قبل عبد القاهر.[6]
- ثقافة عبد القاهر الجرجاني النحوية والأدبية، إلى جانب ثقافته الدينية مكنته من تأسيس نظريته (نظرية النظم) التي خلّدت اسمه في التراث البلاغي النقدي العربي.[7]
- تفسير الإعجاز بما يدعونه بالصرفة التي يقصدون بها أن الله صرف همم العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن.[8]
- رؤية الجرجاني الخاصة للنحو واتسّامه بالديناميّة والحركيّة لتعامله مع اللغة التي في

[1] المرجع السابق، ص 47.

[2] حاتم الضامن، نظرية النظم، ص 7.

[3] المرجع نفسه، ص 74.

[4] سامي عوض، النظم من سيبويه إلى الجرجاني، سلسلة الآداب والعلوم، جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، العدد:17، 2002م، المجلد24، ص79.

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6] الصغير عبيد، نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني ونقاط التقائها مع مقولات النقد الغربي الحديث، مقال، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، ص 214. بتصرف.

[7] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص8.

[8] المرجع نفسه، ص217.

أعماقها حركة من الإبداع التي لا تنتهي.[1]

- الجرجاني في قراءته الاحترافية لنصوص سابقيه لم يكن مفسرا فقط، بل كان في كثير من الأحيان لا يرفض ولا ينف، وهذا ما مهد له مفاهيم ناضجة، وتصورات عميقة.[2]

- استهداف نظريته لبيان أن جوهر الكلام هو ذلك الكلام النفسي، وأما الكلام اللفظي فهو ظلاله.[3]

- انطلاق الجرجاني في بناء نظريته من ثنائية الاختيار والتأليف.[4]

- نزول القرآن والتفكير في قضية الإعجاز زادت التفكير في النظم دفعا ليصل في النهاية إلى درجة التنظير.[5]

- تصوير المعنى الذي يمثل الهدف الأساسي فيها؛ لأنه يتألف في أروع صورة إذا جاء عن طريق الصورة البيانية الأخاذة كالكتابة والمجاز.[6]

- إثبات فكرة أن البلاغة جزء من النظم والسياق سواء تعلقت بالأسلوب عن طريق النظم، أم بأهم عناصره (التشبيه، التمثيل، الاستعارة، الكناية، المجاز).

- دفاع الجرجاني عن نظرية النظم بكل ما أوتي من استدلالات عقلية ومنطقية قائمة على القياس والاستنتاج.[7]

---

[1] المرجع السابق، ص244.

[2] سمية ابرير، مفاهيم لسانيات وتحليل الخطاب في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني "دراسة في ضوء علم المصطلح" رسالة ماجستير، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، 2010م-2011م، ص57.

[3] المرجع نفسه، ص61.

[4] ينظر: نفسه، ص70.

[5] إسماعيل السويقات، نظرية النظم وتطبيقاتها في تفسير الكشاف الزمخشري، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2010م-2011م، ص207.

[6] ينظر: عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص34.

[7] أحمد عاطف محمد كلاب، منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني، في عرضه المسائل النحوية-دراسة تحليلة-رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 1434هـ-2013م، ص 16.

- العلائق التركيبة بين معاني النحو وحسن الاختيار للفظ المناسب لأداء تلك المعاني، في المكان المناسب، بداية من الجمل البسيطة إلى غاية الوصول لنظم القرآن الكلي في شبكة نصية متكاملة.[1]
- ربط عبد القاهر الجرجاني بين البلاغة والنحو بطريقة عميقة لدرجة الدمج بينهما.[2]

إن الدّواعي والأسباب التي أدّت إلى ظهور نظرية النظم لكثيرة جدا. وقد تمايزت في مجالات عدّة حدودها العامة تظهر في جوانب سياسية ودينية وثقافية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن شيئا من الأسباب قد دار بين الذاتية والموضوعية.

[1] سمية إبرير، مفاهيم لسانيات وتحليل الخطاب في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني "دراسة في ضوء علم المصطلح"، ص69.

[2] المرجع نفسه، ص75.

المبحث الثالث: نظرية النظم ونقاط التحوّل في الدرس البلاغي العربي

من المعلوم أنّ نظرية النّظم لم تأت جزافا، وإنما تواترت العديد من الإرهاصات التي مهدت لنشأتها، ولقد أسست بفضل جهود الإمام عبد القاهر الجرجاني، وأصبحت نظرية مكتملة قائمة بذاتها معلنة عن بداية عصر بلاغي جديد.

أولا: نظرية النظم

ولكشف فحوى النظرية وبيان حدود المصطلح رأينا أن نستهلّ الكلام بالتعريفات، ومنها إلى الأركان في ما يلي:

1.تعريف نظرية النظم:

أ-لغة:

جاء في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ما يلي:"نَظَمَ، النَّظْمُ نَظْمُكَ خَرَزًا بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ فِي نِظَامٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَى قِيلَ، لَيسَ لأَمْرِه نِظَامٌ أَيْ: لاَ تَسْتَقِيمُ طَرِيقَتُهُ، وَالنِظَامُ: كُلِّ خَيطٍ يُنْظَمُ بِه لُؤْلُؤٌ أَوْ غَيرُهُ فَهُوَ نِظَام ...". [1]

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس ما نصه: "(النون والظاء والميم) :أَصْلٌ يَدُلّ عَلَى تَأْلِيفِ شَيءٍ وَتَأْلِيفِهِ، وَنَظَمْتُ الخَرَزَ نَظْمًا، وَنَظَمْتُ اَلشِّعْرَ وَغَيرَهُ، وَالنِّظَامُ: الخَيْطُ يَجْمَعُ الخَرَزَ..."[2]

قال الفيروزآبادي: "النّظْمُ: التَّأْلِيفُ، وَضَمُّ شَيْءٍ إِلَى شَيءٍ آخَرَ، وَنَظَمَ اللُّؤْلُؤَ يَنْظِمُهُ نَظْمًا وَنِظَامًا وَنَظّمهُ: أَلَّفَهُ، وَجَمَعَهُ فِي سِلْكٍ، فَانْتَظَمَ وَتَنَظَّمَ. وَانْتَظَمَهُ بِالرُّمْحِ: اِختَلَّهُ، وَالنِّظَامُ كُلُّ خَيطٍ يُنْظَمُ بِهِ لُؤلُؤ وَنَحْوُه، جَ: أَنْظِمَةٌ وَأَنَاظِيمُ وَنُظُمٌ ...".[3]

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2004م، ص832.

[2] أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، (د ط)، 1339هـ-1979م، 444/5، (ن ظ م).

[3] الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 1429هـ-2008م، مجلد1، ص1624(نظم).

ب- اصطلاحا:

قال الجرجاني: "النظم هو تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض".[1]

ويعرفه صاحب الصناعتين: "فيرى النظم في حسن التأليف وجودة التركيب وحسن الرصف".[2]

ويعرفه عبد القادر الرازي بقوله: "النظم هو خلوص الكلام من التعقيد و أصله من الفصيح وهو اللبن الذي أخذت منه الرغوة".[3]

أما عند الجاحظ فيما ينقله عنه صالح بلعيد فهو: "التأليف والسبك مثل وضع لآلئ في سلك، ومثل ذلك بسقوط جميع الأسنان، فهي أصلح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها".[4]

وأما المبرد فقد درس جوانب النظم من خلال مراعاة الفروق في تأليف الكلام "... حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام وحسن النظم، حتى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاضدة شكلها وأن يقرب بها البعيد ويحذف منها الفضول".[5]

ومن خلال التعريفات السابقة، تتبين الصلة الوثيقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للنظم، فالنظم هو الضّم والجمع، وهو يشبه الخيط الجامع للؤلؤ، وفي مجال الكلام هو ضمّ الألفاظ بعضها إلى بعض فتتألف منها المعاني.

2.أسس نظرية النظم:

بنى الجرجاني نظرية النّظم على أربعة أركان جوهرية، وهي كما يلي:

أ- ترتيب الألفاظ حسب ترتيب المعاني في النّفس

وتكمن المزية البلاغية في المعنى الذي تحدثه الألفاظ إذا ألّفت على ضرب خاص من

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، (د ط)، (د ت)، ص5.

[2] أبوهلال العسكري، الصناعتين، ص167.

[3] صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، ط4، 2014م، ص161.

[4] المرجع نفسه، ص109.

[5] نفسه، ص111.

التأليف، ورتبت ترتيبا بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام على حساب ترتيب معانيها في النفس.[1]

ويشير إلى المعنى المقالي والمعنى المقامي، وهما اللذان يكونان معا ما يعرف اليوم بالمعنى الدلالي للجملة، إنما هو معنى واحد، لعدة معان، فحين ينظم المتكلم جملة نحو:

ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له.

يفهم المتلقي من مجموع هذه الألفاظ معنى واحدا، لأن معانيها اتحدت فصارت من أجل ذلك كأنها لفظة واحدة.[2]

يبرهن الجرجاني من هذه الفكرة أن النظم: ترتيب معاني الألفاظ في النفس وليس ترتيب الألفاظ وتواليها في النطق:

ويقول كذلك: "ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل...".[3]

والترتيب هو عنصر أساسي من عناصر نظرية النظم ومقياس يقاس بواسطته الحسن في الكلام، وقد مثل الإمام الجرجاني لذلك بقول الفرزدق:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إلاّ مُمَلَّكاً أَبُو أُمِّه حَيٌّ أَبُوه يُقَارِبُه

والظاهر في هذا البيت أن هناك أربع مخالفات نحوية هي: تقديم المستثنى على المستثنى منه، والفصل بين "مثل" و "حي" وهما بدل ومبدل منه، وبين "أبو "أمه و "أبوه" وهما مبتدأ وخبر، وبين "حي" و"يقاربه"، وهما نعت ومنعوت ولا يفصل بين كل منهما بأجنبي.[4]

---

[1] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص40-45.

[2] مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية-لونجمان، القاهرة، ص12.

[3] ينظر: عبود خليفة، علاقة الدرس النّحوي بالدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، مذكرة ماستر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر، 2019/05/22م، ص150.

[4] المرجع نفسه، ص150.

علق عبد القاهر الجرجاني على هذا البيت أنه لم يرد غموض المعنى في البيت إلى التعقيد اللفظي، ولا إلى أي شيء آخر مما اشترطه البلاغيون لفصاحة الكلام وبلاغته، بل ردّه إلى كون الشاعر لم يرتب الألفاظ في النطق على حسب ترتيب معانيها في نفسه ومن هنا منع المتلقي أن يفهم الغرض من البيت.

بهذا المعنى يصبح النظم صيغة وثيقة الصلة بقوى الإنسان المدركة وفي مقدمتها العقل، ويصبح انتظام الوحدات اللغوية انعكاسات للمضمون وبنائه المنطقي، وبهذه الصيغ أشار الجرجاني إلى أصل من أصول الوحدة المنطقية، فقدم للعقل مكانا في العمل الفني وجعله هاديا لوحدة النسق.

ب- التعلق النحوي (التعليق):

عبد القاهر أول عالم أخرج النحو من نطاق شكليته وجفافه، وسما به فوق الخلافات والتأويلات حول البناء والإعراب، لقد أخضع النحو لفكرة النظم، قال: "معلوم أنه ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض".

وهو في سبيل توضيح هذا التعريف قال: "والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما.

فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبرا عنه أو حالا منه أو تابعا له صفة أو تأكيدا أو عطف بيان أو بدلاً أو عطفاً بحرف، أو بأن يكون الأول مضافاً إلى الثاني، أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول... أو بأن يكون تمييزاً.

وأما تعلق الاسم بالفعل فبأن يكون فاعلا له أو مفعولا، فيكون مصدرا قد انتصب به... ويقال له المفعول المطلق، أو مفعولا به... أو ظرفا مفعولا فيه زمانا أو مكانا... أو مفعولا معه... أو مفعولا له... أو بأن يكون منزلا من الفعل منزلة مفعول له... أو بأن يكون منزلا من الفعل منزلة المفعول، وذلك في خبر كان وأخواتها والحال والتمييز المنتصب عن تمام

الكلام ... ومثله الاسم المنتصب على الاستثناء[1].

وأما تعلق الحرف بهما فعلى ثلاثة أضرب: أحدها أن يتوسط بين الفعل والاسم فيكون ذلك في حروف الجر التي من شأنها أن تعدي الأفعال إلى ما لا تتعدى إليه بأنفسها من الأسماء... وكذلك سبيل الواو بمعنى (مع)... وكذلك حكم إلاّ في الاستثناء فإنها عندهم بمنزلة هذه الواو الكائنة بمعنى (مع) في التوسط. والضرب الثاني من تعلق الحرف بما يتعلق به العطف وهو أن يدخل الثاني في عمل العامل في الأول. والضرب الثالث تعلق بمجموع الجملة كتعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه[2].

وقد اعتبر (تمام حسان) التعليق أهم وأخطر ما تكلم فيه الجرجاني بقوله: "وأما أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر على الإطلاق، فلم يكن النظم والبناء ولا الترتيب وإنما كان "التعليق" وقد قصد به في زعمي إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية"[3]. ويعتبر التعليق من أصعب القرائن "من حيث إمكانية الكشف وذلك راجع لأنها قرينة معنوية خالصة تحتاج إلى تأمل في بعض الأحيان، وأيضا كون المتأمل فيها يقود في الأغلب الأعمّ من الحالات إلى متاهات الأفكار الظنية التي لا تتصل اتصالا مباشرا بالتفكير النحوي، والأمر راجع إلى الكشف عن هذه القرينة هو الغاية الكبرى من التحليل الإعرابي"[4].

ونستنتج أنّ التعليق النحوي عند الجرجاني هو مجموعة من العلاقات النّحوية التي تنشأ بين العناصر التي تتصاحب في داخل السياق الكلامي.

ج- اختيار الموقع:

هذا الركن شديد الصلة بعنصر الترتيب، والركيزة الأساسية لتحقيق النظم الذي هو مدار البلاغة، يقوم على ترتيب المعاني في النفس، وإدرَاك مواقعها في النفس، ودعم هذه

[1] حاتم الضامن، نظرية النظم، ص47.

[2] المرجع نفسه، ص48.

[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، (د ط)، 1994م، ص188.

[4] المرجع نفسه، ص182.

الفكرة عبد القاهر الجرجاني بقوله: "وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق".[1]

فاستعمال الألفاظ أوجب مراعاة ملاءمة معنى الكلمة لمعنى التي تليها، ومثال ذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر، ونمثّل على هذا الرّكن بما يلي:

ويقول الصمّة بن عبد الله القشيري:

تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحيّ حَتَّى وَجَدتُني وَجِعْت مِن الإصْغَاء ليتًا وأخدعًا[2]

فهذا البيت قد حُكم عليه بالجودة نظراً للاتّساق الوارد بين ألفاظ البيت وموضع كلمة "الأخدع" فيه.

ثم تجد ورود هذه الكلمة نفسها في بيت "البحتري"، وهي بأقلّ جودة إذ يقول:

وإنّي وإنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْغِنَى وأعتقت مِن رِقّ المَطَامِع أخدعي[3]

ونقص الجودة عن المثال الأول إنّما سببه موضع الكلمة(الأخدع) والتّغريب الوارد في التمثيل، قد رمى بالمعنى بعيدًا.

ثم نقل بعضهم بيتًا آخر يحوي كلمة "الأخدع"، وقد حكم عليه بالقبح، وهو بيت أبي تمّام:

يَا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ، فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الأَنَامَ مِنْ خُرْقِك[4]

---

[1] سليمة بوقودي– ليثماس عمريو، أثر نظرية النّظم لعبد القاهر الجرجاني في الدراسات اللغوية العربية من خلال كتابه دلائل الإعجاز، مذكرة ماستر، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية ـ الجزائر، 2017–2018م، ص26.

[2] هذا البيت من القصيدة التي مطلعها:

خَلِيلَيَّ، عَوجَا مِنْكُمَا اليَومَ أَوْدَعَا نُحِيّ رُسُومًا بِالقُبَيْبَةِ بَلْقَعَا

ينظر: ديوان الصمة بن عبد الله القشيري، تح: خالد عبد الرؤوف الجبر، دار المناهج، عمّان– الأردن،(دط)، 2003م، ص111.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، ص47.

[4] الموازنة بين أبي تمّام والبحتري، تعليق: غريد الشّيخ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1424هـ–2003م، ص271.

ذهب بعض النّقاد القدامى إلى أنّ السبب تثنية الكلمة (الأخدع) – وهو قول ابن الأثير– لكنّ الرّاجح ليست التثنية إنّما هو مكان وقوع الكلمة، فهو الذي يكسب البيت الجودة أو القبح والرداءة.

والنتيجة أن الألفاظ ترتب حسب ترتيب المعاني في النفس بحيث يتعلق بعضها ببعض، وتقع موقعها الملائم من النظم، هذا عند عبد القاهر الجرجاني.

د- توخّي معاني النحو:

"ينعى على الزاهدين في النحو، ويعذرهم بأنهم فقدوا الحكمة في أوضاع اللغة، وتقرير المقاييس، التي اطّردت عليها، ويدعو إلى معرفة النحو لأنه نظام اللغة ووقاية من الخطأ، فالنظم صنعة يستعان عليها بالفكرة، وتحصل هذه الصنعة بترتيب الألفاظ بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها وخاضعة لمعاني النحو التي لا تخرج عن المقاييس اللغوية المعمول بها في الكلام الجاري على سمت كلام العرب؛ أي الشائع لدى العامة. وتوخي النحو يقصد به توخي تلك المعاني الدالة على المعقولية والتي لا تخالف المنطق العقلي ولا اللغوي، ولا يستفاد معنى دون خضوعه لتلك القواعد النحوية التي هي أوضاع اللغة"[1].

وتوخي معاني النحو يعني النظم على منوال العرب في تعلقهم للكلام، ويعطي عبد القاهر مثالا من الفروق الدقيقة التي تراعيها اللغة في التأليف" وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: "زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق، وزيد هو منطلق".[2]

وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: "إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج".

[1] صالح بلعيد، نظرية النظم، ص134.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص81.

وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: "جاءني زيد مسرعا وجاءني يسرع وجاءني وهو مسرع أو هو يسرع، وجاءني قد أسرع، وجاءني وقد أسرع".

فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به حيث ينبغي له وينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه، نحو أن يجيء بـ (ما) في نفي الحال، وبـ (لا) إذا أراد نفي الاستقبال، وبـ (إن) فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون، وبـ (إذا) فيما علم أنه كائن".

وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع (الواو) من موضع (الفاء)، وموضع (الفاء) من موضع (ثم)، وموضع (أو) من موضع (أم) وموضع (لكن) من موضع (بل)، ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير، في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، فيصيب بكل من ذلك في مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له"[1].

إنّ توخّي معاني النحو عند الجرجاني هي أن نضع كل كلمة في المكان المناسب لها، والسّياق الذي يقتضيها، والأغراض التي يصاغ لها الكلام.

إنّ نظرية النّظم بمختلف مسمياتها كانت من أهم القضايا التي شغلت المفكرين العرب سواء في القديم أو الحديث وعلى رأسهم الإمام عبد القاهر الجرجاني، فهي تعدّ نقلة نوعية بلغها النّقد العربي في مرحلة الكمال والنضج، ممّا يدل على عظم شأنها في فهم وتفسير المعنى.

ثانيا: نقاط التحول في الدرس البلاغي التي صحبت بروز نظرية النظم

1-المباحث:

لم تنشأ المباحث البلاغية نشأة تجعل لكل منها شخصيته المستقلة وبحثه الخاص، بل كان يطلق عليها جميعاً كلمة البلاغة أو الفصاحة أو البيان أو غيرها من الكلمات المرادفة،

[1] المصدر السابق، ص81-82.

فقد كانت مدلولاتها واحدة، وتندرج تحتها فنون البلاغة دون تحديد معالم كل فن. فقد تناول الشيخ عبد القاهر البيان في مقدمة كتابه (الدلائل) الذي جعله لشرح نظرية النظم أي علم المعاني، فيقول: "ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأبسق فرعاً، وأحلى جنى، وأعذب وِرداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البيان، الذي لولاه لم تر لساناً يَحُوك الوشى، ويَصُوغ الحَلى، ويلفظ الدر، وينفُث السحر، ويَقري[1] الشهد، ويُريك بدائع من الزهر، ويَجنِيك الحُلوَ اليانع من الثمر، والذي لولا تحفِّيه بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة، ولَما استَبَنْتَ لها –يد الدهر– صورة، ولاستمرَّ السِّرار[2] بأهلَّتها، واستولى الخفاء على جملتها، إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء.

إلا أنك لن ترى نوعاً من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه، ومُنيَ[3] من الحيف بما مُنيَ به، ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه[4]".

وقد قسم المتأخرون عن عبد القاهر البيان عن باقي المباحث البلاغية خصوصا علم المعاني وعلى الرغم من أن علم البلاغة قسم إلى: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، إلا أن هذه العلوم الثلاثة يبقى بعضها مكملاً الآخر، فالصلة بينها صلة قوية.

ونعرض في ما يلي بيان علاقة النظم بعلم النحو وبعلوم البلاغة ، كلّ على حدة، مع التطرق لشرح كل علم شرحا موجزا.

أ- صلة النظم بعلم النحو:

ميز النحاة القدامى بين مستويين للدراسة النحوية: المستوى الأول يتمثل في رصد الصواب والخطأ في الأداء، وما هو إلا تلك القواعد المجردة التي كان مرجع النحويين فيها

[1] يَقرِي الشيء: يجمعه. وانظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص6، الهامش.

[2] السِّرار (بالكسر) اختفاء القمر في آخر ليلة في الشهر. وانظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها، الهامش.

[3] مُنِيَ: أُبتُلِيَ و أُصيب. وانظر: نفسه، الصفحة نفسها، الهامش.

[4] نفسه، ص5-6، مقدمة المصنف.

كلام العرب الفصيح المنقول نقلا صحيحا يبلغ حد الكثرة، ثم القياس أي قياس ما لم ينقل على ما نقل إذا كان يسير في مساره.[1]

أما المستوى الثاني فيتجاوز الأول إلى ناحية الجمال والإبداع، فقد كان يتمثل في العلاقات المتنوعة بين الكلمات ثم بين الجمل؛ فاللغة العربية ذات سمات وخصائص اهتم لها النحويون القدامى أمثال سيبويه وغيره كما اهتموا بالتراكيب وأدركوا أن الخبرة بتراكيب اللغة هي في الوقت ذاته خبرة بالأغراض التي تعبر عنها أو بعبارة أخرى أدرك النحاة أن هناك ارتباطا قويا بين ما يسمى بالتراكيب وما يسمى بالمعاني والأفكار.[2]

فالنحو حسب مجمل التعريفات يعنى بدراسة أواخر الكلمات من حركات وسكنات، أو علاقة الألفاظ المتجاورة في التركيب الواحد(الجملة).

وقد رأى النحاة في المستوى الأول إجحافا في حق النحو كونه لا يمكنهم من دراسة إعجاز القرآن والكشف عن روعة وبراعة تراكيبه فتجاوزوه إلى المستوى الثاني ووصفوا الأول بأن فيه تضييقا شديدا لدائرة البحث النحوي، فهو حصر له في جزء يسير مما ينبغي أن يتناوله، كما يقول الأستاذ إبراهيم مصطفى،[3] ويرى أن التعريف الصحيح للنحو هو: "قانون تأليف الكلام، وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجمل، حتى تتسق العبارة، ويمكن أن تؤدي معناها".[4]

وذلك أن لكل كلمة وهي منفردة معنى خاصاً تتكفل اللغة ببيانه، وللكلمات مركبة معنى، هو صورة لما في أنفسنا، ولما نقصد أن نعبر عنه ونؤديه إلى الناس، وتأليف الكلمات في كل لغة يجري على نظام خاص بها، لا تكون العبارات مفهِمة ولا مصورة لما

[1] ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، ناشرون، لونجمان، ط1، 1994م، ص38.

[2] المرجع نفسه، ص39.

[3] ينظر: مصطفى إبراهيم، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د ط)، 2012م، ص17-18.

[4] المرجع نفسه، ص17.

يراد حتى تجري والقوانين التي تمثل هذا النظام وتحدده تستقر في نفوس المتكلمين وملكاتهم، وعنها يصدر الكلام، فإذا كشف وضعت ودونت، فهي علم النحو.[1]

إنّ قصر النحو على معرفة أحوال أواخر الكلمات إفراغ له من حقيقته، وإبعاد له عن غايته، وقد تنبه الشيخ عبد القاهر للتقصير الذي آل إليه علم النحو، فحاول رد الاعتبار له بإعادته إلى ميدان بحثه الحقيقي، والإثراء في مباحثه، فابتكر نظرية النظم، وألّف كتابه الدلائل شرحاً لها، فدرس فيه التراكيب اللغوية، بانياً نظريته على المعنى الواسع الشامل لعلم النحو، مؤكداً أن قواعد النظم –في جوهرها– ما هي إلا قواعد النحو وقوانينه، وقد أبرز هذا المعنى في مواضع عدة من الدلائل، من ذلك قوله: أن ليس النظم شيئاً إلا توخي معاني النحو وأحكامه، ووجوهه، وفروقه فيما بين معاني الكلم، وأنك قد تبينت أنه إذا رفع معاني النحو وأحكامه مما بين الكلم، حتى لا تراد فيها في جملة ولا تفصيل، خَرَجْتِ الكلمُ المنطوق ببعضها في إثر بعض في البيت من الشعر والفصل من النثر، عن أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها موجب ومقتضٍ، وعن أن يتصور أن يقال في كلمة منها إنها مرتبطة بصاحبة لها، ومتعلقة بها، وكائنة بسبب منها."[2]

وقوله: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخلّ بشيء منها".[3]

وقوله أيضا "فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إنْ كان صواباً، وخطؤه إنْ كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما

[1] المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص525.

[3] المصدر نفسه، ص81.

ينبغي له."[1]

وأكد الشيخ عبد القاهر الاتحاد بين علم النحو والنظم حين جعل دليل إعجاز النظم القرآني يطلب في (معاني النحو)، حيث قال: "فإذا ثبت الآن أن لا شك ولا مرية في أن ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم، ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النحو، وأحكامه، ووجوهه، وفروقه، ولم يعلم أنها معدنه و مَعانه[2]، وموضعه ومكانه، وأنه لا مستنبط له سواها، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها، غار نفسه بالكاذب من الطمع، ومسلم لها إلى الخدع، وأنه إنْ أبى أن يكون فيها كان قد أبى أن يكون القرآن معجزاً بنظمه، ولزمه أن يثبت شيئاً آخر يكون معجزاً به، وأن يلحق بأصحاب الصرفة فيدفع الإعجاز من أصله، وهذا تقرير لا يدفعه إلا معاند يعد الرجوع عن باطل قد اعتقده عجزاً، والثبات عليه من بعد لزوم الحجة جلَدا[3]، ومن وضع نفسه في هذه المنزلة كان قد باعدها من الإنسانية."[4]

وقد صرح الإمام بأن النظم هو معاني النحو، وليس هناك وجه للفصل بين(علم المعاني) و(علم النحو)، وقد كان الفصل بينهما انحرافاً عن الحس اللغوي السليم، يقول الأستاذ إبراهيم مصطفى: "وآخرون منهم يقصد جمهور النحاة أخذوا الأمثلة التي ضربها عبد القاهر بياناً لرأيه، وتأييداً لمذهبه، وجعلوها أصول علم من علوم البلاغة، سموه:(علم المعاني)، وفصلوه عن النحو فصلاً أزهق روح الفكرة، وذهب بنورها، وقد كان أبو بكر يبدي ويعيد في أنها (معاني النحو)، فسموا علمهم:(المعاني)، وبتروا الاسم هذا البتر المضلل".[5]

---

[1] المصدر السابق، ص82-83.

[2] المَعان (بالفتح): المباءة والمنزل. وينظر: المصدر نفسه، ص526، الهامش.

[3] الجَلَد: القوة والشدة. وينظر: نفسه، الصفحة نفسها، الهامش.

[4] نفسه، ص526.

[5] مصطفى إبراهيم، إحياء النحو، ص26-27.

إن إقصاء النحو عن معانيه يحيله قواعد جافة، وقوانين جامدة، ويفقده أهميته في الكشف عن وجه الإعجاز القرآني، ويبعده عن وظيفته في الوقوف على الخصائص التعبيرية والأسلوبية في اللغة، وفي استخلاص أسرار تركيب الكلام وتحليل الوجوه البلاغية فيه، ولعمق الصلة بينه وبين علم المعاني أطلق عليه مصطلح (البلاغة النحوية)، أو (النحو البلاغي).

وهكذا فإن الصلة وثيقة بين علم النحو وعلم المعاني، بل إن موضوعهما واحد؛ فهما يبحثان القوانين التي يجب مراعاتها في تأليف الكلام، والعلاقات القائمةَ بين الكلمات في الجملة، وبين الجمل بعضها مع بعض، وأثر ذلك على أداء المعنى المطلوب.

ب- صلة النظم بعلم المعاني:

عرَّف البلاغيون علم المعاني بأنه: "علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، أي هو العلم الذي يبحث أحوال اللفظ، مثل التعريف والتنكير، والذِّكر والحذف، والإظهار والإضمار، وغير ذلك، ويتبين كيف تكون هذه الأحوال واقعة في الكلام موقعاً تطابق دواعي النفس، ولم تأت زائدة ثقيلة، ولا متكلفة كريهة، وهذه الأحوال هي التي نسميها الخصائص، أو الكيفيات، أو الهيئات".[1]

هذه المسائل التي يبحثها علم المعاني والتي درسها البلاغيون بعد الشيخ عبد القاهر، هي نفسها التي درسها الشيخ وبسط فيها القول في كتابه(دلائل الإعجاز) قاصداً شرح نظرية النظم، فعلم المعاني يعد امتداداً وتطبيقاً عملياً لنظرية النظم.

ويؤكد د.محمد أبو موسى هذا المعنى، فيعرف علم المعاني، ثم يؤكّد أنه لا فرق بينه وبين مفهوم النظم، يقول: "إن علم المعاني هو العلم الذي يرشد إلى ما تحمله النصوص

[1] محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1416هـ-1996م، ص75.

الأدبية من دقيق المعاني، وخفي الإيحاءات، وذلك بدراسة هذه النصوص، وتقليب دلالتها على وجوه مختلفة، وتوضيح ما يعطيه متن النص أو جانبه،[1]ثم قال: ما علاقة هذا المفهوم بمفهوم النظم أو علم النظم ؟.

وأجاب: نكون من المتكلفين إذا أقمنا هنا فرقاً، فقد أوضحنا أن علم النظم هو الذي يختص بإبراز الأسرار والنكت، وليست الأسرار والنكت إلا تلك المعاني الخفية التي تظل محتجبة حتى يبرزها راضة هذا العلم، وليس البحث عن علاقات الجمل وروابط المعاني إلا تجلية لهذه الأسرار وتوضيحاً لها".[2]

صلة النظم بعلم المعاني تتلخص في أنهما اسمان لعلْمٍ واحد، حمل هذا العلم اسم (النظم) في بداية نشأته، وانتهى باسم (علم المعاني)، الاسم الأول يصور مجال بحث هذا العلم، وهو الكلام المنظوم المترابط، والاسم الثاني يصور الهدف من هذا العلم وهو الكشف عن المعاني والأسرار التي تحملها النصوص، والتي يريد المتكلم أن يعبر عنها.

ومن ذلك فإن موضوع بحث(النظم)هو موضوع بحث(علم المعاني)، والمصطلحان مترادفان، يختلفان في اللفظ، ويتفقان في المضمون.

ج- صلة النظم بعلم البيان:

يقول الجرجاني في مقدمة كتابه – الدلائل-: "ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأبسق فرعاً، وأحلى جنى، وأعذب وِرداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البيان، الذي لولاه لم تر لساناً يَحُوك الوشي، ويَصُوغ الحَلْي، ويلفظ الدر، وينفُث السحر، ويَقري الشهد، ويُريك بدائع من الزهر، ويَجنِيك الحُلوَ اليانع من الثمر، والذي لولا تحفِّيه بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إياها لبقيت كامنة مستورة، ولَما استَبَنْتَ لها -يد الدهر- صورة، ولاستمرَّ

[1] محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، دار الفكر العربي، (د ط)،(د ت)، ص200.

[2] المرجع نفسه، ص201.

السِّرار بأهلَّتها، واستولى الخفاء على جملتها، إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء.[1]"

وهو هنا لا يقصد العلم بتسميته المعروفة الآن فقد كان مصطلح (علم البيان) يطلق على البلاغة بصفة عامة، فلم يكن له إطار واضح الحدود، إلى أن استقرت المباحث البلاغية، وخص علم البيان ببحث الصور الكلامية المؤثرة.

فعلم البيان "هو العلم الذي تستطيع بواسطته وبمعرفته أن تؤدي المعنى الواحد الذي تريد تأديته بطرق مختلفة من اللفظ، بعضها أوضح من بعض، وإنْ شئت فقل: بعضها أكثر تأثيراً من بعضها الآخر"[2]، ومن هذه الطرق: الكناية، والتشبيه، والمجاز بأنواعه، و قد بحث الشيخ عبد القاهر هذه الموضوعات في كتاب مستقل، سماه (أسرار البلاغة).

واضح أن (علم البيان) يختلف في بحثه عن (علم المعاني)، غير أن العلاقة بين العلمين قائمة وقوية، تنطلق من طبيعة تركيب النفس البشرية، ومن وظيفة اللغة التأثيرية، فحتى يكون الكلام بليغاً، ويقع موقعه من النفس لا بد أن يشبع حاجات الإنسان، والإنسان فكر وعاطفة، وعلم المعاني يحاكي الفكر، أما علم البيان فيحاكي العواطف والمشاعر.

يقول أ.د.فضل عباس موضحاً الصلة بين (علم المعاني) و(علم البيان)، ومؤكداً عدم الغناء بأحدهما عن الآخر:"علم المعاني هو مطابقة ما على اللسان لما في النفس، وهذه قضية تعتمد أول ما تعتمد على الفكر، ولكن الإنسان ليس فكراً وحده، فلقد أراد الله له أن يكون له مع الفكر عاطفة، ومع العقل وجدان، ومع المنطق أحاسيس ومشاعر، ولعلك الآن بدأت تدرك وظيفة علم البيان، فإذا كان علم المعاني يعتمد أول ما يعتمد على الفكر الذي تطابق به بين ما رتبته في نفسك، وما ينبغي أن ترتبه في نطقك، فإن علم البيان هو ذلك العلم الذي يحدث أثراً في نفسك، ويسمو بعاطفتك، ويرهف حسك.

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص5-6.

[2] فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها -علم البيان والبديع-، دار الفرقان، ط10، 2005م، ص13-14.

ولا بد للبلاغة من هذين الركنين: أن يكون الكلام متلائماً مع أوضاع المخاطبين، وأن يكون مؤثراً في النفس حتى تتفاعل معه وتتجاوب، فالركن الأول هو وظيفة علم المعاني، والركن الثاني مهمة علم البيان.

علم البيان إذن علم الصور البديعية، التي من شأنها، أن تهز أعطاف النفس، ونحن لا نريد أن نفاضل بين العلمين؛ إذ لا غَناء بأحدهما عن الآخر، وإنْ كانت قضية النظم أدق مسلكاً، وأدلّ على الإعجاز، إلا أن علم البيان أدعى للتأثير، وأدنى إلى العاطفة."[1]

د- صلة النظم بعلم البديع:

عند دراسة تاريخ نشأة(علم البديع) ، يظهر أنه لم يكن يشكّل فناً مستقلاً، بل كان ممتزجاً بعلمي المعاني والبيان، ثم بدأ هذا العلم يتخصص في مسائل معينة، إلى أن استقر وأصبح يطلق ويراد به:"العلم الذي يوشي به الكلام بأوجه الحسن، وقد يكون ذلك الحسن من جهة اللفظ، وقد يكون من جهة المعنى، ومن هنا فلقد قسموا مباحث هذا العلم إلى قسمين:

أولاً: المحسنات المعنوية.

ثانياً: المحسنات اللفظية".[2]

أما عن علاقة(علم البديع) بالنظم، فيأتي(علم البديع) تابعاً لعلم المعاني لا يقدم عليه؛ ذلك أن بلاغة الكلام ترجع إلى معناه، لا إلى لفظه، كما صرح الشيخ عبد القاهر في أكثر من موضع في كتبه.

وإذا قُدم تزيين الكلام وتحسينه على حساب المعنى، فإنه يخرج متكلفاً، لا يؤثر في السامع، ولا يتجاوز أذنه؛ لذلك قال الشيخ عبد القاهر في(أسرار البلاغة): "وعلى الجملة

[1] المرجع السابق، ص12.

[2] المرجع نفسه، ص276.

فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سجعاً حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً، ولا تجد عنه حولاً، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن وأولاه: ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه..."[1].

فليست المحسنات في الكلام البليغ مقصودة لذاتها، وإنما هي تبع للمعاني، تزيد الكلام حسناً إنْ كان صحيح المعنى، سليم التركيب.

تتفرع اللغة العربية إلى علوم كثيرة، ولكل فن من فنونها مباحثه الخاصة، التي تتشعب لتلتقي مع مباحث العلوم الأخرى في نقاط التقاء معينة، وليس استقلال كل علم باسم خاص به يجعله بمعزل عن غيره من العلوم، ومعلوم أن لكل فن بحثه الذي يميزه عن غيره، ولكن هذا لا يمنع من اتصاله بفنون اللغة الأخرى، كما هي حال علم المعاني مع علم النحو وعلمي البيان والبديع.

2- القضايا:

أ- تطور فكرة النظم:

كانت نظرية النظم هدما صريحا لثنائية اللفظ والمعنى فقد حمل عبد القاهر الجرجاني على النقاد القدماء، وخطأهم فيما ذهبوا إليه في تفضيلهم للألفاظ على حساب المعاني أو المعاني على حساب الألفاظ قائلا:« واعلم أن الداء الدوي والذي أعيى أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه وأقل الاحتفال باللفظ وجعل لا يعطيه من المزية أن هو أعطى إلا ما فضل عن المعنى: يقول ما في اللفظ لولا المعنى وهل الكلام إلا بمعناه فأنت تراه لا

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر، دار المدني، جدة، (دط)، (دت)، ص11، مقدمة المصنف.

يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة أو أدبا واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر.»[1]

ثم ركز على أنه لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هنا فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق.»[2]

ب- موقف الجرجاني من قضية اللفظ والمعنى:

من القضايا التي تناولها الدرس اللغوي في عصر الجرجاني قضية اللفظ والمعنى والتي شاعت في النقد العربي القديم ، وانقسم العلماء حيالها قسمين: بين منتصر للفظ ومنتصر للمعنى. فلما جاء الجرجاني أنكر هذه الثنائية الشائعة منتقدا استقلالية اللفظ عن المعنى أو إرجاع الفضل في الكلام لأحدهما دون الآخر، وبذلك بذل جهدا لتثبيت الوحدة بين اللفظ والمعنى مستفيدا من منطق الكلاميين وجد لهم، حاشدا لهذه القضية التي أصبحت تبدو لنا سهلة، حشد لها الأدلة والكثير من المناقشات النظرية والتطبيقية حتى تستقر في أذهان الناس وليصل بهم إلى درجة الاقتناع.

يقول في أحد النصوص المتعلقة بهذه المسألة:« إن كانت الألفاظ أوعية المعاني فإنها لامحالة، تتبع المعاني في مواقعها فإذا أوجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق».[3]

---

[1] حميد قبايلي، نظرية النظم عند القاهر الجرجاني، دراسة في الأسس والمنطلقات، مجلة الأثر، جامعة عباس لغرور، خنشلة-الجزائر، العدد:29، ديسمبر2019م، ص14-15.

[2] المرجع نفسه، ص16.

[3] الصغير عبيد، نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني ونقاط التقائها مع مقولات النقد الغربي الحديث، ص225.

ج- الجديد الذي أضافه الجرجاني على مستوى الكلمة:

من أهم ما قام به عبد القاهر في مجال الكلمة هو أنه: « لم يقسم الجملة إلى أجزاء العبارة كل جزء منفرد عن الآخر، وكأنه على غير صلة به»[1]، لأنه إذا تم التركيز على الكلمة منفردة فأول ما يهتم به فيها البنية التي تعتبر عند الجرجاني «مما يتسنى تبريره بالعقل، وإن دلالتها على المعنى دلالة اعتباطية لا سبب لها إلا تواطؤ المستعملين، ولذا اعتبرت من قبل العلامات والسمات ومن شأن العلامة أن تكون وسيلة تمييز، هي لا تكتسب قيمتها المعنوية إلا إذا قوبلت بما لا تدل عليه، فهي مع العلامات الأخرى في علاقة تقابلية»[2]، وضرب الجرجاني عدة أمثلة في الدلائل مثل مفردة الضرب التي يفيد نظم حروفها وترتيبه في شيء ويقول إن المستعمل الأول لو قال (ربض) لساد هذا الاستعمال بلا غرابة، بحيث أن «الكلمات التي هي سمات لمسميات لا فائدة منها بحد ذاتها، وليس الغاية أن تعرف معانيها بنفسها، فلا يقال(جبل) أو (كتاب) يعرف معنى هذا الشيء بذاته إذ لم تتم المواظبة إلا على شيء معروف أصلا»[3]، فالكلمة في نظر عبد القاهر لا تتحقق بها فائدة ما دامت مفردة؛ لأنه «لا تتفاضل الألفاظ من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، بل تتفاضل في حسن ملاءمة معنى اللفظة لمعاني جاراتها» فالإفادة إذن لا تكون إلا إذا تضامت الكلمة مع غيرها وهذا النظام ينتج جملة، ومعيار الإفادة اتخذه الباحثون للتفريق بين مفهوم الكلمة والكلام عند الجرجاني والتسوية بين مفهوم الكلام والجملة.[4]

[1] أم الخير بن الصديق، النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقاتها، ص 402.

[2] المرجع نفسه، ص103.

[3] نفسه، ص120.

[4] نفسه، ص66.

المبحث الرابع: تطبيقات نظرية النظم

بَعْدَ أَنْ عَرَّجْنَا على الأسبابِ وَالدوافعِ، وتعرفْنَا على أهمِّ نقاطِ التَّحوُّلِ في الدَّرسِ البلاغِيِّ، وخاصَّةً فِيمَا أتَى به الجرجاني من نظريَّةِ النَّظمِ، فإنَّه يَحِقُّ لنا أن نتساءلَ هَهُنا: هل استطاعَ الشَّيخُ تطبيقَ هذه النَّظريَّةِ؟، وإن كان ذلك كذلك، فكيف كان تطبيقُه؟.

وللإجابةِ على هذه التَّساؤلاتَ نستعرضُ بعضَ نماذجِ التَّطبيقاتِ عندَ عبدِ القاهرِ، والتي أجراهَا على نُصوصٍ مختلفةٍ من شعرٍ، قرآنٍ، ونثرٍ، كيْ تتَّضحَ الرُّؤيةُ، وتَثبُتَ الحجَّةُ.

وقبلَ عرضِنَا هذا وجبَ الإشارةُ إلى أنَّ الشَّيخَ أكثرَ من الإستشهادِ بالشعرِ ومنَ التَّطبيقِ عليهِ، بخلافِ النَّثرِ والقرآنِ، فهوَ قليلٌ جدًّا إذْ أنَّ عددَ الأبياتِ الشِّعريَّةِ الواردةِ في كتابِ الشَّيخِ –بعدَ إسقاطِ المكرراتِ– يبلغُ أربعةً وسبعينَ وأربعمائَةِ بيتًا،[1] فمَا علَّةُ ذلِكَ؟.

نجدُ منَ الأسبابِ ما ذكرَهُ محمد إبراهيم شادي في كتابِهِ(شرح دلائل الإعجاز) حيثُ يقولُ: "وضعَ عبدُ القاهرِ العِلمَ باللُّغةِ وَالعلمَ بالشِّعرِ أساسينِ للبحثِ عنِ الإعجازِ، والعلمُ بالشعرِ يعني العلمَ بنقدِ الشِّعرِ فَهْمًا وَتَذوُّقًا وَقدرةً على الموازنةِ والمفاضلةِ مع التعليلِ بوضعِ اليَدِ على الخصائصِ وَالعِلِلِ التِّي يُفَضَّلُ بها شعرٌ عن شعرٍ، ونظمٌ عن نظمٍ، وقد اتَّسقَتْ خطَّتُه مع التَّناولِ التَّفصيلي لسائرِ الفصولِ؛ إذ توسَّلَ بالشِّعرِ كثيرًا في كلِّ ظاهرةٍ أسلوبيَّةٍ يريدُ لنا إدْراكَ نظيرِها في القرآنِ، فكان الشَّيخُ يتوسَّلُ بمَا يعرفُه العربُ في لسانِهم إلى معرفةِ ما يوجدُ في القرآنِ، وإنْ كان النَّظيرُ في القرآنِ معجزًا، لهذا لم يكنْ عجيبًا أنْ يتَّكئَ الشَّيخُ على الشِّعرِ كثيرًا حتَّى صارَتْ شواهدُه هي الأكثرُ منْ غيرِها"[2].

[1] ينظر: نجاح أحمد عبد الكريم الظهار، الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1408هـ–1988م، 1/د، المقدمة.

[2] محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز، دار اليقين المنصورة – مصر، ط2، 1434هـ–2013 م، ص16.

ومُجملُ فكرتِه أنَّ الشَّيخَ يَستدِلُّ بالأدنَى على الأعلَى وبالمعلومِ الذِّي لا إنْكارَ عليه على الذِّي تُحاكُ حولَه الشُّبَهُ ويقعُ فيه الخلافُ والجدالُ، ولكِنْ يمكنُ لأحدٍ أنْ يَتساءلَ فيقول: أَوَلَيْسَ النَّثرُ الذِّي نجدُه في خُطَبِ العربِ ورَسائِلِهم من الأدنَى ومن المعلومِ؟، والجوابُ عليه يكونُ بـــ: بلى، فلمَاذا لا نجدُ الشَّيخَ يُوردُه كَما هوَ الحالُ معَ نظيرِه (الشعر)؟، ببساطةٍ؛ لأنَّ الشِّعرَ ديوانُ العربِ، خاصةً العربُ الأوائلُ الذِين نزلَ فيهم القرآنُ وتحدَّاهُم؛ فقدْ كانَت العربُ أَحْفظَ للشِّعرِ من النَّثرِ وذلك لمميزاتٍ فيه، وبذلِكَ تكونُ أعلمَ به من النَّثرِ، فهْوَ عِلمُهم الذِي لابديلَ لهم عنه. وسببٌ آخرُ وهْوَ منهجُ القُدامى في شرحِ القَواعدِ؛ إذْ كانوا يَتَوَرَّعُون مِنْ جعلِ كلامِ اللهِ محلَّ دربةٍ وتمرينٍ، فيَحتاطون للأمرِ العَقَدِي إزَاءَ القرآنِ الكريمِ كلامِ اللهِ جلَّ وعلا.

أولا: تعريف الشاهد.

لمَّا كان موضوعُ هذا المبحثِ هُو البحثُ في الشَّواهدِ التِّي وظفَها الشَّيخُ الجرجاني، كان لابدَّ لنا مِنْ توضيحِ المقصودِ من كلمةِ الشَّاهدِ لغةً، ثم تبيينِ معناه في الاصطلاحِ، لِمَا له مِنْ أهميَّةٍ في هذا المقامِ؛ فالتَّطبيقاتُ تقومُ على الشَّواهدِ.

1.لغة:

جَاء في لسانِ العربِ:" ... ابنُ سيده: الشَّاهد العالِمُ الذِي يبيّنُ ما علمَه، شهدَ شهادةً؛ ومنه قولُه تعالى: ﴿...شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَٰنِ... ﴾ سورة المائدة الآية106...والجمعُ أشهادٌ وشهودٌ، وشهيدٌ والجمعُ شهداءُ... والشَّهادةُ خبرٌ قاطعٌ... وقال أبو بكرٍ بن الأنباري: قولُه أشهدُ أَن لا إلَهَ إلاَّ الله: أعلمُ أن لا إله إلاَّ الله وأبيّنُ أن لا إله إلاَّ الله... وقولُه عز وجلّ: ﴿...شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ... ﴾ سورة آل عمران الآية18؛ قالَ أبو عبيدة معنى شهِدَ الله قضى الله أنْ لا إله إلاَّ هو...وقولُه عزّ وجلّ:﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِداً...﴾سورة الفتح الآية8؛أيْ على أمَّتِك بالإبلاغِ والرِّسالةِ، وقيل: مبيّنا."[1]

[1] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: ياسر سليمان أبو شادي ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر، (د ط)، (د ت)، مجلد7،7/237–240، مادة شهد. بتصرف.

وجاءَ في القاموسِ المحيطِ: "الشَّهادةُ خبرٌ قاطعٌ...واستشهدَه: سألَه أنْ يشهدَ... وأشهدُ بكذا، أيْ: أحلفُ...والشَّاهدُ: منْ أسماءِ النَّبيِّ ﷺ، واللِّسانِ، والملِكِ، ويومِ الجمعةِ، والنَّجمِ. وصلاةُ الشَّاهدِ: صلاةُ المغربِ."[1]

2.اصطلاحا:

"الشاهدُ هو كلُّ ما يُستشهَدُ به، وهو قولٌ عربيٌّ لقائلٍ موثوقٍ بعربيَّتِه يورَدُ للاحتجاجِ والاستدلالِ به على قولٍ أو رأيٍ. والاستشهادُ هو عمليَّةُ الاحتجاجِ للرَّأيِ أو المذهبِ، أيْ أنْ يأتيَ المستشهِدُ لِما يقولُ بشاهدٍ شعريٍّ أو نثريٍّ مِنَ القولِ المعتمدِ الموثَّقِ ليؤيِّدَه به ويدعمَه."[2]

وحريٌّ بنا أن نوضِّحَ أمرًا، وهو ارتباطُ كلمةِ الشَّاهدِ بالشِّعرِ ابتداءً، ثمَّ تلقّفَها النُّحاةُ وأصبح يُقالُ هذا شاهدٌ نحويٌّ، وآخرُ بلاغيٌّ وغيرُه.

حيثُ أنَّ "الشَّاهدَ النَّحويَّ يؤتَى به لا مِنْ أجلِ توضيحِ وبيانِ قاعدةٍ ما، بل للتَّقعيدِ والاحتجاجِ على قاعدةٍ مِنْ القواعدِ النَّحويَّةِ اطرادًا أو شذوذًا، كما أنَّه محدّدٌ بزمنٍ معيَّنٍ، فليس كلُّ الشُّعراءِ يُحتَجُّ بأشعارِهم.

أمَّا الشَّاهدُ البيانيُّ، فلا يرتبطُ بزمنٍ معيَّنٍ بل يصحُّ الاستشهادُ بكلامِ المولّدين وغيرِهم من المتأخرين في زمانِنا هذا"[3].

---

[1] الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمود مسعود أحمد، المكتبة العصرية، بيروت . لبنان، ط1، 1430هـ-2009م، مجلد3،846/3، مادة شهد.

[2] محمد سمير نجيب اللّبْدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة دار الفرقان، الأردن، ط1، 1405هـ-1985م، ص119.

[3] نجاح أحمد عبد الكريم الظهار، الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز، 35/1-37.

ثانيا: التّطبيقات في الشّعر

وتقديمُنا للشِّعرِ عن غيرِه، اقتداءً ومسايَرةً لِما قامَ به الجرجاني نفسُه، وهو اتكاؤه على الشعر في الاستشهاد.

1- في الكناية:

الشاهد:

فَإني، جَبانُ الكَلْبِ مَهْزولُ الفَصيلِ [1]

"لقدْ أوردَ الإمامُ البيتَ هنا غيرَ تامٍّ وأتَى به تامًا في الصفحةِ 364"[2].

أمَّا سببُ إيرادِ الجرجاني لهذا البيتِ فهُوَ إثباتُ فكرةٍ جاء بها، شُغِلَ بها مَن بعده، وهي (معنى المعنى)، يقول: "الكلامُ على ضربَينِ ضربٌ أنت تصلُ منه إلى الغرضِ بدلالةِ اللَّفظِ وحدَه ... وضربٌ آخرُ أنت لا تصلُ منه إلى الغرضِ بدلالةِ اللَّفظِ وحدَه، ولكن يدُلُّك اللَّفظُ على معناه الذِي يقتضيه موضوعُه في اللُّغة، ثمَّ تجدُ لذلك المعنى دلالةً ثانيةً تصلُ بها إلى الغرضِ، ومَدارُ هذا الأمرِ على الكنايةِ والاستعارةِ والتمثيلِ."[3]

وهذه الكنايةُ هي كنايةٌ عن صفةِ الجودِ والكرمِ؛ إذْ أنَّ طبيعةَ الكلابِ النباحُ والاستثارةُ عند رؤيةِ أيّ غريبٍ، فأخرجَ الشَّاعرُ الكلبَ عن طبيعتِه ووصفَه بالجبنِ وما وُصفَ بالجبنِ إلَّا لأنَّ صاحبَه أدَّبَه على ذلِك؛ لأنَّه عوّده رؤيةَ الغرباءِ وهم الضِّيفَانُ. وهُزالُ الفصيلِ أيضًا مشهدٌ غريبٌ عندَ العربِ؛ لأنَّهم يهتمون بالإبلِ كثيرًا، والسَّببُ هُو عقْرُ النَّاقَة للضُّيوفِ.

هذا هُو المقصودُ منْ فكرةِ معنى المعنى عندَ الجرجاني؛ أنْ يقومَ معنى ظاهرٌ فيُضِيء لك الطريقَ إلى معنىً آخرَ عميقٍ.

---

[1] وصدر البيت: (وما يك فيّ من عيب فإنّي ...)، المرزوقي أبو علي ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام، تعليق وتحشية: غريد الشيخ، وضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2003، 1155/4.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص264.

[3] المصدر نفسه، ص262.

2- في الاستعارة:

الشاهد الأول:

الَّليْلُ دَاجٍ كَنَفَا جِلْبَابِـهِ والبَيْنُ محجورُ عـلى غُرَابِـهِ[1]

وقدْ أوردَ الشَّيخُ هذا البيتَ دونَ نسبةٍ، كذلِك المحقِّقُ لم يَعْزُه لأحدٍ.

وقدْ كان سببُ إيرادِ هذا البيتِ من الشَّيخِ هُو إيناسُ المتلقِّي للاقتناعِ بفكرةٍ خطيرةٍ؛ إذْ نجدُه يقولُ:" وأنــا أكتبُ لكَ شيئاً مِمَّا سبيل (الاستعارة) فيه هذا السبيلُ، ليستَحكِمَ هذا البابُ في نفسِك، ولتأنسَ به"[2]،

وتلك الفكرةُ هي: أنَّ مزيَّةَ الكلامِ لا ترجعُ إلى الاستعارةِ أو الكنايةِ أو التمثيلِ أو غيرِ ذلك، بل إنَّ الفضلَ كُلَّه فيما يتوخّاه المبدِعُ من معاني النَّحوِ وبناءِ الألفاظِ وسبْكِها بالنَّظرِ إلى معانِيها.

وقد تناولَ الشَّيخُ هذا البيتَ بالتحليلِ وأشادَ بملاحتِه وبيَّنَ مَكْمَنَ جودتِه، فيقولُ:" ليس كلُّ ما ترى مِنَ الملاحَةِ لأنْ جعلَ للَّيلِ جلباباً ، وحَجَر على الغرابِ، ولكِن في أنْ وضعَ الكلامَ الذِي ترى، فجعلَ (الليل) مبتدأً ، وجعل (داجٍ) خبراً له ، وفعلاً لِمَا بعدَه وهُو (الكنفان)، وأضافَ (الجلباب) إلى ضميرِ (اللّيل)، ولأنْ جعلَ كذلك (البين) مبتدأً، وأجرى محجوراً خبراً عنه، وأنْ أَخرجَ اللَّفظَ على (مفعول). يُبيِّن ذلك أنَّك لو قـلْتَ: (وغرابُ البينِ محجورٌ عليه، أو: قد حُجِرَ على غرابِ البيْنِ)، لم تجدْ له هذه الملاحَة وكذلك لو قلْتَ :(قدْ دجَا كنَفا جلبابِ اللَّيلِ)، لم يكنْ شيئاً".[3]

وبِذا يوضِّحُ الجرجاني أنَّ الفضلَ ليسَ للاستعارةِ في حدِّ ذاتِها بلْ بوضعِ الشَّاعرِ الألفاظَ مواضعَ معيّنةً، فمثلاً قولُ:(قد دجا كنَفا جلبابِ الليلِ) كافٍ للإتْيانِ بالاستعارةِ ولإقامة علاقةٍ بينَ الليلِ والجلبابِ، ولكِنْ شتَّان بينَه وبينَ ما قال الشَّاعرُ سابقا.

---

[1] شرح ديوان امرئ القيس، جمع وتحقيق: حسن السندوبي، مراجعة وشرح: أسامة صلاح الدين، دار إحياء العلوم، بيروت – لبنان، ط1، 1410هـ- 1990م، ص173.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص102.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الشاهد الثاني:

فَقُلْتُ لَهُ لَمّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ[1]

يقولُ الجرجاني معلقًا على هذا البيتِ:" لمَّا جعلَ لليلِ صلبًا قد تمطّى به، ثنّى ذلك فجعلَ له أعجازا قد أردفَ بها الصّلبَ، وثلّثَ فجعلَ كلكلاً قد ناء به، فاستوفى له جملة أركانِ الشخصِ، وراعى ما يراه النّاظرُ من سوادِه، إذا نظر قدّامه، وإذا نظرَ من خلفِه، وإذا رفعَ البصرَ ومدَّه في عرضِ الجَوِّ."[2]

أوردَ الشّيخُ عبدُ القاهرِ هذا البيتَ لبيانِ أنّ الصورةَ البيانيَّةَ الواحدةَ تتفاوتُ في المزيّةِ من تعبيرٍ لآخرَ، وما ميّزَ الصُّورةَ البيانيَّة ههنا، وهي الاستعارةُ؛ أن قائلَ البيت قد أوْدعَ فيه عدَّة استعاراتٍ، فلم يكتفِ بجعلِ اللّيلِ يتمطّى بصلبِه ليُجسّدَ لنا المعنى حسّيّا، بل أضافَ له الأعجازَ والكلكلَ.

3- في الحذف:

الشاهد:

قَدْ طَلَبْنا فَلَم نَجِدْ لَكَ فِي السُّـؤْ دُدِ وَالمَجْدِ وَالمَكَارِمِ مِثْـــــــلاً[3]

يقول الجرجاني: "المعنَى: قد طلبْنا لكَ مِثْلاً، ثمَّ حذفَ، لأنّ ذِكره في الثاني يدُلُّ عليه، ثم إنّ للمجيء به كذلك من الحسن والمزيّة والرّوعة ما لا يخفى. ولو أنَّه قال: (قد طلبْنا لك في السُّؤدُدِ والمجدِ والمكارمِ مِثلاً فلم نَجده)، لم تر من هذا الحُسن الذي تراه شيئًا. وسببُ ذلك أنّ الذِي هو الأصلُ في المدح والغرضُ بالحقيقة، هو نفيُ الوجود على (المثل)، فأما (الطّلب)، فكالشيء يُذكرُ ليُبْنى عليه الغرضُ ويُؤكَّد به أمرُه. وإذا كان هذا كذلك، فلو أنه قال: (قدْ طلبْنا لك في السُّؤدُدِ والمجدِ والمكارمِ مِثلاً فلم نجده)، لكان يكون قد ترك أن

[1] ديوان امرئ القيس، شرح: عبد الرحمن المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط2، 1425هـ –2004م، ص48.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص79.

[3] ديوان البحتري، دار المعارف، مصر، (د ط)، 2009م، ص1657.

يوقع نفيَ الوجود على صريح لفظِ (المثل)، وأوقعه على ضميره. ولن تبلغ الكناية مبلغ التصريح أبدا."[1]

لو أن البيتَ جاءَ كما افترضَه الجرجاني أَي(قدْ طلبْنا لك في السُّؤدُدِ والمجدِ والمكارمِ مِثلاً فلم نجده)، كان سينْفي الوجودَ على لفظةِ (المِثل) ويوقعُه على ضميره.

وقد استدَلَّ بالبيتِ لأنه وجدَ أن الكنايَة لم تكن لتبلُغَ مبلغَها لو أن البيتَ جاءَ كما ذكرَه مِثالا، كما أنه رأى أن إيقاع نفي الوجود على صريحِ لفظٍ، لا يكون كإيقاعِه على ضميرِه.

4- في التقديم والتأخير:

الشاهد:

أَيَقْتُلُنِي وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنْيَابِ أَغْوَالِ؟[2]

وقد أورده عبد القاهر من غير نسبة.

وأتى بهذا البيتِ في درجِ كلامِه عن تقديمِ الفعلِ المضارعِ، يقول "وإذ قد بيَّنا الفرقَ بين تقديمِ الفعلِ وتقديمِ الاسمِ، والفعلُ ماضٍ، فينبغي أن ننظرَ فيه والفعلُ مضارعٌ"[3].

يقول الجرجاني في تعليقِه على هذا البيتِ: " هذا تكذيبٌ منه لإنسانٍ تهدَّدَه بالقتلِ، وإنكارُ أنْ يقدرَ على ذلك ويستطيعَه... وقد يظنُّ الظَّانُّ أنَّه يجوزُ أن يكون في معنى أنَّه ليس بالذِي يَجِيءُ منه أنْ يقتلَ مِثلي، ويتعلق بأنه قال قبلُ:

يَغِطُّ غطيط البَكرِ شُدّ خناقُه لِيقتلَني والمرء ليس بقتّال[4]

ولكنَّه إذا نظرَ علمَ أنَّه لا يجوزُ، وذاك لأنَّه قال: (والمشرفيُّ مُضاجعي) وذكرَ ما يكون منعًا مِنَ الفعلِ، ومحالٌ أن يقول:(هو مِمَّنْ لا يَجِيءُ منه الفِعْلُ)، ثم يقول:(إني أمنعه)، لأنَّ المنعَ يُتصوَّرُ في مَنْ يجيءُ منه الفِعلُ، ومع مَنْ يصحّ منه، لا مَنْ هو منه

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص168.

[2] شرح ديوان امرئ القيس، جمع وتحقيق: حسن السندوبي، ص183.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص117.

[4] شرح ديوان امرئ القيس، جمع وتحقيق: حسن السندوبي، ص183.

مُحال، ومن هو نفسه عنه عاجز، فاعرفه."[1]

يرى الشيخ أنَّ امرأَ القيسِ في استفهامِه بالهمزةِ وتقديمِه للفعلِ المضارعِ؛ يُنكرُ وقوعَ فعلِ القتلِ مِنْ أيِّ كان، ولا يقتصرُ إنكارُه على وقوعِ الفعلِ مِنْ بعلِ محبوبتِه؛ لأنَّه سبقَ وأنْ وصفَه بجميعِ صِفاتِ الجبنِ وعدمِ القدرةِ؛ فهو مُنحطُ الشَّأنِ، لا يعرفُ إلا الغطيط، وليس له في أمرِ القتلِ والفتكِ شيءٌ؛ فلا رمحَ ولا سيفَ ولا نبلَ. فهذا الإنسانُ ليس أهلاً للقتلِ أصلاً حتى ينفيَ عنه فعلَ القتلِ.

وعلى طرفِ النقيضِ نجدُ أنَّ الشَّاعرَ يصفُ نفسَه بصفاتِ النُّبلِ والشَّجاعةِ والقوةِ التي لاتُعَدّ لإنسانٍ كالذي وصفَه؛ فجعلَ من سيفِه مُضاجعًا له لا ينفكُّ عنه، ثمَّ زاد عن ذلك فشبَّهَ سلاحَه بأنيابِ الأغوالِ؛ هذا التَّشبيهُ الوهميُّ الذي يبعثُ الرُّعبَ والهلعَ في نفسَ السَّامعِ. وهو أسلوبٌ عربيٌّ وردَ في القرآنِ في قوله:﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ سورة الصافات الآية 65، فأرسلَ امرؤ القيسِ معنى أنَّ القتلَ متعذِّر مِنْ زوجِ حبيبتِه ومن غيره.

تقول الباحثة نجاح الظهار "فامرؤ القيس قد جرَّدَ بعلَ محبوبتِه مِنْ كلِّ صفاتِ البطولَةِ، فهو منحطُ الشَّأنِ، كثيرُ الهذيانِ، ليس له إلا الغطيط، وهو ليس بقتّالٍ، وليس بذي رمحٍ، وليس بذي سيفٍ ولا نبلٍ، وهذه الأوصافُ كلُّها تُوهمُ بأنَّ الإنكارَ في قوله: (أيقتلني) متوجه إلى ذلك البعلِ أيْ (أهو يقتلني)، ولكنَّ الصُّورةَ التي رسمَها امرؤ القيسِ لنفسِه تنفي هذا الوهمَ. حيث جعلَ سيفَه مُضاجعًا وملازمًا له، ثم استعانتِه بصورةِ الغولِ وهو أمرٌ وهميٌّ ليضفيَ الرعبَ والهولَ على صورةِ استعدادِه، فهذا الاستعدادُ، وهذا التأهبُ لا يمكن أن يكون لأجلِ شخصٍ تلك صورتُه، ومنزلتُه من الحقارةِ"[2].

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص119-117.

[2] نجاح أحمد الظهار، الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز،145/1.

ثالثا: التّطبيقات في القرآن.

1- في الفصل والوصل:

أ- الفصل:

الشاهد:

قال الله تعالى:﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبٞۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ سورة البقرة الآية1.

يقولُ الجرجانيّ: "قولُه ﴿لَا رَيۡبٞۛ﴾، بيانٌ وتوكيدٌ وتحقيقٌ لقولِه ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾، وزيادةُ تثبيتٍ له، وبمنزلَة أنْ تقولَ: (هو ذلك الكتابُ، هو ذلك الكتابُ)، فتعيدَه مرَّةً ثانيةً لتُثبِتَه، وليس يُثبِتُ الخبرَ غيرُ الخبرِ، ولا شيءَ يتميَّزُ به عنه فيحتاجَ إلى ضامٍ يضمُّه إليه، وعاطفٍ يعطفُه عليه."[1]

وقدْ ذهبَ الطّيبي لِما ذهبَ إليه الجرجاني حيثُ يقولُ: "إنَّ معنى الكلامِ الأوَّلِ معنى الثانِي وذلك أنَّه تعالى لَمَّا وَصفَه بأنَّه الكتابُ الكاملُ في معنَاه وعَقبَه بالمبالغةِ في نَفيِ الرَّيبِ على سبيلِ الاستغراقِ، أُثبِتَ له وَصفُ الهدايةِ، لأنَّ مِنْ شأنِ الكتبِ السَّماويَّةِ الهدايةَ لا غيرَ."[2]

وقالَ ابن عاشور: "وجملةُ ﴿لَا رَيۡبٞۛ فِيهِۛ﴾ إنْ كان الوَقفُ على قولِه ﴿لَا رَيۡبٞۛ﴾ تعريضٌ بكلِّ المُرتابينَ فيه مِنَ المُشركينَ وأهلِ الكتابِ أيْ أنَّ الإرتيابَ في هذا الكتابِ نشأَ عن المُكابَرةِ، وأنْ لا ريبَ فإنَّه الكتابُ الكاملُ، وإنْ كان الوقفُ على قولِه (فِيهِ) كان تعريضًا بأهلِ الكتابِ في تعلُّقِهم بمُحرَّفِ كتابِهم مع ما فيهِما مِنْ مُثارِ الرَّيبِ والشَّكِّ من الاضطرابِ الواضحِ الدالِ على أنَّه مِنْ صنعِ النَّاسِ."[3]

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص227.

[2] عبد الستار حسين مبروك زموط، كتاب التبيان في البيان للإمام الطيبي، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1397هـ-1977م، 65/2.

[3] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984م، 227/1-228.

وجملةُ (لَا رَيْبَۛ فِيهِ) بها تعريضٌ لكلِّ المرتابينَ والمشكِّكينَ في كتابِ اللهِ، وتثبيتًا لبيانِه لم يحتجْ إلى الواوِ بيْن قولِه (ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ)، وقولِه (لَا رَيْبَۛ فِيهِ)؛ إذْ أنَّه عربِيٌّ غيرَ ذي عِوجٍ، فلم تكنْ هناك حاجةٌ للواوِ.

ب- الوصل:

الشاهد:

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَّكْسِبْ خَطِئَةً اَوِ اِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيـًٔا فَقَدِ إِحْتَمَلَ بُهْتَٰناً وَإِثْماً مُّبِيناًۛ﴾

سورة النساء الآية11.

يقول الجرجاني مبيّنًا: " الشَّرطُ كمَا لا يَخْفَى في مجموعِ الجملتيْنِ لا في كلِّ واحدة مِنهما على الانفراد، ولا في واحدةٍ دونَ الأخْرى، لأنَّا إنْ قُلنا إنَّه في كلِّ واحدةٍ مِنهما على الانفرادِ، جعلْناهما شرطيْن، و إذا جعلناهما شرطين اقتَضَتا جزاءيْن، وليس معنا إلَّا جزاءٌ واحدٌ. وإنْ قُلْنا إنَّه في واحدةٍ مِنهما دونَ الأخرى، لزِمَ مِنه اشراكُ ما ليسَ بشرطٍ في الجزمِ بالشرط، وذلك ما لا يَخْفى فسادُه.

ثمَّ إنَّا نعلمُ مِنْ طريقِ المعنى أنَّ الجزاءَ الذِّي هُو احتمالُ البُهتانِ والإثمِ المبينِ، أمرٌ يتعلَّقُ إيجابُه لمجموعِ ما حصلَ مِنْ الجُملتينِ، فليس هُو لاكتسابِ الخطيئةِ على الانفرادِ، ولا لرميِ البريءِ بالخطيئةِ أو الإثمِ على الإطلاقِ، بل لرميِ الإنسانِ البريء بخطيئة أو إثمٍ كان مِنَ الرَّامِي، وكذلك الحُكمُ أبدًا."[1]

نلمحُ هُنا وجودَ جُملتينِ؛ الأُولَى ﴿وَمَنْ يَّكْسِبْ خَطِئَةً اَوِ اِثْماً﴾ والثانيةِ ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيـًٔا﴾، وهما يحمِلانِ معنى الشَّرط، و أداةُ الشَّرطِ في الجملةِ الأُولى (مَنْ) جازمةٌ لفعلِ الشَّرطِ (يكسبْ)، والجملةُ الثَّانيةُ معطوفةٌ عن الأولى، وقولُه: ﴿فَقَدِ إِحْتَمَلَ بُهْتَٰناً وَإِثْماً مُّبِيناًۛ﴾ جملةُ جوابِ شرطٍ في محلِّ جزمٍ، ولأنَّ هناك جُملتَي شرطٍ، الثَّانيةَ منهمَا معطوفةٌ على الأولى، كان جوابُ الشَّرطِ جامعًا لِكليهِما.

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص246.

2- في القصر والاختصاص:

الشاهد:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَنْ يَّخْشَىٰهَا﴾ سورة النازعات الآية 44.

يقولُ الجرجاني: "... وكذلك معلومٌ أنَّ الإنذارَ إنَّما يكونُ إنذارًا ويكونُ له تأثيرٌ إذا كان معَ مَنْ يُؤمنُ باللَّهِ ويَخشاهُ ويُصدِّقُ بالبعثِ والسَّاعةِ، فأمَّا الكافرُ والجاهلُ، فالإنذارُ وتركُ الإنذارِ معهُ واحدٌ. فهذا مثالُ ما الخبرُ فيه خبَرٌ بأمرٍ يعلمُه المُخاطَب، ولا ينكرُه بحالٍ."[1]

ويعلق الزمخشري: "أيْ لم تبعثْ لتُعلِمَهم بوقتِ السَّاعةِ الذِّي لا فائدةَ لهم في عِلمِه، وإنَّما بُعثْت لتنذرَ مِنْ أهوالِها مَنْ يكونُ مِنْ إنذارِك لطفًا له في الخشيَةِ مِنها."[2]

وَيُضيُف الطَّبري: "إنَّما أنت رسولُ مبعوثٌ بإنذارِ السَّاعةِ مَنْ يخافُ عِقابَ الله فيها على إجرامِه، ولم تُكلَّفْ عِلمَ وقتِ قيامِها، يقولُ: فدعْ ما لم تُكلَّفْ عِلمَه، واعملْ بِما أُمرتَ به، مِنْ إنذارِ مَنْ أُمرْت بإنذارِه."[3]

يضيف ابن عاشور: "استئنافٌ بيانيٌّ ناشِئٌ عنْ جملةِ (فيمَا أنتَ مِنْ ذِكْراها إلى ربّك مُنتَهاها) وهْو أَنْ يَسأَلَ السَّامعُ عن وجْهِ إكثارِ النَّبيّ ﷺ ذكرَها وأنَّها قريبةٌ، فأُجيب بأنَّ النَّبيَّ ﷺ حظُّه التَّحذيرُ مِنْ بغتتِها، وليسَ حظُّه الإعلامَ بتعيين وقتِها... وأفادَتْ(إنما) قصْرَ المُخاطَبِ على صفةِ الإنذار؛ أيْ تخصيصُه بحالِ الإنذارِ وهُو قصْرٌ موصوفٌ على صفةٍ فهْو قصرٌ إضافيٌّ، أيْ بالنسبةِ إلى ما اعتقدُوه فيه بِما دلَّ عليه إلحافُهم في السُّؤالِ من كونِه مطَّلعًا على الغيبِ."[4]

القصرُ هنا قصرُ موصوفٍ على صفةٍ، وقد أفادَت (إنما) التَّخصيصَ، كما يمكن استبدال (إنما) بـ(ما وإلاّ) فتصبح الجملة ما أنت منذر إلاّ من يخشاها.

---

[1] المصدر السابق، ص331.

[2] الزمخشري، تفسير الكشاف، تعليق: خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط3، 1430هـ–2009م، ص1178.

[3] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق: محمود شاكر، تصحيح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، (د ت)، مجلد16، ص62.

[4] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 97/30.

3- في التّقديم والتّأخير:

الشاهد:

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ اَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾ سورة الأنعام الآية14.

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ اَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ اَتٰىكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ اَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ سورة الأنعام الآية41.

يقول عبد القاهر الجرجاني: "واعلمْ أنّ حالَ المفعولِ فيما ذكرْنا كحالِ الفاعلِ، أعنِي أن تقديمَ اسمِ المفعولِ يقتضِي أن يكونَ الإنكارُ في طريقِ الإحالةِ والمنعِ من أن يكونَ، بمثابةِ أن يوقَعَ به مِثلُ ذلكَ الفِعلِ، فإذا قُلتَ:(أَزيدًا تضربُ؟)، كنتَ قد أَنكرتَ أن يكونَ زيدٌ بمثابةِ أن يُضربَ، أو بموضعِ أن يُجتراَ عليه ويُسْتجازَ ذلك فيه، ومنْ أجلِ ذلك قدمَ(غيرَ) في قولِه تعالى:﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ وقولِه عزَّ وجلَّ:﴿قُلۡ اَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ اَتٰىكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ اَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾، وكان له من الحسنِ والمزيةِ والفخامةِ، ما تعلمُ أنه لا يكونُ لو أُخِّر، فقِيل:(قل أأتحذ غيرَ اللهِ وليًا) وَ(أتَدعونَ غيرَ اللهِ؟)،وذلك أنه قد حصلَ بالتَّقديم معنى قولِك:(أَيكونُ غيرُ اللهِ بمثابةِ أن يُتَّخذَ وليًّا؟ وأيرضى عاقلٌ من نفسهِ أن يفعلَ ذلك؟ و أيكون جَهْلٌ أجْهل وعمًى أعْمى من ذلك؟)، ولا يكون شيء من ذلك إذا قيل:(أأتخذ غير الله وليا)،وذلك لأنه حينئذ يتناولُ الفعلَ أن يكونَ فقط، ولا يزيدَ على ذلك، فاعْرِفْه".[1]

يقولُ ابنُ عاشور تعليقًا على الآية ﴿قُلۡ اَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾:" والاستفهامُ للإنكارِ، وقدَّم المفعولَ الأَوَّلَ لـ(أتَّخذَ) على الفعلِ وفاعلِه ليكون مواليا للاستفهام، لأنه هو المقصودُ بالإنكارِ لا مُطلقُ اتخاذِ الوليّ. وشأْنُ همزةِ الاستفهامِ بجميعِ استعمالاتهَا، أن يليَها جزءُ الجملةِ المُسْتفهَمِ عنه كالمنكرِ هنا، فالتقديمُ للاهتمامِ به، وهو جزء مِنْ جزْئياتِ العنايةِ التي قال فيها عبدُ القاهرِ أنْ لابدَّ منْ بيانِ وجهِ العنايةِ، وليس مفيدًا للتَّخصيصِ في مثلِ هذا لظهورِ أنَّ داعيَ التَّقديم هو تعيينُ المرادِ بالاستفهامِ، فلا يتعيَّنُ أن يكون لغرضٍ غيرَ ذلك،

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص122.

فمَنْ جعلَ التقديمَ هنا مفيدًا للاختِصاصِ، أيْ انحصارُ إنكارِ اتخاذِ الوليِّ في غيرِ الله كمَا مالَ إليه بعضُ شرَّاح الكشَّاف، فقد تكلَّف ما يشهدُ الاستعمالُ والذوقُ بخلافِه، وكلامُ الكشَّافِ بريءٌ منه بل الحقُّ أنَّ التقديمَ هنا ليس إلا للاهتمامِ بشأن المقدَّم لِيَلِيَ أداة الاستفهام، فيُعلم أنَّ محلَّ الإنكارِ هو اتِّخاذُ غيرِ الله وليًّا."[1]

4- في الاستعارة:

الشاهد الأول:

قالَ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً وَلَمَ اَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾

سورة مريم الآية11.

يقولُ الجرجاني: "ومِنْ دقيقِ ذلك وخَفِيِّه، أنَّك ترى النَّاسَ إذا ذكرُوا قولَه تعالى:﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾، لم يزيدُوا فيه على ذكرِ الاستعارةِ، ولم ينسبُوا الشَّرفَ إلاَّ إليها، ولم يرُوا للمزيَّة مُوجِبًا سواها. هكذا ترى الأمرَ في ظاهرِ كلامِهم. وليس الأمرُ على ذلك، ولا هذا الشَّرفُ العظيمُ، ولا هذه المزيَّةُ الجليلةُ، وهذه الروعةُ التِّي تدخلُ على النُّفوسِ عندَ هذا الكلامِ لمجردِ الاستعارةِ، ولكنْ لأنْ سُلِكَ بالكلامِ طريقَ ما يُسندُ الفعلُ فيه إلى الشَّيءِ، وهو لِما هو مِنْ سببِه، فيُرفعُ به ما يُسندُ إليه، ويؤْتى بالذِّي الفعلُ له في المعنى منصوبًا بعدَه، مُبيّنًا أنَّ ذلك الإسنادَ وتلكَ النِّسبةَ إلى ذلك الأوّلِ، إنَّما كانا مِنْ أجلِ هذا الثَّاني، ولِما بينَه وبينَه مِنْ الاتِّصالِ والملابسةِ، كقولِهم:(طابَ زيدٌ نفسًا)، و(قرَّ عمرٌو عينًا)، و(تصبَّبَ عرقًا)، و(كَرُمَ أصلاً)، و(حسُنَ وجهًا)، وأشباهِ ذلك مِما تجدُ الفعلَ فيه منقولاً عن الشَّيءِ إلى ما ذلك الشيءِ من سببِه.

وذلك أنَّا نعلمُ أنَّ (اشتعل) للشَّيبِ في المعنى، وإنْ كان هو الرَّأسِ في اللَّفظِ، كما أنَّ(طاب) للنَّفسِ، و(قرَّ) للعينِ، و(تصبَّبَ) للعرقِ، وإنْ أُسندَ إلى ما أُسندَ إليه. يُبيّنُ أنَّ الشَّرفَ كان لأنْ سُلِكَ فيه هذا المسلكُ، وتُوُخِّيَ به هذا المذهبُ أنْ تدعَ هذا الطريقَ فيه،

[1] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 7/156-157.

وتأخذَ اللَّفظَ وتسنِدَه إلى الشَّيبِ صريحًا فتقول: (اشْتعلَ شيبُ الرَّأسِ)، أو(الشَّيبُ في الرأسِ)، ثم تنظرَ هل تجدُ ذلك الحُسنَ وتلك الفخامةَ؟ وهل ترى الروعةَ التي كنت تراها؟"[1]

يُرجعُ الشريف الرّضيّ جمالَ الآيةِ لكونِها اشتملَت على استعارةٍ فيقول: "وهذه من الاستعاراتِ العجيبةِ والمرادُ بذلك تكاثرُ الشَّيبِ في الرَّأسِ حتى يُقمِرَ بياَضُه وينصلَ سوادُه وفي هذا الكلامِ دليلٌ على سرعةِ تضاعفِ الشَّيبِ وتزايُدِه وتلاحقِ مددِه حتَّى يصيرَ في الإسراعِ كاشتعالِ لهبِ النَّارِ فيعجزَ مطفيه ويغلبُ متلافيه."[2]

ويشرحُ الزَّمخشري هذا التصويرَ فيقول: "شبَّه الشَّيبَ بشُواظِ النَّارِ في بياضِه وإنارتِه وانتشارِه في الشَّعرِ، وفُشوِّه فيه وأخذِه منه كلَّ مأخذٍ باشتعالِ النَّارِ، ثم أخرجَه مخرجَ الاستعارةِ، ثمَّ أسندَ الاشتعالَ إلى مكانِ الشَّعرِ ومنبتِه وهو: الرَّأسُ وأخرجَ الشَّيبَ مميّزا، ولم يضفْ إلى الرَّأسِ اكتفاءً بعلمِ المخاطَبِ أنَّه رأسُ زكريَّا، فمِنْ ثَمَّ فصُحتْ هذه الجملةُ وشُهِدَ لها بالبلاغةِ."[3]

ونجدُ ابن عاشورٍ يقول: "وشبَّه عمومَ الشَّيبِ شَعرَ رأسِه أو غلبتَه عليه باشتعالِ النَّارِ في الفحمِ بجامعِ انتشارِ شيءٍ لامعٍ في جسمٍ أسودَ. تشبيهًا مركَّبًا تمثيليًّا قابلاً لاعتبارِ التفريقِ في التَّشبيهِ، وهو أبْدعُ أنواعِ المركَّبِ. فشبَّه الشَّعرَ الأسودَ بفحمٍ والشَّعرَ الأبيضَ بنارٍ على طريقِ التَّمثيليَّةِ المكنيَّة ورمزَ إلى الأمرين بفعلِ (اشتعل).

وأسندَ الاشتعالَ إلى الرَّأسِ. وهو مكانُ الشَّعرِ الذِّي عمَّه الشَّيبُ. لأنَّ الرأسَ لا يعمُّه الشَّيبُ إلاَّ بعدَ أنْ يعمَّ اللِّحيَّةَ غالبًا. فعمومُ الشَّيبِ في الرَّأسِ أمارةُ التَّوغلِ في كِبَرِ السِّنّ."[4]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص100-101.

[2] الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، مطبعة المعارف، بغداد – العراق، (د ط)، 1375هـ-1995م، ص133.

[3] الزمخشري، تفسير الكشاف، ص632.

[4] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 16/ 64.

احتوَت الآيَة صورةً تشبيهيَّة؛ حيثُ شبَّه شَعرَ الرَّأسِ بالشَّيءِ القابلِ للاشتعالِ، فحذفَ المشبَّهَ به وهو الشَّيءُ الذِّي يشتعلُ، وأبقى على لازمٍ من لوازمِه، وهو الاشتعالُ، على سبيل الاستعارةِ المكنيَّةِ.

والجرجاني لم ينكرْ اشتمالَ الآية على الاستعارةِ لكنَّه لا يُرجعُ جمالَها لكونِها استعارةً، بل يعزو سرَّ قوتِها لدقَّةِ الصُّنعِ، وقد بيَّن الجرجاني سببَ الفضلِ والمزيَّةِ في هذه الآيةِ حين قالَ: "فإنَّ السَّببَ أنَّه يفيدُ، مع لمعانِ الشَّيبِ في الرَّأسِ الذِّي هو أصلُ المعنى، الشمولَ، وأنَّه قد شاعَ فيه، وأخذَه من نواحِيه، وأنَّه قد استغرقَه وعمَّ جملتَه، حتَّى لم يبقَ من السوادِ شيءٌ، أو لم يبقَ منه إلاَّ ما لم يُعتدَّ به. وهذا ما لا يكون إلاَّ إذا قيل: اشتعلَ شيبُ الرَّأسِ، أو الشَّيبُ في الرَّأسِ، بل لا يوجبُ اللَّفظَ حينئذٍ أكثرَ مِنْ ظهورِه فيه على الجملةِ."[1]

الشاهد الثاني:

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة هود الآية11.

يقول الجرجاني: "فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزيَّة الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلاَّ لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضِها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقريَها إلى آخرها، وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها؟."[2]

"إن شككت، فتأمل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أُخذت من بين أخواتها وأُفردت، لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟ قل: (ابلعي)، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبرْ سائر ما يليها.

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص102.

[2] المصدر نفسه، ص45.

وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء (بيا) دون (أيّ)، نحو(يا أيَّتها الأرض)، ثمَّ إضافة (الماء) إلى (الكاف)، دون أن يقال: (ابلعي الماء)، ثمَّ أن أُتبع نداء الأرض وأمرُها بما هو من شأنها، نداءَ السَّماء وأمرَها كذلك بما يخصها، ثمَّ أن قيل:

و(وغيض الماء)، فجاء الفعل على صيغة (فُعِلَ) الدالّة على أنه لم يَغِضْ إلاَّ بأمر آمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى:(وقضي الأمر)، ثمَّ ذكرُ ما هو فائدة هذه الأمور، وهو: (استوت على الجوديّ)، ثمَّ إضمار (السّفينة) قبل الذّكْر، كما هو شرط الفخامة والدّلالة على عظم الشأن، ثمَّ مقابلة (قيل) في الخاتمة (بقيل) في الفاتحة؟ أَفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتحضِرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق؟ أم كلَّ ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟"[1]

لقد أتى الجرجانيُّ بهذه الآية في خِضَمّ مناقشةِ قضيةٍ هي من العظمةِ بمكانٍ، بل هي من أجَلِّ وأخطَرِ القضايا التي طُرِحت في هذا السِّفْر، وهذه القضيّةُ هي اللّفظُ وعلاقتُه بجودةِ الكلامِ. لقد رد الشيّخُ على من ادّعى أن المزيّةَ في اللّفظِ ذاتِه، فنظرةُ الناظرِ المُبهَرَةُ من هذه الآية لم تكنْ إلّا بعد تلاؤمِ ألفاظِها بعضِها ببعضٍ، وما يُخلَصُ إليه في النهايةِ؛ إذ أنّنا لو قلنا (ابْلَعِي) أو أيَّ كلمةٍ سواها لما فعَلت في النّفسِ ما تفعلُه حالَ كونِها مركبةً كما في الآيةِ.

ثمّ يذهب الجرجانيُّ مذهباً أعمق، وذلك لإثبات الفكرةِ نفسِها؛ فيرى أنّك لو قلت مثلا:(يا أيّتُها الأرضُ ابلعي الماءَ) لما حصلَ من المزيّةِ وقوّةِ التعبيرِ وشرف المعنى ما حصلَ مع ما جاءَ في الآيةِ، بل إنّ الفرقَ بعيدٌ بينهما؛ وذلك أن النّداء بـ (أيّ) فيه تنفيسٌ وتراخٍ، والمقامُ هنا مقامُ أمرٍ، والأمرُ خليقٌ بهِ التّعجيلُ لا التّنفيسُ، كذلك نلاحظ أن التركيز

[1] المصدر السابق، ص46-45.

في هذا التعبير يكونُ على المنادى لا فعل الأمرِ وهو هنا المطلوبُ في التركيب، وكذلك في قولِنا:(الماءَ) بدلَ إضافتِها إلى الكاف؛ ففي (ماءَك) تَبرزُ عظمةُ اللهِ وجبروتُه وتسلُّطُه؛ لأن إضافةَ الكاف فيه معنى تسلّطُ الأرضِ على الماء، وأنه من خصوصيّاتِها. فعندما تُؤمرُ في شيء يخصّها يظهر الجبروتُ والعظمةُ؛ لأنه صار تسلّطاً فوق التسلّط. والأمر نفسُه مع أمْرِ السماء بالإقلاع.

ثمّ مجيء الفعل على (فُعِلَ) لا (فَعَل)؛ ففي ذلك بيانُ قدرته تعالى، وأن الفعلَ لم يحدثْ من تلقاء نفسِه، بل هناك قدرة عظيمةٌ جعلت تلك الأمواجَ الهائلة تذهب وتختفي. وزاد هذا المعنى وضوحا مع (قُضيَ الأمر).

ومن اللطيف أيضا، أن يتبع أمْرَ الأرض والسماء عطفٌ بالواو –والتي لا تفيد الترتيب– بين جميع الجمل؛ وذلك لإثبات السرعة والتعجيل في نفوذ أمر الله.

ويمكن لنا أن نضيف قول ابن عاشور في هذا المقام؛ لأنه شرح الاستعارة في هذه الآية شرحا كما هو المعروف عندنا الآن، إضافة إلى ذلك أنه خلال تحليله أظهر قضيّة النظم كما هي عند الجرجاني. يقول: "وبناء فعل (قيل) للمفعول هنا اختصارٌ لظهور فاعل القول. لأن مثله لا يصدر إلا من الله. والقول هنا أمر التكوين. وخطاب الأرض والسماء بطريقة النداء وبالأمر استعارة لتعلق أمر التكوين بكيفيات أفعال في ذاتيهما وانفعالهما بذلك كما يخاطب العاقل بعمل يعمله فيقبله امتثالا وخشية. فالاستعارة هنا في حرف النداء وهي تبعيَّة.

والبلع حقيقته اجتياز الطعام والشراب إلى الحلق دون استقرار في الفم. وهو هنا استعارة لإدخال الشيء في باطن شيء بسرعة، ومعنى: بَلْعِ الأرض ماءها دخوله في باطنها بسرعة كسرعة ازدراد البالع بحيث لم يكن جفاف الأرض بحرارة شمس أو رياح بل كان لعمل أرضي عاجل. وقد يكون ذلك بإحداث الله زلازلَ وخسفا انشقت به طبقة الأرض في مواضع كثيرة حتى غارت المياه التي كانت على سطح الأرض.

وإضافة (الماء) إلى (الأرض) لأدنى ملابسة لكونه على وجهها.

وإقلاعُ السماءِ مستعارٌ لكفِّ نزولِ المطرِ منها؛ لأنه إذا كفَّ نزولُ المطرِ لم يخلف الماء الذي غار في الأرض، ولذلك قدَّم الأمر بالبلع؛ لأنه السَّبب الأعظم لغيض الماء."[1]

رابعا: التّطبيقات في النّثر.

التّمثيل:

الشاهد:

((أما بعد، فإني أراك تقدِّم رِجلا وتُؤَخِّر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيَّتِهِما شئت، والسّلام.))

يقولُ الجرجاني في توضيحِ مفادِ هذه الرِّسالةِ: "يعلمُ أن المعنى أنَّه يقولُ له: بلغني أنَّك في أمرِ البيعةِ بين رأيينِ مختلفينِ، ترى تارةً أنْ تُبايعَ، وأخرى أنْ تَمتنعَ مِنَ البيعةِ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعملْ على أيِّ الرَّأيينِ شئتَ وأنَّه لم يعرِفْ ذلك من لفظِ (التقديم والتأخير)، أو مِنْ لفظِ (الرِّجلِ)، ولكنْ بأنْ علمَ أنَّه لا معنى لتقديمِ الرِّجلِ وتأخيرِها في رَجلٍ يُدعى إلى البيعةِ، وأنَّ المعنى على أنَّه أرادَ أن يقولَ: إنَّ مَثَلَك في تردُّدِك بين أنْ تبايعَ، وبين أنْ تمتنعَ، مَثَلُ رَجلٍ قائمٍ ليذهبَ في أمرٍ، فجعلَت نفسُه تُريهِ تارةً أنَّ الصَّوابَ في أنْ يذهبَ، وأخرى في أن لا يذهبَ، فجعلَ يقدِّم رجلاً تارةً، ويُؤخرُ أخرى".[2]

ويقولُ الشَّيخُ في موضعٍ آخرَ شارحًا هذه الصورةَ: "أمَّا (التَّمثيلُ) الذِّي يكون مجازًا لمجيئِك به على حدِّ الاستعارةِ، فمثالُه قولُك للرَّجلِ يتردَّدُ في الشَّيءِ بين فعلِه وتركِه: (أراك تقدِّمُ رجلاً وتؤخِّرُ أخرى). فالأصلُ في هذا: أراك في تردُّدِك كمَنْ يقدِّم رِجلاً ويُؤخرُ أخرى، ثمَّ اختُصِرَ الكلامُ، وجُعلَ كأنَّه يقدِّم الرِّجلَ ويؤخِّرُها على الحقيقةِ."[3]

---

[1] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 78/12.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص440-441.

[3] المصدر نفسه، ص68-69.

لا شكَّ في أنَّ تقديمَ الرّجلِ وتأخيرَها صورةٌ حسيَّةٌ، وصورةُ التردُّدِ في الأمرِ قد تكونُ حسيَّةً أو معنويَّة، فهذا التَّركيبُ يُستعملُ في شخصٍ متردّدٍ في القيامِ بأمرٍ، فتُستخدمُ الصورةُ الأولى للدَّلالةِ على الصورةِ الثَّانيةِ لوجودِ جامعٍ بينهما، ووجهُ الشَّبهِ بينهما هنا هو الإقدامُ تارةً ثمُّ التَّراجعُ تارةً أخرى، وهو مجازٌ جِيءَ به على حدِّ الاستعارةِ، ويُسمَّى التَّمثيل على سبيلِ الاستعارةِ، وسُمّيَ تمثيلاً؛ لأنَّه مُنتزعٌ من متعدّدٍ، وعلى سبيلِ الاستعارةِ، لأنَّه ذكرَ فيه المشبَّهَ به وأُريدَ المشبَّه.

لقد اعتمدَ الجرجاني في منهجِه التَّطبيقي على أساسٍ هامٍّ وهو إدراكُه الذوقيّ لكلِّ المفارَقاتِ التي تكون في الاستخدامِ اللغويّ للكلماتِ، وكشفَ عن القِوَى الكامنةِ الظَّاهرةِ والخفيَّةِ في اللُّغةِ، والتِّي تقومُ بالتأثيرِ في النَّفسِ، فالكلماتُ إذا أقمتَ بينها علاقةً وثيقةً فإنَّك لن يعجبَك العجابُ في تأثيرِ الواحدةِ منها على الأخرى، وقد بيَّن لنا الشَّيخُ أنَّ النَّموذجَ الذِّي يرقَى حتَّى يصلَ لدرجةِ الإعجازِ لا وجودَ له إلاَّ في القرآنِ الكريمِ، فتطبيقُ هذه النَّظريةِ في الشِّعرِ تطبيقٌ جزئيٌّ، إذْ نجدُه يُطبّقُ على بيتٍ واحدٍ مِنْ قصيدةٍ ما ولا يطبق على القصيدة بأكملِها، ثمَّ خَلُصَ بنتيجةٍ وهي أنَّ حُسنَ الكلامِ، منه ما يعودُ إلى اللَّفظِ وحدَه، ومنه ما يعودُ إلى النَّظمِ وحدَه، ومنه ما يعودُ إليهما معًا، لكنْ تَعَجَّلَه الزَّمنُ فتركَ لنا بعضَ نماذجِ التَّطبيقاتِ على أملِ أنْ يبحثَ مَنْ بعدَه في خضمّ هذا الموضوعِ.

الفصل الرابع: البلاغة العربية بعد الإمام عبد القاهر الجرجاني

المبحث الأول: صدى نظرية النظم في التآليف اللاحقة

المبحث الثاني: خصوبة نظرية النظم وفعاليتها في اتصال النقد باللغة

المبحث الثالث: نقد نظرية النظم

يكاد يكون هناك إجماع تام بين العلماء والدارسين على مزيّة صاحب الدلائل والأسرار في تطور الدرس البلاغي العربي، فالرجل لم يدخر أي جهد في سبيل إرساء دعائم وأصول نظرية النظم، هذه النظرية التي شغلت النّاس لأزمان معتبرة، وأعادت النحو لمساره الصحيح، وللغاية التي وضع لأجلها، لم تكن إلا ثمرة جهود وإسهامات لفيف من العلماء والباحثين على اختلاف تخصصاتهم، حيث كانت هي الممهدة لولادة هذه النظرية على يد "الجرجاني عبد القاهر"، الذي يعد وبشهادة الجميع الحلقةَ الأبرز في هذه السلسلة، فخلَّف بعد وفاته نظرية مؤسسة تأسيسا علميا، شكلت بصمة فريدة من نوعها في تاريخ الدرس البلاغي، بيد أن المرء قد يتبادر إلى ذهنه ويتساءل كيف تلقف من جاء بعد الجرجاني هذه النظرية؟ وما مدى تأثيرها على اللاحقين من لغويين ونقاد؟ وللوقوف على حيثيّات هذه المسألة خصص هذا الفصل لذلك.

المبحث الأول: صدى نظرية النظم في التآليف اللاحقة

مما لاشك فيه أن الإمام "عبد القاهر الجرجاني" قد ترك نتاجا علميا وبلاغيا ونقديا وأدبيا عظيما، تبلور في شكل نظرية، تعدّ لحدّ الساعة من أهم النظريات العربية والغربية على حدّ سواء، ولا نغالي إن قلنا إنها أهم نظرية لغوية بلاغية نقدية في تاريخ البشرية جمعاء، فالرجل امتلك بصيرة نافذة ووعيا وقدرة كبيرة على التذوق والنقد، وهذا الوعي وهذه البصيرة أهّلته لتحصيل العلوم والتبحـر فيها، الأمر الذي أدى إلى إدراكه وفهمه للأنماط والأساليب العربية في مختلف مجالاتها، وهذا ما تجسد بالفعل في كتابيه "أسرار البلاغة " و"دلائل الإعجاز"، فبشهادة العلماء والباحثين والدارسين يُعدَّان أفضل ما أُلف في علم البلاغة ليومنا هذا، كما أنهما الأساس الذي بنى عليه العلماء المتأخرون آراءهم وقضاياهم ومسائلهم ومباحثهم، فكانت بلاغته ونقده هما نقطة البداية لكل ما جادت به قرائحهم، فتقريبا لا نجد عالما أو باحثا أو دارسا لم يكن "للجرجاني" ونظريته أثر في ما ألف وصَنّفَ، حتى إن الذين قاموا بنقد هذه النظرية، قد استفادوا منها من حيث هي مجال خصب لما يمكن أن

يتحدثوا فيه أو يبدوا فيه آراءهم، وللوقوف على أبرز العلماء الذين كان للجرجاني تأثير كبير عليهم فقد ارتأينا أن نقسمهم إلى قسمين خصصنا الأول للعلماء القدامى، والثاني لعلمائنا المحدثين.

أولا :عند القدامى

لقد كان "للجرجاني" تأثير بارز على الكثير من العلماء على اختلاف تخصصاتهم ومجالاتهم سواء في مجال اللغة أو البلاغة أو النقد أو حتى التفسير؛ ولأننا لا نستطيع أن نبرز مدى تأثيره على كل هؤلاء العلماء، فقد رأينا أن نقف على أبرزهم، وعلى هذا الأساس جاء اختيارنا لهذين العالمين: "الزمخشري"، و"السكاكي".

1-الزمخشري*(538هـ):

وجد "الزمخشري" في الإرث الضخم الذي خلفه "الجرجاني" الملاذ الذي أرضى نزعته العقلية من جهة، وإحساسه بالجمال وتذوقه لصوره من جهة ثانية، فانصرف إلى وضع تفسير لكتاب الله عز وجل، يكشف من خلاله ما في آيات الذكر الحكيم من خبايا بلاغية ودقائق معنوية، وأسرار تتعلق بالإعجاز القرآني، فكان هو السباق في هذا الطريق، وكما أن "الزمخشري" يرى أن تفسير القرآن أمر لا يدرك إلا بواسطة علمي المعاني والبيان، ومهما بلغ أو وصل الفقيه، أو المتكلم، أو اللغوي، أو النحوي، أو الواعظ، من مكانة علمية، فإنه لا يستطيع أن يتصدى لتفسير القرآن ما لم يبرع في هذين العلمين.[1]

* الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن عمر، أبو القاسم الزمخشري، الخوارزمي، جار الله، العلامة إمام اللغة والنحو والبيان والأدب بالاتفاق، ولد سنة 467هـ، وتوفي سنة 538هـ، من تصانيفه تفسير الكشاف، الفائق في غريب الحديث، أساس البلاغة، المفصل، الجبال والمياه، البلدان ، والأنموذج وغيرها، وانظر: الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تح: محمد المصري، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2000م، ص290-292.

[1] ينظر: مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص105-106.

ومما تقدم يجدر بنا الإشارة إلى أن كتاب "دلائل الإعجاز "وأسرار البلاغة" هما الأساس الذي اعتمده العلماء المتأخرون، ففكرة النظم كانت ميدانا خصبا استقطب كثيرا من العلماء على اختلاف تخصصاتهم، وكان على رأسهم "الزمخشري" وهو ما بدا واضحا في جعله علم البلاغة أساسا جوهريا للمفسر في تفسير الآيات، وذلك من خلال جعل علم المعاني وعلم البيان عدَّة المفسر التي يكشف من خلالها الخبايا والذخائر والأساليب المكنونة بين ثنايا آيات القرآن الكريم.

وهذا ما أورده الزمخشري فعلاً في كتابه الكشاف إذ يقول: " إن أملأَ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يَبْهر الألباب القَوارح من غرائب نُكَتٍ يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدقُّ سلكها، علمُ التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم... فالفقيه وإن برَّز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بزَّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القريَّة أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن عَلَكَ اللغات بقوة لِحْيَيْه، لا يتصدَّى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهّل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة."[1]

وقراءة لما ورد في هذا التعريف يتبين لنا أن الرجل(الزمخشري) يعد علَّامة واسع الاطلاع في علوم العربية وآلات العلوم الأخرى التي يجب أن تتوفر في عالم التفسير، كما تميز بفطنة أهلته للوقوف على الحس البلاغي ووظائفه التي تسهل للعالم الكشف على الأسرار البيانية في كتاب الذكر الحكيم، يضاف إلى ذلك أنه يعتبر سائر العلوم كالفقه وعلم الكلام والقصص والوعظ والنحو واللغة وغيرها محدودة ما لم تصبغ وتزين بعلم المعاني وعلم

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص221.

البيان، على أن هذين العلمين يتطلبان من المفسر جهدا كبيرا ووقتا طويلا.[1]

والمتتبع لكتاب "الكشاف" يرى بوضوح بأنه يعد الجزء التطبيقي لبلاغة وآراء "الجرجاني"، "فالزمخشري" اتخذ من البلاغة وأساليبها الأصل في فهم الآيات وتوجيه المعنى، وجدير بالذكر أن "الجرجاني" كان يطلق على العلم الذي يدرس المعاني علم النظم أو علم الأسلوب، ولكن "الزمخشري" عدَّل هذا الاصطلاح فأطلق عليه علم المعاني، ويكمن السبب خلف ذلك في الجدل القائم بين المعتزلة والأشاعرة حول مدار الإعجاز في القرآن الكريم أهو راجع للنظم أم للفصاحة؟ فأطلق عليه هذا الاسم حتى يخرجه من دائرة النزاع. أما بخصوص البيان فقد ترددت هذه الكلمة في كتاب "الجرجاني" "أسرار البلاغة " على لسان صاحبه، فاتخذ "الزمخشري" منها علما أطلق عليه علم البيان. تناول فيه مباحث بيانية مختلفة، وهكذا كان أول من ميَّز بين هذين العلمين، وأوضح بدقة مباحث كل علم منهما. إلا أنه لم ينظر للبديع على أنه علم مستقل بذاته، بل عدّه تابعا لعلمي المعاني والبيان.[2]

وقد أكد "عبد العزيز عتيق" أن "الزمخشري" كانت له مساهمة في تطوير علمي المعاني والبيان، وهذا بما أضافه لهما من أراء استكمل بها الكثير من شعبهما ودقائقهما ومقاييسهما، فقال: "وإذا كان "عبد القاهر" هو مؤسس علم المعاني وعلم البيان، وهو من استنبط من جزيئات كلا العلمين أكثر قواعده فإن "الزمخشري" هو الذي أكمل قواعدهما، وهي وإن جاءت مفرقة في تضاعيف تفسيره، فإنَّها دائمًا مقرونة بأمثلة من القرآن الكريم توضحها وتكشف عن دقائقها.[3]

---

[1] ينظر: خلادي محمد الأمين، (خصيصات الدرس البلاغي ومؤثلاته بعد الإمام عبد القاهر الجرجاني –بصمات الأئمة الزمخشري، والفخر الرازي، والسكاكي أنموذجا)، مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن جامعة أدرار –الجزائر، العدد:22،(د ط)، 2012م، ص290.

[2] ينظر: أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، ص306، وشوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص221–222.

[3] عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان، (دط)، 1985م، ص29.

ومن الأمثلة التي أوردهـا "الزمخشري" في مصنفه الكشاف والتي تبين بوضوح منهجـه التفسيري الذي اتخذ فيه من علم المعاني وعلم البيان عدته التي فسر بها ما جاء في الذكر الحكيم من أسرار وخبايا ودلائل وإشارات، نذكر هاتين الآيتين الكريمتين من سورة البقرة قوله تعالى:﴿الٓمٓ(1) ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبٞۛ فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ(2)﴾ سورة البقرة الآية[1-2].

قال شوقي ضيف: إن "الزمخشري" كان مهتما بعلم المعاني وعلم البيان، ولكن اهتمامه بالعلم الأول كان أوسع وأتم، وذلك راجع لسبب بسيط وهو أن الإمام "عبد القاهر الجرجاني" و"عبد الجبار" قد عللا به الإعجاز في القرآن الكريـم.[1] وبالعـودة إلى الآيتين فقد قـال شوقي ضيـف: "فستجده (الزمخشري) يحاول الربط بين تأليف الكلام وتعليل روعته البلاغية، ملاحظا أن معنى (ذلك الكتاب) أنه (هو الكتاب الكامل) مدخلا هكذا ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر ليدلَّ على أن التركيب يفيد الحصر، وواصفا الكتاب بالكامل ليدل على أن اللام فيه للجنس وأن المقصود من حصر الجنس حصر الكمال، ويقول: كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولة الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال."[2]

ويواصل شوقي ضيف الحديث عما وقف عليه "الزمخشري" في هاتين الآيتين حيث يقول:" ويقف عند نفي الريب على سبيل الاستغراق، وذلك لأن هذا النفي الذي سلط على النكرة يفيد العموم، وهو كما سبق أن تناوله "الجرجاني" مع أن هناك من كانوا يرتابون في القرآن وذلك راجع لشركهم، وقد توصل لرأي قاطع أن المنفي كونه متعلقا للريب ومضنة له، لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يشك فيه. ويوضح أن تقديم الريب على الجار والمجرور فإنه يفيد أن القرآن الكريم حق وصدق لا كذب وباطل

[1] ينظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص222.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

على حسب ظن وزعم المشركين، لأنه لو قدم الجار والمجرور على الريب لأفادت معنى آخر غير المعنى المقصود، إذ يدل ذلك على أن كتابا آخر فيه الريب لا هذا الكتاب.[1]

ويتساءل لم قيل:(هدى للمتقين) والمتقون مهتدون ؟ ويجيب على ذلك جوابين: أحدهما أنه كقولك للعزيز المكرم :أعزك الله وأكرمك، تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه واستدامته.

أما الجواب الثاني أو الوجه الثاني: فهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين، كآية التنزيل: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ من سورة نوح الآية [27].[2]

كما يفسر "الزمخشري" عن تعلق العبارات بعضها ببعض من جهة النحو الخالص فنراه يقول : (ألم)جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و(ذلك الكتاب) جملة ثانية، و(لا ريب فيه) ثالثة، و(هدى للمتقين) رابعة. فهذه الجمل جاءت متناسقة بغير أن يذكر حرف العطف فقال عنها الزمخشري إنها جاءت متآخية أخذا بعضها بعنق بعض؛ فتجد الجملة الثانية متحدة مع الجملة الأولى معتنقة لها، وهكذا كان الأمر مع الثالثة والرابعة، حيث نبَّه في البداية على أنه الكلام المتحدى به، وفي الثانية أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال، فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من أعضاده، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله...ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين.[3]

فالزمخشري يتحدث عن كيفية تآخي العبارات فكل عبارة ترتبط بما قبلها وتأكدها، وربما لهذا السبب لم يذكر حرف العطف.

على أن "الزمخشري" لم يتوقف عند هذا الحد بل واصل تتبعه لهذه الجمل حيث قال: "ثم لم تخلُ كل واحدة من هذه الأربع بعد أن رُتِّبت هذا الترتيب الأنيق ونُظِمت هذا النظم

[1] ينظر: المرجع السابق، ص222-223.

[2] الزمخشري، تفسير الكشاف، ص36.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص37.

السَّوِي من نكتة ذات جزالة. ففي الأولى: الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه. وفي الثانية: ما في التعريف من الفخامة. وفي الثالثة: ما في تقديم الريب على الظرف. وفي الرابعة: الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد، وإيراده منكَّرا، والإيجاز في ذكر اليقين."[1]

ونستطيع القول إن "الزمخشري" كانت هذه طريقته التي اتبعها في تفسير كل آيات الذكر الحكيم، حيث يبين كيفية تعلق الآيات بعضها ببعض، كما يبين كيف تتعلق العبارات والألفاظ مع سابقتها ومع التي تأتي بعدها، وهذا هو الجوهر الذي قامت عليه نظرية النظم لدى الجرجاني. فالزمخشري استغلَّ كل ما أورده الجرجاني في كتابيه المذكورين آنفا، وقام بتطبيقهما في تفسيره.

2-السكاكي*(626هـ):

بعد الزمخشري ننتقل إلى عالم بلاغي آخر كان للجرجاني أثر كبير عليه ألا وهو "السكاكي"، حيث "اشتهر السكاكي في تاريخ الثقافة العربية بقراءاته الخاصة للبلاغة العربية، تلك القراءة التي صنفت مباحثها إلى معان وبيان وبديع. وقد ثُبت هذا التقويم للرجل ولعلمه فاستقرّ من خلال الشروح القوية التي تناولت الجزء البلاغي من كتابه مفتاح العلوم. خاصة الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني الذي أحكم القراءة البلاغية للسكاكي بالرجوع به إلى

[1] المرجع السابق، الصفحة السابقة.

* السكاكي: هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب سراج الدين، عالم بالعربية والأدب، الشهير بالسكاكي، ولد سنة 555هـ، وتوفي سنة 626 هـ، من تصانيفه: مفتاح العلوم في النحو والأدب والاشتقاق والمعاني والبيان، ورسالة في علم المناظرة، وانظر: الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم، دار العلم للملايين بيروت-لبنان، ط7، 1976م، 222/8.

أصوله، إلى عمل "عبد القاهر الجرجاني في الدلائل والأسرار ".[1]

وبحسب عبد العزيز عتيق وأحمد مطلوب فإن "السكاكي" من خلال مصنفه "مفتاح العلوم" قد استفاد من المؤلفات البلاغية قبله وعلى رأسها مصنفات "الجرجاني"، فقسم مفتاحه إلى ثلاثة أقسام، خصَّ الثالث منه لعلم المعاني وعلم البيان، الذي استلهم فكرتهما من "الجرجاني" نفسه، متخذا من الفلسفة والمنطق الأساس الذي بنى عليه التعريفات والتقسيمات والتفريعات، حاصرا البلاغة في علمين مختصين هما علم المعاني وعلم البيان، جاعلا من البديع تابعا لهما.[2]

لقد كان من الثابت عدم قدرتنا على الوقوف بكل مباحث وموضوعات علم المعاني لدى "السكاكي" و"الجرجاني" من قبله، على اعتبار أن المقام لا يسعنا لذلك، فقد رأينا أن نذكر مسألة واحدة كشاهد لما تقدم.

ومن المسائل التي تعرض لها العالمان في هذا العلم مسألة **(التقديم والتأخير)**، فالجرجاني يراه على نوعين: **الأول** هو تقديم على نية التأخير، وهو ما يبقى المتقدم فيه على حكمه الذي كان له قبل التقديم، و**الثاني:** إلى تقديم لا على نية التأخير، وهو ما ينقل فيه المقدم من حكم إلى حكم، ومن إعراب إلى إعراب. والسكاكي لم يبتعد عما قاله الجرجاني عن التقديم والتأخير إلا في بعض القضايا اليسيرة وبعض الجزيئات التي تتعلق بترتيب بحثه، والسبب في ذلك يعود إلى اعتماده على ركني الجملة، وجاءت تقسيماته على أساسها. بينما نجد الجرجاني أكثر حرية وانطلاقا في بحثه، كما أنه كان أكثر تحليلا واعتمادا للذوق.[3]

---

[1] محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، ص479.

[2] ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص30، وشوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص287، وأحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، ص310.

[3] المرجع نفسه، ص311-312.

ولنميز بين الحالتين نقف على مثال لكل منهما:

أ-تقديم على نية التأخير: في هذه الحالة لا يترتب تغيير الحكم الإعرابي عند التقديم والتأخير الذي يصيب جزئي الجملة الاسمية، ومثال ذلك: (مسافر محمد) فـ(محمد) مبتدأ مؤخر و(مسافر) خبر مقدم. فأصل الجملة (محمد مسافر).

ب-تقديم لا على نية التأخير: في هذه الحالة يترتب تغيير الحكم الإعرابي عند التقديم والتأخير الذي يصيب جزئي الجملة الاسمية ومثال ذلك: (زيدٌ منطلقٌ) و(المنطلقُ زيدٌ). فجاء المقدم في الجملتين:(زيدٌ) و(المنطلقُ) مبتدأ، وأعربا بالرفع، وجاء المؤخر في الجملتين:(منطلقٌ) و(زيدٌ) خبرا.

قال الناظــم:

والأصل في المبتدأ التعريف وعكسه الخبر يا شريف

ومثال الجملة الفعلية: (زيدٌ ضربتُه) وأصله(ضربتُ زيدًا) فتقدم المفعول به (زيدًا) وأصبح مبتدأ (زيدٌ)، وأعرب بالرفع بعد أن كان منصوبا.

كانت هذه مجرد عينة بسيطة تؤكد أن علم المعاني عند "السكاكي" هو نفسه النظم أو معاني النحو عند "الجرجاني"، مزينة ببعض الإضافات التي استعارها من اللغويين والمتكلمين والأصوليين، وكل ما في الأمر أن "السكاكي" قد قام بترتيب مباحثه ترتيبا يمكن أن نقول إنه يختلف بعض الشيء عن "الجرجاني".

وجملة القــول: إن بلاغة "السكاكي" ما هي إلا تلخيص لبلاغة الجرجاني ومن سبقه مع إضفاء بعض التعليلات والتفريعات والتقسيمات التي كان أساسها الأول علم المنطق والفلسفة، لذلك وبشهادة العديد من الدارسين، فإن بلاغته قد طبعت بطابع فلسفي منطقي،

مما أدى لقول البعض إنه أفسد البلاغة؛ لأنه جعلها قواعد جافة أو قوالب معيارية تفتقر إلى الحسّ والذوق الجمالي ولهذا وصفها شوقي ضيف بالجفاف والجمود والتعقيد.

لقد كان لطائفة من العلماء إسهامات وبصمات جلية في تأسيس هذا العلم، كما كان للعديد منهم صولات وجولات تتراوح بين القوة والضعف، وبين التطور والجمود، ولكن بالرغم من ذلك فإن الإمام "عبد القاهر الجرجاني" هو الشعلة التي أضاءت لهم الطريق من خلال نظريته التي كانت أساس كل كتاب أو مؤلف أو مصنف أو بحث أو دراسة، منذ أن وارى جثمانه الثرى إلى يومنا هذا.

ثانيا: المحدثون

يشكل تراثنا العربي أهم مصدر، لما يحتويه من عبقرية عربية معرفية جليلة وهامة، والمتأمل في التراث الفني الكبير يجد جملة من العلاقات التي تتماثل مع الدراسات الغربية الحديثة، ومما لاريب فيه أن نظرية النظم تعد من أهم الموروثات اللغوية الضخمة، وهي من أهم النظريات اللغوية القديمة، ولازالت لها شأن عظيم وأهمية بالغة لنضوجها وتكاملها العلمي العميق، وعُني بها الكثير من الدارسين القدامى والمحدثين، فالقدامى أمثال "الزمخشري" و"السكاكي" و"القرطاجني" وغيرهم، ساهموا في إضافة الجديد للنظرية والتطبيق، ونحن في صدد هذه الدراسة، سنسلط الضوء على الدارسين المحدثين، ولكن تضاربت الأفكار والآراء حول فكرة النظم خاصة منذ أن تنبه الشيخ "محمد عبده"، واطلع على" دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" وأخذ منهما دروسا في رحاب جامع الأزهر، واعتبرهما أولى بالدراسة من المتون وشرحها وحواشيها، لما اتسما به من دراسة عميقة للنصوص الأدبية، تقرب القارئ من تذوق البلاغة بأسلوب سهل بسيط ولا صلة لها بالجدل العقيم الذي لا نتيجة له، وكان من أثر تدريسهما أن خرجا مطبوعتين مصححتين إلى الوجود.

1- بدوي طبانة:

بدأ بدوي طبانة حديثه في كتابه "البيان العربي"، الذي خصص له فيه فصل بعنوان "بلاغة عبد القاهر في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة " بدأه بالموازنة بين اتجاه عبد القاهر ومعاصره "ابن سنان الخفاجي" صاحب "سر الفصاحة " وتحدث عن البيان والمعاني في كتابي عبد القاهر، وختم بحديث مطول عن فكرة النظم.

يرى بدوي طبانة أنه يمكن اعتبار عصر "عبد القاهر الجرجاني" مرحلة النضج والرشد الفكري في تلك الحياة حيث يقول: "فالذوق العربي قد جارى سنة الطبيعة فترقى من طور البساطة، بما جدَّ عليه من عوامل الرقي الاجتماعي والفكري إذ اتسعت رقعة الدولة وتطورت أنظمتها في الحكم والحياة، وتنوعت العناصر المؤلفة لشعوبها والتيارات المكونة لثقافاتها، وتحضرت أساليب لهوها ومتعتها الفنية، وعلى هذا ارتقى الذوق العربي في الفن".[1]

يرى "عبد القاهر" أن البلاغة و"الفصاحة" و"البيان" وما شاكلها من مصطلحات تكاد تتقارب؛ لأنها جميعا كما يقول: يعبر بها عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن أغراضهم ومقاصدهم، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم. تنهض فلسفة عبد القاهر البيانية، على أساس النظم، وليس للنظم معنى عنده سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل، وحرف. وللتعليق فيما بينهما طرق معلومة، وهذا التعلق لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما، ومختصر الأمر أنه لا يكون الكلام من جزء واحد، وأنه لابد من مسند ومسند إليه، وكذلك السبيل في كل حرف

[1] بدوي طبانة، البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مطبعة الرسالة، مصر، ط2، 1377هـ-1958م، ص116.

يدخل على جملة، ألا ترى أنك إذا قلت (كأن) يقتضي مشبها ومشبها به، كقولك: كأن زيداً أسدٌ، وكذلك إذ قلت (لو) و(لولا) تقتضيان جملتين تكون الثانية جواباً للأولى.[1]

وتلك هي حقيقة الأفكار التي تبناها "عبد القاهر"، وصاغ منها كتابه "دلائل الإعجاز" فالنحو هو كل شيء، ووضع اللفظ إلى جانب اللفظ وضعا تمليه قواعده هو أساس المعنى الذي يدل عليه الوضع أو تعليق اللفظة باللفظة، وفكرة النظم التي نادى بها "عبد القاهر" تقوم على معرفة هذا النحو، ومما ينشأ عن الكلمات حين تتغير مواضعها من المعاني المتجددة المختلفة، فالألفاظ معلقة على معانيها، حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، والأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وهذا المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسّه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه.[2]

فكرة النظم التي بسطها "عبد القاهر" في "دلائل الإعجاز" هي الفكرة نفسها التي يذكرها في كل مناسبة في "أسرار البلاغة" وكذلك نظرته إلى المعنى إكباره وجعله أساس كل جمال في العمل الأدبي.

كما عقد بدوي طبانة فصلا للفظ والمعنى عند "عبد القاهر الجرجاني" وحدد فصلا لبلاغة التقديم والتأخير، ويرتب "عبد القاهر" على هذا أن المزايا في النظم إنما تكون بحسب المعاني والأغراض، بأن التقديم والتأخير كله يقوم على هذا الأساس، وختم بحديث مفصل عن الذكر والحذف.

ومن أمتع المباحث لدى "عبد القاهر" مبحثه في الاستعارة المقيدة، والاستعارة غير المقيدة، والاستعارات المتحدة في الجنس المختلفة في الأنواع، فعمله في الواقع جديد ودراسة

[1] المرجع السابق، ص117-120.

[2] المرجع نفسه، ص120-123.

مبتكرة، لا من حيث الموضوع، ولكن من حيث منهج البحث وطريقته فيه، وهذا النزوع إلى المنزع النفسي في دراسة البيان ونقد الأدب حتى ليمكن القول بأن هذا الاتجاه يكاد ينفرد به عبد القاهر دون غيره من الدارسين.[1]

2- شوقي ضيف:

عقد شوقي ضيف فصلا في كتابه "البلاغة تطور وتاريخ" فخصصه لوضع "عبد القاهر الجرجاني" لنظرية البيان، وقال معلقا " ولعبد القاهر مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، إذ استطاع أن يضع نظريتي علمي المعاني والبيان وضعا دقيقا، أما النظرية الأولى فخصَّ بعرضها وتفصيلها كتابه "دلائل الإعجاز" وأما النظرية الثانية فخصَّ بها وبمباحثها كتابه "أسرار البلاغة" وينبغي أن نلاحظ من أول الأمر أن قسمة البلاغة إلى علوم ثلاثة، هي المعاني والبيان والبديع لم تكن قد استقرت حتى عصر "عبد القاهر"، ومن يرجع إلى مطالع كلامه في "دلائل الإعجاز" يجده يسمي مباحثه فيه مباحث بيانيه."[2] إذ يقول: "إنَّك لا ترى علما هو أرسخ أصلا وأنسق فرعا، وأحلى جنىً، وأعذب وردًا وأكرم نتاجا، وأنور سراجا، من علم البيان."[3] وحقا إنه عرض فيه للمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه، ولكنه إنما جاء بها في ثنايا تفسيره لنظرية النظم التي أدار عليها الكتاب واستخرج منها شعب علم المعاني، على نحو ما سيتضح عما قليل، وتقترن بكلمة البيان في الكتاب كلمتا "الفصاحة والبلاغة"، وكأنها جميعا ذات دلالة واحدة، ونفس كتابه الثاني سماه "أسرار البلاغة" وهو خالص لمباحث البيان وللونين من البديع اللفظي هما الجناس والسجع، ويقول في فواتحه" وأما

[1] المرجع السابق، ص149-151.

[2] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص160-161.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص5.

التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع".[1] وكأنه بعد الاستعارة مقتديا بابن المعتز في مباحث البديع.

ويتضح من ذلك أن "الجرجاني" كان يرى علوم البلاغة علما واحدا، تتشعب مباحثه، وسَمَّى في "دلائل الإعجاز" علم المعاني باسم "النظم" وهو اصطلاح كان يشيع في بيئة الأشاعرة كما نرى أن "عبد القاهر" في مواطن كثيرة في "الدلائل" يبدئ ويعيد في إبطال أن يكون مردُّ الفصاحة إلى اللفظ أو المعنى، إنما مردُّه إلى النظم والأسلوب وخصائصه وكيفياته، "فعبد القاهر" ينكر بأن يكون للمعاني مزية في البلاغة، كما أنكر ذلك بالقياس إلى الألفاظ من حيث هي ألفاظ، فالمعوَّل إنما هو على النظم والأسلوب والصياغة، كما يبرهن على رأيه بأن إعجاز القرآن الكريم للعرب على معارضته وقعودهم على محاكاته وإنما كان لأوصاف نزل بها، وهي أوصاف لم تكن في ألفاظ من حيث هي ألفاظ منطوقة بأصواتها وحروفها وحركاتها وسكناتها، وإنما من حيث المعاني المتصلة بتراكيبها وأساليبها، ويقول إن الصورة البيانية تدخل في التراكيب والأساليب، فهي جزء في النظم، وليست سرَّ جماله وإعجازه.[2]

كما يعترف "عبد القاهر" بالمعنى المتداول للفصاحة الذي وصف به المفردات.[3]

إذ يقول "اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين: قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزى المزية فيه إلى النظم، فالقسم الأول الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حدّ الاستعارة وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ على الظاهر."[4] فهو

بذلك يجعل الفصاحة قسمين: قسم يلتقي بالنظم، وهو الذي ألحَّ في شرحه، وقسم يحسن

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص20.

[2] المرجع نفسه، ص161-163.

[3] نفسه، ص166.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص301.

يحسن اللفظ وقد أدخل فيه الصور البيانية.

ويتضح من ذلك أن "عبد القاهر الجرجاني" يَرُدُ إعجاز القرآن إلى خصائص في أسلوبه وراء جمال اللفظ وجمال المعنى، أو بعبارة أخرى إلى خصائص في نظمه، تطرد في جميع آياته.

فالنظم بذلك هو معاني النحو التي يدور عليها تعلق الكلام بعضه ببعض ويقول إن هذه المعاني يناقشها علم البيان ويشيد به، وبما يفصح عنه من لطائف التعبير ودقائقه وخواصه.

ومع معرفة "عبد القاهر" وإيمانه بأن العقل يستطيع إدراك هذه الحقائق والخفايا ينوه بالذوق، وأنه ضروري لتميز جيد الكلام من رديئة، فلابد لمن يريد أن يعرف ويفهم دقائق النظم في الكلام من ذوق يستطيع إدراك أسراره ويبصرها، ومن فقد هذا الذوق أعياه هذا الفهم، وأعياك أن تنبهه له وتعرِّفه به؛ لأنه فقد الأداة التي بها يعرف ويتنبه ويدرك ويفهم، ويقول "عبد القاهر" إن من حُرم الذوق عليه أن يقلد من ملكه وعرف به كيف يصور مزايا النظم، وعليه أن يأخذ نفسه بالتدريب حتى تتكوَّن له الحاسَّة التي يبصر بها خصائص الكلام.

ويتضح من كل ما سبق أن "عبد القاهر" استطاع في دلائل الإعجاز أن يفسر نظرية النظم تفسيراً ردَّها فيه إلى المعاني الإضافية التي تلتمس في ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالته في النفس، وهي معان ترجع إلى الإسناد وخصائص مختلفة في المسند إليه والمسند وفي أضرب الخبر وفي متعلقات الفعل من مفعولات وأحوال وفي الفصل بين الجمل والوصل وفي الإيجاز والإطناب، وهي نفسها الأبواب التي ألفَّ منها من خلفوه علم المعاني، فالنظرية نشأ عنها فيما بعد علم مستقل من علوم البلاغة هو علم المعاني الذي

وضع "عبد القاهر الجرجاني" أصوله، وصَّور فصوله وحددها وشعبها تصويرا دقيقا.[1] ومع أن من جاءوا بعده أضافوا إليها بعض الإضافات "كالزمخشري" في الكشاف استعان بها في تفسير الآيات القرآنية، و"السكاكي" حيث بوب وقسَّم و"القرطاجني" وغيرهم، ولكن كتابته فيها ظلت المنارة الهادية بأضوائها الكثيرة.

وكم هي كثيرة تلك الدراسات التي تناولت "عبد القاهر الجرجاني" ونظريته فكذلك منهم سيد قطب وإحسان عباس وتمام حسان وإبراهيم مصطفى وغيرهم.

فمجمل الدراسات الحديثة العامة تناولت نظرية النظم عند "عبد القاهر الجرجاني"، تهدف إلى بيان عظمة عبد القاهر بالنسبة للدراسات المعاصرة من خلال دراسته القيمة للتراث الأدبي، ومن خلال قراءة التراث قراءة جديدة قيمة موضوعية وربط الأصالة بالحاضر لما تزخر به هذه النظرية من مبادئ وأسس علمية استطاعت أن تتوصل إلى ما توصل إليه الدرس اللساني الحديث رغم البعد الزمني الكبير فأثبت تجلياتها وإنجازاتها وجدارتها في التأسيس للدرس البلاغي الحديث من خلال المنجز اللغوي الذي توصل إليه عبد القاهر الجرجاني ومكانته العلمية الفكرية اللغوية النحوية المرموقة.

المبحث الثاني: خصوبة نظرية النظم وفعاليتها في اتصال النقد باللغة

تمثل نظرية النظم مجالاً خصباً للدراسات الحديثة متعدية بذلك دورها القديم في الدرس اللغوي النقدي، فجل الأبحاث تنهل من معينها وتصب فيها، وفي أحضانها تتشارك العلوم وتتداخل.

أولا: مناقشة انتماء مصطلح نظرية النظم بعد عبد القاهر الجرجاني

تعد نظرية النظم من أهم إنجازات البلاغة والنقد العربي القديم، وقبل أن تكون نظرية النظم

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص188-189.

لها أسسها وقواعدها، فقد مرت عبر مراحل مختلفة شهدت دراسات ومحاولات فردية لغوية وبلاغية ونقدية، وإلى أن وصلت مرحلة النضج على يد "عبد القاهر الجرجاني" الذي استفاد ولا شك من جهود سابقيه مؤسساً نظرية النظم من خلال كتابيه "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة"، وبقي الإمام منارة لمن جاء بعده من العلماء، لتبني فكرة النظم والارتقاء بها إلى النظرية، إذ قدّم في ضوئها تطبيقاً عملياً، حيث اتخذ مصطلح النظم منحىً جديداً يتمثل في الترتيب والتبويب، وكان ميداناً رحباً لدراسات كثير من اللغويين البلاغيين والنقاد، لكن الأمر اللافت للانتباه حقا هو دخولنا في أزمة مصطلح حقيقية إزاء النظم وانتمائه، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل يمكن اعتبار مصطلح النظم ضمن دائرة اللغة والبلاغة أم أنّه مصطلح نقدي؟

1-انتماء مصطلح النظم إلى اللغة والبلاغة:

نجد" الزمخشري" (538هـ) - وهو الإمام المفسّر، واللغوي النحوي، والأديب البلاغي- أول من درس كتابي "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة" "لعبد القاهر الجرجاني" دراسة عميقة، وتمثلهما تمثلا منقطع النظير، وبنى عليهما "الكشاف" الذي كان تفسيرا بلاغيا إلى جانب ما فيه من قضايا عقلية ودينية.

غير أنه لم ينظر إلى علم البلاغة على أنها علم واحد، ولكنه أطلق على المسائل المتفرقة من معاني النظم "علم المعاني" كما أطلق على الصور البيانية "علم البيان"، ولكن البديع . في رأيه . لم يكن يرى أنه يعد علما مستقلاً، بل يراه تابعا لعلمي المعاني والبيان.[1]

وضح "الزمخشري" في مقدمة كشافه أن تفسير القرآن أمر لا يدرك إلا عن طريق علمي المعاني والبيان، حيث يقول في مقدمة تفسيره:"... فالفقيه وإن برّز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص

[1] عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين، عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ- 1993م، ص344.

والأخبار، وإن كان من ابن القريّة أحفظ، والوعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحويّ وإن كان أنحى من سيبويه، واللغويّ وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل برع في علمين مختصين بالقرآن، هما علم المعاني وعلم البيان...".[1]

"فالزمخشري" في كتابه "الكشاف" يتخذ من بلاغة "عبد القاهر الجرجاني" الأساس في تفسير الآيات، ويبين بعضها ببعض، تعلق عباراتها وألفاظها، تعلقاً يكشف في ثناياه عن جميع وجوه النظم التي تحدث عنها "عبد القاهر" في "دلائل الإعجاز"، وعلى شاكلة تطبيقه لنظرية المعاني الإضافية التي صورها عبد القاهر في الدلائل، ومضى يطبق نظرية البيان في تفسيره تطبيقاً مستقصياً بديعًا.[2]

ويعد كتابه الجانب التطبيقي لبلاغة "عبد القاهر"، حيث نجد "الزمخشري" يطبق آراء "الجرجاني" في المعاني ومسائل البيان عند "عبد القاهر" في كثير من الآيات، فيطبق ما عرفه عن الكناية، والاستعارة، والتشبيه، والتمثيل، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي، وهو في كل ذلك يردد كلام "عبد القاهر".[3]

ويلي "الزمخشري" "فخر الدين محمد بن عمر الرازي (606هـ)"، وهو صاحب كتاب "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" حيث اتخذ من بلاغة "عبد القاهر الجرجاني" طريقا له، وكان كتابه هذا تلخيصاً لكتابي "أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز" كما كان حلقة الوصل بين "عبد القاهر و السكاكي"، وكان الخطوة الأولى لتقنين قواعد البلاغة وضبط مسائلها، وواضح من عنوان الكتاب أن الرازي قصد فيه إلى الإجمال والاختصار، ونراه يعلن في

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المكتبة التجارية الكبرى، تح: أبو عبد الله الداني بن منيرال زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ- 2006م، 16/1.

[2] الرازي فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: نصر الله حاجي مفتي أوغلى، دار صادر، بيروت، ط1، 1424هـ- 2004م، ص 9.

[3] ينظر: عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص4- 5.

فاتحته أنه سيعنى بتنظيم ما صنفه عبد القاهر في كتابيه "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة"، وقد نوه بعمل "عبد القاهر" وبراعته في استنباط أصول هذا العلم وقوانينه وأدلّته وبراهينه، وعقب على ذلك بأنه:" أهمل رعاية ترتيب الأصول والأبواب، وأطنب في الكلام كل الإطناب"، ثم يقول:" ولما وفقني الله لمطالعة هذين الكتابين التقطت منهما معاقد فوائدهما ومقاصد فرائدها، وراعيت الترتيب مع التهذيب، والتحرير مع التقرير، وضبطت أوابد الإجمالات في كل باب بالتقسيمات اليقينية، وجمعت مفترقات الكلم في الضوابط العقلية مع الاجتناب عن الإطناب المملّ، والاحتراز عن الإيجاز المخل؛ وسميتُه: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز".[1]

وكلامه يفسر أن كتابه ما هو إلا تنظيم وتبويب لما كتبه إمام البلاغة "عبد القاهر" في صورة تنضبط فيها القواعد البلاغية، وتنحصر فروعها وأقسامها حصراً دقيقاً.

ورتب "الرازي" كتابه على مقدمة وجملتين: تحدث في المقدمة عن إعجاز القرآن وشرف علم الفصاحة، وتكلم في الجملة الأولى عن المفردات، وفي الثانية عن النظم.[2]

وهكذا لخص الرازي كتب الجرجاني تلخيصاً أخذ يبتعد بالبلاغة عن النصوص، ويقترب بها من الحدود والقوانين والأحكام والقواعد، ثم استكملت تقعيدها على يد السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم".[3]

ونجد "السكاكي" (626هـ) ثالث علماء البلاغة في القرن السادس الهجري، ألف كتابه مفتاح العلوم في علوم البلاغة الثلاثة دون ربطها بموضوع إعجاز القرآن، وصنفه في اثنى عشر عامًا.[4]

---

[1] الرازي فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص10.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

[3] مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، ص 110.

[4] ينظر: أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، دار التضامن، بغداد، ط1، 1384هـ- 1964م، ص25.

كان "السكاكي" أول من أطلق مصطلح "علم المعاني" على الموضوعات التي سماها "عبد القاهر الجرجاني" النظم أو معاني النحو، فهو أول من قسم البلاغة إلى معان وبيان ومحسنات، ويقرّر "السكاكي" أن كلام العرب قسمان: الخبر والطلب، ولذلك قسّم المعاني إلى قانونين: ما يتعلق بالخبر، وما يتصل بالطلب.[1]

بهذا المنهج بحث "السكاكي" "علم المعاني" وقسمه، وتبويبه يدل على تأثره بالمنطق، ويلحظ عليه حين حديثه عن الخبر يتناول موضوعات كثيرة، وتحدث عنها مع أنها لا تخص الخبر وحده، وإنما هي مشتركة بينه وبين الطلب.

وتلخيص "السكاكي" للبلاغة كان أكثر دقة من تلخيص "الرازي"، وأكثر ضبطا للأقسام وأشد تحديدا للتعريفات، ولأقوم إرشاداً لإقامة الحجج، وتقديم البراهين؛ ولهذا عده البلاغيون من بعده الصيغة النهائية لقواعد البلاغة، ومسائلها، وأقسامها وتعريفاتها فعكفوا عليه، وأوسعوه شرحا، وإيضاحا، وتقريرا، وتلخيصا، ثم وضعوا عليه الحواشي تلو الحواشي.[2]

وعلى كل كان سير "السكاكي" على درب "عبد القاهر" واضحاً، وإن ساعده على تلخيصه لها كتاب "فخر الدين الرازي"، فهو أيضاً تلخيص وتبويب وتنظيم لكتابي "عبد القاهر".

كما تأثر "ابن الأثير(637هـ)" " بعبد القاهر" وإن لم يصرح باسمه؛ لأنه كان حريصًا على أن يطلع على كل ما سبقه في تأليف علم البيان - علم البلاغة- فقد قال في مقدمة كتابه "المثل السائر":" وبعد فإن علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام،

[1] أحمد مطلوب، وكامل حسن، البلاغة والتطبيق، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ط2، 1990م، ص 93- 94.

[2] عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين، عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، ص359.

وأدلة الأحكام، وقد ألف الناس فيه كتباً وجلبوا ذهباً وحطباً، وما من تأليف إلا وقد تصفحت شينه وسينه، وعلمت غثه وسمينه".[1]

2-انتماء مصطلح النظم إلى النقد:

يقول محمد مندور في كتابه "النقد المنهجي عند العرب": "وأما فلسفة "عبد القاهر" فتلك قد وضعت أساساً عاماً للنقد هو الأساس الوحيد الذي نستطيع أن نطمئن إلى تعميمه في عصرنا الحالي؛ لأنه أساس لغوي فقهي، وتلك هي نظرة في نقد النصوص، ولقد فرع عبد القاهر عن فلسفته مقياساً عاماً في النقد هو النظر في نظم الكلام نظراً يؤدي ما نريد من معان على خير وجه وأجمله. هذا هو المقياس العام عند "عبد القاهر"، ولكنه لا يقف عنده بل يأخذ في تطبيقه تطبيقاً موضعياً، فيضع هو الآخر مشاكل ثم يحلها، وإن تكن هناك وحدة في نقده، فهي في ركونه إلى فلسفته اللغوية العامة"[2].

وأخذ طه حسين "عبد القاهر الجرجاني" بالبحث في تمهيد كتاب "نقد النثر" لقدامة بن جعفر تحت عنوان:" البيان العربي"، وهو يرى أنّه تمّ على يده التوفيق بين البيانين: العربي واليوناني بل أقرّ في نهاية بحثه أن من يقرأ "دلائل الإعجاز" لا يسعه إلا أن يعترف بما أنفق "عبد القاهر" من جهد صادق خصب، في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب والفصول، وقد وفق "عبد القاهر" فيما حاول توفيقا يدعو إلى الإعجاب. وإذا كان "الجاحظ" هو واضع أساس البيان العربي حقا "فعبد القاهر" هو الذي رفع قواعده وأحكم بناءه".[3]

---

[1] ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، (دط)، (دت)، ص33.

[2] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، منهج البحث في الأدب واللغة، دار نهضة مصر، (دط)، أبريل1996م، ص386.

[3] قدامة بن جعفر، نقد النثر، تحقيق طه حسين، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط 15، 1351هـ- 1933م، ص 30.

وكتب شوقي ضيف عن "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "البلاغة تطور وتاريخ" فخصص فصلا لوضع "عبد القاهر" لنظرية المعاني و آخر لوضعه لنظرية البيان. وقال معلقا: "ولعبد القاهر مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، إذ استطاع أن يضع نظريتي علم المعاني و البيان وضعا دقيقا، أما النظرية الأولى فخص بعرضها وتفصيلها كتابه "دلائل الإعجاز" وأما النظرية الثانية فخص بها وبمباحثها كتاب "أسرار البلاغة".[1]

ويتناول محمد غنيمي هلال في كتابه "النقد الأدبي الحديث" حيث تحدث عن النظم "عند عبد القاهر" ويرى أنه "قام في هذا الباب بجهد عظيم الخطر، فهو يقصد بالنظم ما يطلق عليه الغربيين علم التراكيب، وهو عندهم أهم أجزاء النحو، ويعرفه عبد القاهر بأنه: وضع "كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو"[2]، ويتطرق بعد ذلك إلى التقويم الجمالي وصلته بالمضمون عند "عبد القاهر" ويذكر نماذج في نقد "بندتوكروتشيه" وآرائه في علم الجمال ويقول: "إنّما ذكرنا من نقد "بندتوكروتشيه" ما يتصل اتصالا وثيقا بنقد "عبد القاهر"، لنوضح فضل عبقرية عربية انتهت بعمق نظرياتها في النقد الأدبي إلى نتائج عالمية ذات قيمة خالدة، ولها صلة بفلسفة الجمال في النقد الحديث".[3]

وعقد إحسان عباس فصلا في كتابه "تاريخ النقد الأدبي عند العرب" تحدث فيه عن الانطلاق من فكرة الإعجاز إلى إقرار قواعد النقد و البلاغة ثم بحث في قضية اللفظ والمعنى تحت ضوء نظرية النظم الجر جانية، وانتهى إلى أن "عبد القاهر" ألف كتاب "دلائل الإعجاز" أولا ثم بعده كتاب "أسرار البلاغة "فاسمعه يقول:"... ومن مرحلة المعنى يتكون "علم المعاني" ومن مرحلة "معنى المعنى" يجيء "علم البيان"، ولهذا نستطيع أن نقول إن "عبد القاهر" بعد أن انتهى من كتابه دلائل الإعجاز الذي تحدث فيه حول المعنى، حاول أن يخصص كتابا لدراسة معنى المعنى فكان من ذلك كتابه " أسرار البلاغة."[4]

---

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، الإسكندرية–مصر، ط8، ص 160.

[2] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، (دط)، 1997م، ص 263.

[3] المرجع نفسه، ص 272.

[4] حاتم الضامن، نظرية النظم تاريخ وتطور، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، (دط)، 1979م، ص119.

وبناء على ما جادت به قرائح علماؤنا الأفاضل سواء كانوا لغويين أو بلاغيين أو نقاداً من جهود عظيمة إن جاز أن نقول ذلك فيما يخص نظرية النظم، والتي يعود الفضل في وضعها للعالم الجليل "عبد القاهر الجرجاني"، وأيضا من خلال قراءتنا ووقوفنا على بعض هذه الجهود يتضح لنا بشكل لا يدخله الشك بأن مصطلح نظرية النظم يموج بين البلاغة والنقد، بحيث لا يمكن للبلاغة الاستغناء عن النقد، فالنقد يتناول النص من كل جوانبه في اللفظ والمعنى وترتيب أفكار النص، وما فيه من عاطفة وخيال، في حين تتكفل البلاغة بدراسة بعض الجوانب التي يريد النقد دراستها، لأن البلاغة تعنى بدراسة المفردات والجمل، من حيث قوتها وجمالها في علم المعاني والبيان والبديع، ومن هنا يمكن الجمع بأن يكون مصطلح نظرية النظم بلاغي نقدي.

ثانيا: الخطوط الواصلة بين اللغة والنقد في ضوء نظرية النظم

إنه حتى نستطيع الحكم على أي عمل أدبي بالتميز والجودة، لابد لنا من استخدام آليات النقد المتعارف عليها بين النقاد، وبما أن العمل الأدبي مادته الأساسية هي اللغة بمفرداتها ونظمها (تراكيبها)، فإن هناك لا محالة علاقة مباشرة بين العلمين النقد واللغة، وهذا ما سنوضحه ونكشف عنه فيما يلي:

ولإظهار العلاقة والرابطة بين اللغة والنقد لابد لهذا الأخير أن يتفحص تلك العلاقات بين الألفاظ اللغوية عند رصفها في نَظْمٍ معين، بعد معرفة معنى الألفاظ الأوَّلِي.

أي أننا نستهل بالبحث في معنى اللفظة ثم الذهاب إلى المعنى الثاني معنى المعنى؛ لأنه بوقوفنا عند المعنى الأول للفظة فإننا بذلك نحصر أنفسنا في عصر" أبي هلال العسكري"، وفي الحقيقة نحن الآن بصدد الحديث عن كيفية الكشف عن معنى المعنى الذي نادى به "عبد القاهر الجرجاني" وحارب أنصار اللفظة من أجله، ومنه خرج بنا الجرجاني من النقد الانطباعي المعتمد على الصنعة اللفظية، وعلى خلفيات مسبقة جانبت الموضوعية في الحكم على الأعمال الأدبية، إلى مذهب جديد والمتمثل في النظم أو علم التراكيب الآن،

والمعروف أن الألفاظ إذا رُكِّبَت ونُظِمَت تتشابك وتتعالق معانيها التي يكشف عنها النقد بوسائل وآليات لغوية مثل التنكير والحذف والوصل والفصل والتقديم والتأخير...، وهذا ما أرسى أسسه الإمام "الجرجاني" بسلامة ذوقه.

...فكان هذا الرجل سليم الذوق فقاوم تيار اللفظة أشد مقاومة وقال بأن "الألفاظ خدم المعاني".[1]

ومما تقدم يتجلى لكل من مارس البلاغة والنقد امتزاج العلمين إلى حد يصعب الفصل فيه بينهما، ذلك أن الحكم النقدي يتوصل إليه ويبرر بآليات لغوية لا ينكرها أحد، إنه عصر جديد تتصدره ثورة "الجرجاني" في البلاغة والنقد.

يقرر "الجرجاني" أوّلاً أنه ليس للفظة في ذاتها، لا في جرسها ولا دلالتها ميزة أو فضل أولي، وليس بين أية لفظة وأخرى في حال انفراد كل منهما عن أختها من تفاضل؛ لا يحكم على اللفظة بأي حكم قبل دخولها في "سياق" معين، لأنها وحسب تُرى في نطاق من التلاؤم أو عدم التلاؤم؛ وهذا السياق هو الذي يحدث "تناسق الدلالة" ويبرز فيه "معنى" على وجه يقتضيه العقل ويرتضيه. وربط الألفاظ في سياق يكون وليد الفكر لا محالة، والفكر لا يضع لفظة إزاء أخرى لأنه يرى في اللفظة نفسها ميزة فارقة، وإنما يحكم بوضعها، لأن لها معنى ودلالة بحسب السياق نفسه، ولهذا كانت "المعاني" لا الألفاظ هي المقصودة في إحداث النظم والتأليف، فلا نظم في الكلم ولا تأليف حتى يعلق بعضها ببعض ويُبنى بعضها على بعض، وبهذا يكون اللفظ تابعاً للمعنى، بحسب ما يتم ترتب المعنى في النفس.[2]

وهذا ما أكدته الدراسات الحديثة التي عمقت بحثها في "المعنى" هذا المصطلح الزئبقي، واستحدثت من أجله نظريات محاولةً الإحاطة به، ومن بين هذه النظريات، النظرية

[1] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص233.

[2] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن هجري، دار الثقافة، بيروت– لبنان، ط4، 1404هـ–1989م، ص 420.

السياقية التي حاولت جاهدةً تحديد معالمه وسبر أغواره من خلال معرفة السياق اللغوي، وسياق الموقف والسياق الثقافي.

وهذا ما أشار إليه "الجرجاني" من قبل، حين قال لا يحكم على اللفظة بأي حكم قبل دخولها في سياق معين، فانتبه الرجل لأهمية المعنى المحمول في الألفاظ.

وفي الحق إن "عبد القاهر" قد اهتدى في العلوم اللغوية كلها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهميته، مذهب يشهد لصاحبه بعبقرية لغوية منقطعة النظير...وهو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، هو مذهب العالم السويسري (Ferdinand de Saussure) فرديناند دي سوسير...ونحن لا يهمنا الآن من هذا المذهب الخطير إلا طريقة استخدامه كأساس لمنهج لغوي (فيولوجي) في نقد النصوص.[1]

"فالجرجاني" وصل في القرن الخامس هجري إلى ما لم يصل إليه معاصريه من حيث نظرته للنحو فكانت نظرة تجديد وبعث حياة بعد أن كانت مجرد تغير حركات الإعراب والبناء، حيث استخدمه "الجرجاني" كوسيلة للوصول إلى جماليات النصوص بآليات مادتها(النصوص)الأساسية وهي اللغة، فيكشف عما في تراكيبه من فنيات جمالية مستغلا الموضوعات أحسن استغلال، التعريف والتنكير والحذف والوصل والتقديم والتأخير... .

لقد فطن "عبد القاهر" إلى أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل مجموعة من العلاقات systeme de rapports فقال: "اعلم هنا أصلا أنت ترى الناس فيه صورة من يعرف من جانب وينكر من آخر، وهو أن الألفاظ المفردة التي من أوضاع اللغة، لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد. وهذا علم شريف وأصل عظيم...".[2]

[1] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، منهج البحث في الأدب واللغة، ص 333-334.

[2] المرجع نفسه، ص334.

ولذلك نجده أولى أهمية عظيمة للنحو لا على أساس أنه بناء وإعراب تلك الرؤية التي يعتريها الجمود والسكون، بل كانت رؤية مغايرة، إنه يفتح مغاليق التراكيب ومقاصدها(باختصار من المعنى الساكن إلى المتحرك).

والنحو عنده ميزان الكلام ومعياره ولا يستقيم المعنى في الكلام ولا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب والترتيب الخاص، وقد أدى ذلك إلى أن يقول بأن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة مجردة من معاني النحو ومنطوقا بها على وجه لا يتأتى معه تقديره معاني النحو وتوخيها، قال: "إنك إذا فكرت في الفعلين أو الاسمين تريد أن تخبرنا بأحدهما عن الشيء أيهما أولى أن تخبر به عنه وأشبه بغرضك مثل أن تنظر أيهما أمدح وأذم وفكرت في الشيئين تريد أن تشبه الشيء بأحدهما أيهما أشبه به كنت قد فكرت في معاني أنفس الكلام إلاَّ أن فكرك ذلك لم يكن إلاَّ من بعد أن توخيت فيها معنى من معاني النحو وهو أن أردت جعل الاسم الذي فكرت فيه خبرا عن شيء أردت فيه مدحاً أو ذماً أو تشبيهاً أو غير ذلك من الأغراض ولم تجيء إلى فعل أو اسم ففكرت فيه فردًا ومن غير أن كان لك قصد أن تجعله خبرًا أو غير خبر فاعرف ذلك.[1]

وضرب مثلا لذلك ببيت بشار:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[2]

وقال: هل يتصور أن يكون بشار قد أخطر معاني هذه الكلم بباله إفرادا عارية من معاني النحو وأن يكون قد وقع " كأن " في نفسه من غير أن يكون قصد إيقاع التشبيه منه على شيء وأن يكون فكر في "مثار النقع " من غير أن يكون أراد إضافة الأول إلى الثاني، وفكر في "فوق رؤوسنا " من غير أن يكون قد أراد أن يضيف (فوق)إلى الرؤوس، وفي الأسياف من دون أن يكون أراد عطفها بالواو على "مثار" وفي الواو من دون أن يكون أراد

[1] أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، ص58.

[2] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد مجمد شاكر، دار المعارف، مصر،(دط)، (د ت)،759/1.

العطف بها، وأن يكون كذلك فكر في "الليل" من دون أن يكون أراد أن يجعله خبرا لـ" كأنَّ"، وفي "تهاوى كواكبه" من دون أن يكون أراد أن يجعل " تهاوى" فعلا "للكواكب" ثم يجعل الجملة صفة لليل ليتم الذي أراد من التشبيه.[1]

وقد وقّف نفسه للدفاع عن النحو وتبيان خصائصه وارتباطه بنظم الكلام الذي بنى عليه نظريته. وأوضح فكرته بإيجاز في مدخل كتابه "دلائل الإعجاز"... ويكاد الكتاب ينفرد بدراسة الموضوعات النحوية من الوجهة البلاغية...والموضوعات التي عالجها بأسلوب العالم الأديب هي التقديم والتأخير والحذف، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل، والقصر والاختصاص وما يتعلق بها.[2]

وهذه كلها آليات وأدوات لغوية نقدية إن صح التعبير يستعملها الجرجاني لكشفه جماليات الظاهرة الأدبية في نظمها وتركيبها وما يترتب عليه من علاقات دلالية ومعاني نحوية.

ويختلف منهجه عن منهج النحاة في بحثها، كما يختلف في فهمه وتفسيره لهذه الأساليب اختلافا كبيرا، فقد أعطى هذه الموضوعات حياة فقدتها على يد الذين قللوا من قيمة النحو وزهدوا فيه أو نظروا إليه نظرة ضيقة تنحصر في الإعراب والبناء. وكان النحو عنده عمدة البياني الذي يحلل النصوص ويوازن بينها ويفضل بعضها على بعض...فهو في التقديم والتأخير. مثلا: يذكر أن هذا الأسلوب "كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية لا يزال يفترّ لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان".[3]

[1] أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، ص58-59.

[2] المرجع نفسه، ص59-60 .

[3] نفسه، ص60.

من الواضح أن "الجرجاني" اهتم بالنحو وموضوعاته ونزع عنه تلك الصورة النمطية التي ألبسه إياها النحاة المتقدمون عنه، فبث فيه الروح، ولم يبخل هو (النحو)عنه بدوره فأصبح عمدة تحليل النصوص وميزان تفضيل نص أدبي عن آخر لديه.

قد لاحظنا أن "عبد القاهر" استخدم النظم وجعله أساسا للنقد، ومرجعًا في بيان القيمة الفنية من الحسن أو القبح، وجعل من النظم أيضا قواعد تهدي الذوق العربي في الكشف عن درجة الكلام، وبذل في ذلك جهدا عظيما حتى ترسب فكرته في الأذهان وتستقر في العقول.[1]

وبمرور الزمن أهملت نظرية النظم في عصر الشروح والحواشي وحلت محلها البلاغة التعليمية بكل فروعها فتميزت بالمعيارية والجمود ورسم الطرق للعمل الأدبي لا مجال للحياد عنها.[2]

لكن استيقظت من جديد نظرية "عبد القاهر الجرجاني" في النظم بعد سبات واستعملت كأساس وقاعدة يرجع إليها في تناول الأعمال الأدبية بالنقد...فمندور يقرر" أن محاولة إقحام العلم على الأدب فاشلة، لأن الأدب أدق وأرهف وأعمق وأغنى من أن نخطط له طرقه، الأدب مفارقات، ونقد الأدب وضع مستمر للمشاكل الجزئية فقد يكون جماله في تنكير اسم أو نظم جملة...أو خلق صورة، أو التأليف بين العناصر الموسيقية في اللغة، ولقد يخلو من كثير من العناصر الموسيقية في اللغة، ولقد يخلو من الكثير من العناصر التي نُعَدِّدُها كالخيال والعاطفة، وما إليها، ومع ذلك يروقنا لصياغته أو سذاجته.[3]

ونبقى في دائرة ذوق "الجرجاني" إذ يقول: "وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق والوجوه

[1] عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص409.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] نفسه، الصفحة نفسها.

كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا نجد لها ازديادا بعدها، ثم اعلم أنْ ليست المزية بواجبة لها في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها مع بعض...وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش. فكما أنك ترى الرجل قد تهدَّى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأصباغ وفي مواضعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها إلى ما لم يهتد إليه صاحبه؛ فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب وصورته أغرب، كذلك حال الكاتب والشاعر في توخِّيهما معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم".[1]

لابد إذن من الحكم على النظم الذي أمامنا من حيث أنه يجمع بين معان متباينة ونحن بعملنا هذا لا نقف عند الألفاظ، بل ولا عند الجمل، وإنما ننظر في المعنى عند تمامه والفراغ من تأليف عناصره، ننظر في المعنى منظومًا. ومن البين أن الذوق هو الفيصل الأخير في الحكم على هذه الدقائق، وإلى هذا فطن "الجرجاني" بحسه الأدبي الصادق.[2]

وغير مبالغين إن قلنا تفرد الرجل بآليات الكشف عن الجمالية في الأعمال الأدبية فالرجل يوميء إلى الصورة الإجمالية للتراكيب المختلفة والتي يترجمها المعنى.

ويتحكم الذوق إذن عند "الجرجاني" في نظم المعاني التي نعبر عنها، خذ لذلك مثلا تعليقه على أبيات إبراهيم ابن العباس :

فلو إذْ نبا دهر وأنكر صاحب وسُلط أعداء وغاب نصيرُ
تكون على الأهواز داري بنجوة ولكن مقادير جرت وأمورُ
وإني لأرجو بعد هذا مُحَمّـدَا لأفضل ما يرجى أخ ووزيرُ

فإنك ترى من الرونق والطلاوة ومن الحسن والحلاوة، ثم تتفقد السبب في ذلك فتجده إنما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو" إذ نبا" على عامله الذي هو" تكون" وأن لم يقل

[1] محمد مندور، في الميزان الجديد، الناشر مؤسسة هنداوي، ط4، 2020م، ص161.
[2] المرجع نفسه، ص162.

فلو تكون عن الأهواز داري بنجوة إذ نبا دهر، ثم أن قال" تكون"، ولم يقل "كان" ثم أن نَكَّرَ الدهر ولم يقل : فلو إذ نبا الدهر، ثم أن ساق هذا التنكير في جميع ما أتى من بعد ثم أن قال : "وأُنكر صاحب" ولم يقل "وأنكرت صاحبا"، لا ترى في البيتين الأولين شيئا غير الذي عددته لك يجعله حسنا في النظم وكله من معاني النحو كما ترى[1].

وبالإمعان في ملاحظات ناقدنا نجدها ترجع إلى مفارقات في المعاني، وألوان النفس هي التي حددت اختيار الشاعر وضَمِنَت له الجودة: جودة العبارة عما في نفسه بدقة ثم تبصيرنا بالألوان النفسية لتلك المعاني، فهو قدَّم الظرف على عامله، قدم "إذ نبا" على "تكون"؛ وذلك لأنه لم يتمنَّ أن تكون داره بنجوة على الأهواز إلا عندما نبا دهر، وفي هذا النبوِّ ما يحزُّ في نفس الشاعر، وكأني به قد سارع إلى نقصه، ثم هو قد اختار المضارع "تكون" على الماضي "كان"، لأن المضارع هنا نحس في دلالته معنى الحالة المستمرة المنسحبة من الماضي إلى الحاضر فالمستقبل،[2]

والشاعر ودَّ عندما نبا الدهر لو تكون داره على الأهواز بنجوة تكون حتى قبل نبو الدهر، تكون وتستمر كذلك؛ لأن الدهر قد أثبت بِنُبوِّهِ تلك المرة أنه قادر على الغدر في كل حين، ومن الخير أن نقدر ذلك الغدر في كل حين. وإذن المفاضلة بين الماضي والمضارع ليست مفاضلة بين ألفاظ بل بين معانٍ، وعلى الأصحِّ بين حالات نفسية بأكملها، ثم إن شاعرنا قد نكَّر "دهر" وهو بهذا يفرد الدهر فيجعله دهرًا خاصًّا به، دهرا غدَّارًا لا الدهر دهر الناس كافة، نبا دهر ابتلاه به القضاء المحتوم، وإذا كان تنكير الدهر، وهو الشيء الواحد المعرف بوحدته، يفيد الإفراد، فإن تنكير صاحب وأعداء ونصير يفيد الإطلاق ويُشعِرُنَا بضيق الشاعر، فهو يُنكر كل صاحب لِمَا كان من غدر أولئك الصحاب وهو يرى أن كل عدو قد سُلط وأن كل نصير قد غاب، تنكير المتعدد أفاد الإطلاق والأمر في تنكير" مقادير

[1] المرجع السابق، ص163.

[2] المرجع نفسه، ص162.

وأمور" يشبه تنكير"دهر" فهو يُخصصهما بالشاعر ويجعلهما وقفا عليه، وإذن فنحن أمام معانٍ مختلفة وألوان نفسية متباينة ندرك بعضها بعقولنا، ونحس ألطفها بقلوبنا، وهذا الإحساس هو أساس الذوق عند ناقدنا العظيم.[1]

ونظرا لما يتمتع به "الجرجاني" من غزارة الحس الجمالي فتجده ألف كتابا يتضمن تفسيرات جمالية نابعة من حس نقدي انفرد به الجرجاني عن معاصريه.

...وهذا الكتاب الثاني ربما كان أدق كتاب باللغة العربية في الحديث عن ضروب البيان وفيه من التفسيرات الجمالية ما يدل على ذوق نقدي أصيل، وربما كان عيب الكتب التي اعتمدت عليه في البلاغة من بعد أنها جردته من تلك المسحة الجمالية وجعلت قواعده أحكاما صارمة، ليس فيها إحساس الناقد الأصيل، ولا قوة التعليل الذوقي أو الفكري، فهنا يدرس الجرجاني التشبيه والتمثيل والاستعارة وهو يلمح دائما أن "معنى المعنى" يقوم على مستويات متفاوتة في الدلالة والتأثير معًا، بنظرة عميقة شاملة تدل على عمق نفسي فكري في آن.[2]

وقد ألقى "الجرجاني" بين أيدينا أمثلة تدلل على منهجه النقدي المؤسّس.

يقرر" عبد القاهر الجرجاني"–مثلا– أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني كساها أبهة ورفع من أقدارها وشب من نارها وزادها قوة في التأثير النفسي "فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم...وإن كان ذما كان مسه أوجع ومَيسَمُهُ ألذع...وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر..." ثم يتساءل عن السر في ذلك فيجد العلة فيه أن النفوس تأنس إذا هي خرجت من خفيٍّ إلى جليّ ومكني إلى صريح لأنها حينئذ تنتهي إلى حال تكون بها أكثر وثوقا، كأنما تنتقل من العقل إلى الإحساس، ومما يعلم بالفكر إلى ما هو معلوم بالطبع، وهذا التمثيل قد يكون إزالة للريبة بعد مقدمة غريبة كما في قول المتنبي :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دمِ الغزال

[1] محمد مندور، في الميزان الجديد، ص 164.

[2] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص429.

أو قد يكون مبينا للمقدار وإيراد قياسٍ من غيره يكشف عن حده، كما في قول الشاعر:

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانته فروج الأصابع

ومعلوم أن قوة التمثيل في الأول تزيل الغرابة، وأن قوته في الثاني تكشف عن مقدار الحال.[1]

لقد مر بنا أن "عبد القادر الجرجاني" كان صاحب منهج مختلف عن بقية النحاة في تناولهم للنحو وموضوعاته، حيث كان تناولا من زاوية ضيقة تتمثل في البناء والإعراب بينما صاحبنا بث الروح والحياة بعد موت أصابها في تلك الموضوعات فأصبح للتنكير والتعريف والحذف والذكر والتقديم والتأخير...الخ معان خفية كشف عنها بحسه المرهف ونقده الثاقب فأخرجه من دائرة مغلقة إلى الانفتاح، وكأني بالرجل مازج منهجه بشيء من الفلسفة التأملية، وهذا ما حفظ لمنهجه الديمومة والاستمرارية والحداثة رغم قدمه.

فنجد ما يقابل نظرية النظم "الجرجانية" التي تستعمل آليات النحو وأساليبه في النقد والبلاغة، الأسلوبية حيث أنها أيضا إذا قمنا بمقارنة ولو سطحية نجد أن العلمين –نظرية النظم والأسلوبية– يستعملان آليات وأساليب اللغة للوصول إلى ما خَفي، وفتح ما استغلق من تشابك العلاقات في تركيبها ونظمها.

وبما أن الأسلوب هو أحد مباحث الأسلوبية فإنه كان حاضرا في النظرية الجرجانية وذلك من خلال الذوق الذي يسوق الشاعر أو الأديب في نظم المعاني فيكون ختمه الخاص به قد وقع وأبان عن أسلوبه الفردي في ذلك العمل.

سنأخذ في الحديث عن الأسلوب قاصدين وممهدين لربطه بالنقد والبلاغة الجرجانية على أساس أنهم جميعا يستعملون المنهج اللغوي في مباحثهم المختلفة فهناك قاسم مشترك بينهم.

[1] المرجع السابق، ص429– 430 .

لقد ورثنا عن القدماء فنا مُطوَّلًا لتشكيل الجملة على أسس بلاغية عاشت زمنا طويلا، وهذه الأسس هي التي أفرزت لنا معظم اتجاهاتنا النقدية في أخريات القرن الماضي ومطلع هذا القرن. وهي في معظمها توقفت عند الشكل التعبيري ودلالاته، كما أن بعضها أطال الوقوف أمام النسيج اللغوي وما يحويه من معان تخضع للتحليل والتفسير وإن كان هؤلاء وأولئك قد أفادوا بشكل مباشر من منجزات "عبد القاهر" في التحليل اللغوي للظاهرة الأدبية، فكانت العبارة بمثابة نقطة ارتكاز لكل ما قدمَّته الدراسة النقدية والبلاغية.[1]

وإذا كانت البلاغة تُعنى قبل كل شيء بالأسلوب، وهو مجال تلك الصناعة، فإن "عبد القاهر" على هذا من الذي يناوئون ذلك الرأي، ويسيرون في اتجاه مضاد لاتجاه سير البلاغة، ذلك أن البلاغة تفرض أن الأديب لديه ما يقول ثم توقفه على الوسائل الجيدة التي تمكنه من القول على وجه معجب بديع يستطيع به الإبانة والتأثير.[2]

ولكن موضع "عبد القاهر" الحقيقي يجب أن يكون بين نقاد الأدب، وأن يكون في طليعة النقاد العرب، لأن نقده يطوِّف بأكثر جهات الفن الأدبي...ويتسم نقده بالموضوعية في ذلك التحليل المستقصي الذي يتناول فيه الكليات والجزئيات، ويستثير مكامن الشعور، ويحرك الذوق والحاسة الفنية، ويفحص عن الآثار النفسية في الأعمال الأدبية، ومواطن الإبداع في الاستعمال اللغوي وفي نظم الأساليب، مع الاستعانة بمعارفه اللغوية والنحوية وشوبهما بالمنطق والذوق.[3]

وربما لو عدنا إلى ما قاله "عبد القاهر" في النظم لوجدنا عنده دقة حس عندما ألمح لوجود خاصية نحوية لكل نوع أدبي، بل ولكل شاعر مبدع، وهو بذلك يفسح المجال في

[1] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان الشروق، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1،1994 م، ص359.

[2] بدوي طبانة، البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، ص 153.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

النظم إلى الخروج من هذا الإطار الوضعي الضيق، إلى التحرك الواسع، لا في حدود النحو التقعيدي، وإنما في حدود النحو الجمالي، الذي تأتي منه إمكانات لا حصر لها، بل والتي تتيح للمنشيء خلق إمكاناته في بعض الأحيان، وربما كانت (الضرورات) نوعًا من هذا الخلق.[1]

وكأن "عبد القاهر الجرجاني" بقوله هذا يحدثنا عن النحو الوظيفي الذي يَعْتبره الكثير علما غربيًا جديدا، وهاهو "الجرجاني" يتحدث عن وظيفة النحو وهي الوظيفة الجمالية لا الوظيفة التقعيدية ذات نظام ومسار محدد. فالجرجاني تمتع بعقلية عبقرية تَفرَّد بها في زمانه وقطع بها العصور وكأنه يعيش هذا العصر فنجده قد خاض في كل جديد لدينا.

إن نظرية النظم ليست نظرية في البلاغة فحسب، بل هي نظرية شمِلَت النحو والنقد والبلاغة. فالشيخ محى تلك الحدود التي بناها ورسَّخها من سبقه حتى من عاصره من النحاة، حيث أَبَانَ عن تلك الروابط بين تلكم العلوم الثلاثة، حيث أنه لا بلاغة في القول دون توخِّي معاني النحو، ولا تظهر تلك البلاغة ومعانيها إلا أن يكشف عنها الناقد بآلياته اللغوية، فالكل خادمٌ للمعنى.

المبحث الثالث: نقد نظرية النظم

ما من قضية بلاغية أو نقدية في التراث اللغوي العربي إلا وقد أثير حولها جدل، وهذا الذي وقع بالفعل مع نظرية النظم الجرجانية.

أولا: نظرية النظم في ميزان النقد

تعد نظرية النظم "لعبد القاهر الجرجاني" من أهم النظريات التي سطع نورها في القرن الخامس للهجري، فكانت أساس العديد من الدراسات النقدية واللغوية والبلاغية، والناس

[1] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 363-364.

إزاءها ليسوا على مذهب واحد، فقد تعددت وجهات النظر حولها، فمنهم من أيدها واعتمدها وتلقاها بالقبول في مقابل هذا هناك من تعرّض لها ورفضها ولم يعتمدها في حين ظهرت طائفة تتوسط الموقف بين الفريقين.

1- المؤيدون:

إن نظرية "عبد القاهر الجرجاني" في النظم من أهم هذه النظريات التي أيدها واعتمدها كثير من الدارسين، فهم تبنوها وقاموا عليها، ومن أشهر أولئك نذكر:

أ-محمد الولي:

يقول في كتابه مساندة لرأي "الجرجاني" "تحتلّ الاستعارة منزلة مرموقة في أسرار البلاغة. إنها تكاد تستحوذ على الكتاب كله. وهذا الموقف ليس غريبا من "الجرجاني". ألم يعتبرها الأداة الأساسية التي تنقل المعنى من لحظة المادة الغفل إلى المادة المصورة. وبعبارة أوضح أليست الاستعارة هي الأداة الفعالة في تحويل المعاني النثرية إلى معانٍ شعرية. صحيح أن الاستعارة ليست وحدها ما يضطلع بهذا الدور ولكن رغم ذلك فإن دورها لا يقارن بدور أية أداة أخرى. لقد فتن الجرجاني بالاستعارة، وهي أهل بهذا العشق. ولهذا كنا نجد الجرجاني حتى حين يتفرغ لمناقشة الأجناس التصورية الأخرى، لم يكن ينسى مقارنتها بالاستعارة، لقد حصل هذا مع التشبيه ومع التمثيل والمجاز المرسل والمجاز العقلي والكتاب وحتى عندما كان" الجرجاني" يتناول مواضيع تبدو بعيدة عن الاستعارة لم يكن "الجرجاني" يعدم نافذة، هناك يطل منها على الاستعارة كما حصل خلال مناقشة السرقة الشعرية أو عندما ناقش التخييل. هذه الفتنة بالاستعارة قادت صاحب الأسرار إلى وصفها على جميع المستويات اللغوية: الدلالية والصرفية والتركيبة. بل لقد تناولها من زويا المبدع والمتلقي

والشيوع وعدم الشيوع".[1]

ولقد تقاطعت كثير من الدراسات المعاصرة حول الاستعارة مع ما أتى به الجرجاني من قبل، وقد نقل الولي صورة من ذلك إذ يقول:"إن العودة إلى "الجرجاني" هي عودة إلى نص لم يفقد جدّته، نص يثير التساؤلات والمشاكل أكثر مما يقدم أجوبة قاطعة، نص يفتح باب الاجتهاد ويتركه كذلك. ولم يحاول إغلاقه إلا بعض المتأخرين. وهكذا فعندما نحاول الاجتهاد مرة أخرى فإننا نعود إلى سنة عريقة في البلاغة العربية".[2]

ب-محمد مندور:

يتحدث محمد مندور في كتابه عن "عبد القاهر" وفلسفته اللغوية بقوله: "وظهر في القرن الخامس نحوي مفكر عظيم... هو أبو بكر "عبد القاهر الجرجاني" المتوفى سنة 471هـ، فكان هذا الرجل سليم الذوق فقاوم تيار اللفظية أشد مقاومة وقال بأن " الألفاظ خدم المعاني" ورأى "أن في كلام المتأخرين كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ما له اسم في البديع، أن ينسى أنه يتكلم ليفهم، ويقول ليبين، ويخيل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء، وأن يوقع السامع من طلبه خبط عشواء... وفي الحق أن عبد القاهر قد اهتدى في العلوم اللغوية كلها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهميته، مذهب يشهد لصاحبه بعبقرية لغوية منقطعة النظير. وعلى أساس هذا المذهب كون مبادئه في إدراك (دلائل الإعجاز) مذهب عبد القاهر هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، هو مذهب العالم السويسري الثبت "فردناند دي سوسير ferdinand de saussure." [3]

[1] محمد الولي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1،1990م، ص65-66.

[2] المرجع نفسه، ص66.

[3] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص333-334.

يقول هذا هو منهج "عبد القاهر". فلسفة لغوية. ترى في اللغة مجموعة من العلاقات. ونقد يقوم على تلك الفلسفة فيرى " أن الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجهة دون وجه التركيب والترتيب"، ومن ثم فالأساس هو النحو على أن يشمل النحو علم المعاني، وأن يعدوا الصحة اللغوية إلى الجودة الفنية. [1]

ومنهج "عبد القاهر" هو المنهج المعتبر اليوم في العالم الغربي، ولقد جددت الإنسانية معرفتها بتراثها الروحي منذ أن أخذت به في أوائل القرن التاسع عشر والمنهج اللغوي (الفيلولوجي) هو أكثر المناهج خصبا لا في الأدب فحسب، بل وفي كافة العلوم التاريخية.[2]

يشيد الدكتور محمد مندور بعبد القاهر الجرجاني حيث يقول:

أما "عبد القاهر الجرجاني" فقد قلت للأستاذ خلف الله شفويا إنني لا أعدل بكتاب "دلائل الإعجاز" كتابا آخر، وأما أسرار البلاغة" فمرتبته في نظري دون "الدلائل" بكثير. "فالدلائل" يشتمل على نظرية في اللغة وتطبيق تلك النظريات، وأما " أسرار البلاغة" فأقرب إلى الفلسفة النظرية منها إلى النقد الأدبي. فمنهج "عبد القاهر" يستند إلى نظرية في اللغة، أرى فيها ويرى معي كل من يمكن النظر أنها تماشي ما وصل إليه علم اللسان الحديث من أراء. ونقطة البدء نجدها في آخر " دلائل الإعجاز" حيث يقرر المؤلف ما يقرره علماء اليوم من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات (systémed des rappnts). وعلى هذا الأساس العام بنى عبد القاهر كل تفكيره اللغوي الفني. ويستعرض محمد مندور نبذة من كتاب دلائل الإعجاز "لعبد القاهر"، قال: " إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد، وهذا علم شريف وأصل عظيم".[3]

---

[1] المرجع السابق، ص 338.

[2] المرجع نفسه، ص338– 339.

[3] محمد مندور، في الميزان الجديد، نشر وتوزيع مؤسسات ع. بن عبد الله، تونس، ط1، 1988م، ص196.

يثبت محمد مندور رأيه في تحليله لهذا النص ويورد أن الدليل على ذلك أنا إذ زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة إنما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها لأدى ذلك إلى ما لا يشك عاقل في استحالته، وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لنعرفها بها معانيها. [1]

ويعود محمد مندور ليقر بأن نظرية النظم عند "الجرجاني" نظرية كبيرة هامة، وأن دراسة النظم لاتقف عند أمر الصحة بل تعدو، إلى تدليل الجودة: وبعبارة أخرى يمزج "الجرجاني" "النحو" بما سمّاه البلاغيون فيما بعد "علم المعاني"، وله في ذلك حكمة بالغة.[2]

وجملة القول:

- رأي محمد الولي أن "الجرجاني" كان مفتونا بالاستعارة ويعدّها ركنا أساسيا في البلاغة ولا تفارقه أبدا في دراسته لمواضيع وجوانب أخرى حتى إنه ردها بجميع المستويات الأخرى، ووضعها في مكانها مرموقة تبقى خالدة ولا تموت أبدا.
- يرى محمد مندور أن منهج "عبد القاهر الجرجاني" في فلسفة اللغة أنها علاقة قائمة فيما بينها، وأولى الأهمية الكبرى للمعنى دون إهمال اللفظ الحقيقي، فالرجل كان قد ركز على نظم الكلام متجاوزا صراع اللفظ والمعنى معلنا عن بداية عصر جديد في البحث اللغوي حين أومأ لمصطلح البنية.

2- المعارضون:

نظرية النظم للإمام "عبد القاهر الجرجاني" شأنها شأن أي نظرية هامة أحدثت ضجة في الوسط العلمي اللغوي والأدبي، فانكبَّ الدَّارسون على تناولها بالدراسة والتحليل ولِاختلاف رؤى البشر ونظرتهم للعلوم ظهر من يعارض النظرية البلاغية الأهم في القرن الخامس الهجري لعلّنا نذكر بعض منهم فيما يلي:

[1] المرجع السابق، ص201.

[2] المرجع نفسه، ص205.

أ- حازم القرطاجني (684 هـ):

أ-1 يورد الدكتور إحسان عباس رأيه عن "حازم" واختلافه الكبير مع "عبد القاهر الجرجاني" ويبرز أهم نقاط التقاطع بين "حازم" و"عبد القاهر" فيقول: "حازم" ناقد يتحدث عن التجربة الشعرية المستمدة من الواقع، والتي يمكن أن يَرفدَها الخيال والزاد الثقافي؛ وفي هذا يختلف "حازم" اختلافا شديدا عن ناقد كبير آخر هو "عبد القاهر الجرجاني"، فإن "الجرجاني" الناقد جعل الشعر مربوطا بالعقل من جهة المعاني حتى في حالة التّخييل، وبذلك قصر التّخييل على الحيل العقلية في رفع درجة الشيء المخيل إلى درجة المعقول، ومن ثَمَّ كان التلذذ النّاشئ عن تذوق الشعر لديه أمرا عقليا. أما حازم فإنه استطاع لدقته أن يميّز بين الحيل التمويهية والتخيل... واستطاع حازم أن يفصل بين التخييل من حيث هو مظهر عام يساوي المحاكاة، ومن حيث هو عنصر خاص قد يوازي التمويه. كذلك تجاوز حازم في نظريته الشعرية مشكلة (النظم) التي أطال "الجرجاني" الوقوف عندها؛ فتحدث "حازم" عن النظم بمعناه العام ولم يقصره على صورة السياق التأليفي إلاّ حين تخطاه إلى مراحل أخرى؛ فهو قد أقر أنّ النّظم يتناول سياق الألفاظ، ولكنّه أوجد إلى جانبه الأسلوب ليتناول سياق المعنى، وفي توفر النظم والأسلوب والمنزع لدى "حازم" يتم تخطيه لنظرية "الجرجاني"."[1]

أ-2 "حازم القرطاجني" أفرد لبحث الأسلوب منهجا خاصا من كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) المعروف بِاسم (المناهج الأدبية) وجعله مقابلا (للنظم). وإذا كان مفهوم النظم عنده -على خلاف عبد القاهر- شاملا لكل مستويات التأليف من شطر البيت إلى القصيدة، فمن باب أولى يتسع مفهوم الأسلوب ليغطي مساحة النص الأدبي كله. ويوضح "حازم" مفهوم الأسلوب عنده، والفرق بينه وبين النظم بقوله: " لما كانت الأغراض الشعرية يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد وكانت لتلك المعاني جهات فيها توجد ومسائل منها تقتنى كجهة وصف المحبوب وجهة وصف الخيال وجهة وصف الطلول وجهة وصف

[1] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص570.

يوم النوى وما جرى مجرى ذلك في غرض النسيب، وكانت تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات والنقلة من بعضها إلى بعض وبكيفية الاطراد في المعاني صورة وهيئة تسمى الأسلوب. وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ؛ لأن الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة من جهات غرض القول وكيفيّة الاطراد عن أوصاف جهة إلى جهة. فكان بمنزلة النظم في الألفاظ والعبارات والهيئة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها إلى بعض وما تعتمد فيها من ضروب الوضع وأنحاء الترتيب".[1]

ب-ميخائيل نعيمة:

إنّ النفس النقدي لدى مخائيل نعيمة إزاء عديد قضايا التراث اللغوي والنقدي العربي لا يخفى على دارس أو باحث، ومن نافلة القول أن نلفت النظر إلى ما سطره حول نظرية النظم الجرجانية إذ يقول: "ليست الضربة بأن حقولنا لم تنبت لنا سوى زؤان وشوك، بل بأنّنا لا نزال نعدّ ذلك الزؤان قمحا والشوك عشبا صالحا فلا نرى من موجب لتنقية الحقل.

ليست المصيبة أن لا كتّاب عندنا، بل المصيبة أن عندنا زمرة ... من حملة الأقلام ومسودّي الأوراق ندعوهم كتاباً ونقنع بما (يطربوننا) به كلّ ي من التهاني والمراثي والغزل ظانين أن هذا هو جلّ ما وجدت الأقلام لأجله، وأن هذا هو محيط الدائرة التي يقدر الكاتب أن يجول ضمنها مهما كانت مواهبه. فنحن دائما(شاكرون، حامدون، قانعون).

إن الليل الذي غمر شرقنا العربي كلّ هذه السنين كان ليلا أطول من دهر، وأشد حلكا من خافيتي غراب أسحم، بسط جناحيه فوق أطراف أقطارنا وقبض على قلبها بمخالب نسريّة فضيق أنفاسها، وأطبق أجفانها، فاستغرقت في سبات عميق".[2]

[1] شكري محمد عياد، اللغة والإبداع "مبادئ علم الأسلوب"، 5شارع جمال الشاهد- مدينة الصحفيين، ط1،1988م، ص19.

[2] ينظر: ميخائيل نعيمة، الغربال، دار نوفل، بيروت- لبنان، ط15،1991م، ص44-46.

ويواصل ميخائيل نعيمة ناقدا تراث الأقدمين بما فيهم "الجرجاني" حيث يقول: "أي فكر جديد أودعه العقل العربيّ منذ خمسمائة سنة في خزانة الآداب العموميّة فتداولته الألسن، وسهرت فوقه العقول؟ أم أيّ تمثال أو صورة أقامها في متاحف الفنون فاستلفتا الأبصار؟ ... أم أيّ مشروع قام به أوقف العالم متحيرًا؟... أي اسم يقدر أن يضيفه العالم العربي بأسره إلى أسماء قواد الإنسانيّة في أيّ ميدان كان من ميادين هذا البقاء؟

أسمع أصواتاً تنادي وأرى أيدياً تمتدّ نحوي وألسنة تصبّ عليّ النقم والكلّ يقول: "هل نسيت –أو أنت جاهل– أسماء امرئ القيس والنابغة الذبياني ولبيد وعلقمة الفحل وعنترة والمهلهل والمتنبي والهمداني والأخطل وجرير وابن رشد وابن سينا إلخ من الأقدمين وشوقي وحافظ والمطران وكثير سواهم من المحدثين؟".

كلاّ يا سادتي أنا لم أنس هؤلاء كلّهم، بل لا أتجاسر أن أزعج سكينة قبور الراقدين منهم ولا أن أرفع عينيّ الخاطئتين إلى أكاليل الغار وأهلّة النور فوق رؤوس الباقين في قيد الحياة. إنما أهمس لكم همسا كي لا نثير غضبهم إن غثّهم أكثر من سمينهم...

دعونا نجد قوّادا لصفوفنا قبل أن نعطي العالم قوّادا من صفوفنا. دعونا قبل أن نعلّم العالم نجد بيننا من يعلّمنا. دعونا قبل أن نوقظ الآخرين من سباتهم نفتش عن صوت يلذّ لنا سماعه ينادينا بين الآونة والأخرى (هبّوا)!

نحن ممّن يقدّرون ارتقاء الأمم بارتقاء آدابها أو ما يدعوه الغربيون (literature) ولذا كان الكاتب المجيد سواء كان روائياً أو صحفياً أو شاعراً؛ الكاتب الذي يرى بعيني قلبه ما لا يراه كلّ بشر؛ الكاتب الذي يعدّ لنا من كلّ مشهد من مشاهد الحياة درساً مفيداً؛ الذي أعطته الطبيعة موهبة إدراك الحق قبل سواه–هذا الكاتب– هو جلُّ ما نبحث عنه بين طيّات السنين الخوالي فلا نرى له أثراً ونحملق بأبصارنا في حياتنا الحاضرة علّنا نراه فلا نراه".[1]

1 المرجع السابق، ص47–50.

ومن خلال ما تناولناه سابقا عن معارضي نظرية النظم لاحظنا أن معارضتهم لها ما زادتها إلاّ قيمةً وتثمينا في الساحة الفكرية والأدبية واللغوية والنقدية، والمعارض للنظرية ينقدها نقدا مؤسساً ولا نعدم فائدة من تحليله واحتجاجه لآرائه.

3-الموقف الوسط:

من بين هذه المواقف هناك الموقف الوسط الذي ساوى بين الدفتين محاولا التوفيق بينهما، ولم يفرق بينهما موقف الجماعة الذين لم يتأثروا بالعقل الغربي ولم ينسلخوا من ماضيهم، رأوه بمنظور معتدل ومنصف سواء أكان سلبيا أو إيجابيا بنظرة الاعتماد على القديم الذي يكمل الحديث كذلك الحال بالنسبة لإنجازات الغرب بنفس المنظور على أن يأخذ منه لكن بحذر وينتقي منه دون الغرف.

أ-شكري عياد:

يقول شكري عياد في كتابه اللغة والإبداع: فإذا جئنا إلى أفكار أكثر تخصيصا، وجدنا من الموافقات ما قد يدهش له القارئ. فمن المسائل الغامضة في البلاغة وعلم الأسلوب مسألة علاقة الأشكال اللغوية بالفكر. ويمس "بالي" هذه المشكلة مسا رفيقا حين يتحدث عن نظم الجملة بحسب مقاييس النحو، داعيا إلى أن يبدأ البحث النحوي في النظم بالأفكار وينتقل منها إلى الأشكال النحوية، حتى يقترب علم النحو من علم الأسلوب[1]، فيقول:

"إن المنهج الوحيد الموافق للعقل هو البدء من الأحوال النفسية والعلاقات المنطقية التي يفترض أنها موجودة لدى جميع الناطقين في جماعة لغوية ما، والبحث عن أي الوسائل تهيئها اللغة للناطقين بها كي يؤدوا كل واحدة من هذه الأفكار، وكل واحدة من هذه الأحوال، وكل واحدة من هذه العلاقات".[2]

[1] شكري محمد عياد، اللغة والإبداع" مبادئ علم الأسلوب"، ص7-8.

[2] المرجع نفسه، ص 257.

نجد "السكاكي" يقول في انقسام الكلام إلى خبر وطلب، وأنهما لا يحتاجان إلى تعريف: "أما في الخبر فإن كل أحد من العقلاء ممن لا يمارس الحدود والرسوم، بل الصغار الذين لهم أدنى تمييز، يعرفون الصادق والكاذب، بدليل أنهم يصدقون أبدا في مقام التصديق، ويكذبون أبدا في مقام التكذيب فلولا أنهم عارفون للصادق والكاذب لما يأتي منهم ذلك، لكن العلم بالصادق والكاذب، كما يشهد له عقلك... موقوف على العلم بنفس الطلب".[1]

ثم يقول في مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

"لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل... وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادقة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال".[2]

ولا يزعم أن التوافق بين الفكرتين يبلغ حد التطابق، لكننا نزعم أن هناك شبها قويا مرجعه وحدة الموضوع ووحدة العقل المفكر. والأصل الفكري واحد، وهو أن أشكال الكلام تتبع أغراض المتكلم، ولذلك يقترح "بالي" تبويبا جديدا للنحو (الفرنسي أو ما يماثله) بحسب أغراض المتكلم، لا بحسب أشكال التعبير كالمتتبع إلى وقتنا هذا. وكأن "بالي" يطلب نمطا من النحو الفرنسي يماثل علم المعاني عندنا. على أننا نبادر إلى القول بأن اتخاذ المقارنة طريقا إلى الرغم بأن الثقافة الغربية سبقت ثقافة العرب إلى كذا وكذا... فإنما سبقنا هذا المثل كي نؤنس القارئ بأسلوبنا في الجمع بين أقوال البلاغين العرب المتقدمين وأقوال الأسلوبين الغربيين المعاصرين على صعيد واحد كما تيسر لنا ذلك.

[1] المرجع السابق، ص8.

[2] المرجع نفسه، ص90.

من خلال حديث عياد شكري يتبين لنا أن هذا الكتاب جاء بعد "دائرة الإبداع" فاختلف عنه؛ لأنه رسم دعائم لعلم جديد، فلذلك سمي بـ" مبادئ علم لأسلوب العربي" كما سميناه أو "أصل البلاغة العربية".[1]

ومن خلال المقارنة التي تناولها، عياد شكري في كتابه اللغة والإبداع تبين لنا أن ما أخذه عن الفرنسي "شارل بالي" حين تحدث "عن نظم الجمل بحسب مقاييس النحو" أعطى لنا مفهوما يربط علاقة النحو بعلم الأسلوب، وأن كل شخص ليعبر عن حاله وما في نفسه تكون في تلك الأفكار التي عبر عنها وفق تلك العلاقات الموجودة بينها، ومدعما ذلك بأحوال فأما عن الخبر فإنه يحتمل الصدق والكذب، وأما عن الطلب فهو العكس، وهنا عقل الإنسان هو الذي يحكم بينهم، وأن لكل مقام مقالا: وهنا نجد التطابق بين الأقوال في وحدة الموضوع ووحدة العقل والمفكر، أي الفكر واحد ولكن حسب غرض المتكلم، وهنا نجد ما يرغب إليه "بالي" من النحو وعلم المعاني عندنا وتظهر العلاقة بين العرب القدامى والغرب الأسلوبين في السير في اتجاه واحد.

وخير دليل على ذلك كتاب سمته العرب قديما "أصول البلاغة العربية" واسمه حديثا "مبادئ علم الأسلوب العربي" وهذا الكتاب يبرز علاقة القديم بالحديث.

ب-شوقي ضيف:

يقول شوقي ضيف في مجلة النقد الأدبي فضول مشكلات التراث: " ومما يدل بعمق على إحساس الأمة بوحدة هذا التراث وأنه يتشبث بذاتيتها وشخصيتها أننا نجد عرب الأندلس يتمسكون به، ولا يحاولون أي محاولة في الاستقلال بحركة علمية أو فلسفية أساسها الترجمة عن اللاتينية كان تراثها معروفا في الأندلس قبل دخولهم إليها، غير أنهم لم يفكروا في نقل هذا التراث إلى العربية، وكأنهم آثروا التمسك في قوة بالتراث المترجم المشرقي وما

[1] ينظر: المرجع السابق، ص9.

أضاف إليه علماء المشرق وفلاسفته، مما أحاله تراثا للأمة، تراثا مشتركا، لا تختص به بلدة دون بلدة، ولا فيلسوف دون فيلسوف، ولا عالم دون عالم في محيط الأمة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب".[1]

وبذلك كانت الفلسفة العربية فلسفة مشتركة، وبالمثل كان العالم العربي علما مشتركا، بحيث يحمى العالم العربي إحساسا قويا بأنه حلقة في سلسلة متصلة، وهي سلسلة كما تصله بأسلافه تصله بمعاصريه. [2]

ومما يوضح هذه الوحدة ففي التراث العربي شعرا ونثرا ما أشرنا إليه في حديثنا من المذاهب الفقهية وعلوم الأوائل من كتب التراجم، فقد ترجم الأسلاف لكل أصحاب مذهب فقهي على حدة، وجمعوا أصحاب علوم الأوائل مما في كتب خاصة بهم، وأفردوا كتب لتراجم المعبرين والقراء والمحدثين أو الحفاظ للحديث النبوي والنحاة، فكل فئة علمية أفردوها أو خصوها بكتب تترجم لأصحابها دون ملاحظة بلدتهم وعصرهم لا فرق بين علماء بلد وبلد.[3]

يرى شوقي ضيف في هذه المجلة أن التراث مشترك بين جميع الأمم وحين جمعه لم تختص به بلد معينة ولم ينتسب لأصحاب معينين حتى يحدد منبع ذلك التراث بل كان مزيجا مختلطا لعالم واحد.

هذا، وإن لم يصرح بعضهم أنه قد وقف موقفا وسطا إزاء "الجرجاني عبد القاهر"

ونظريته في النظم إلا أننا نستشف ذلك من خلال كتاباتهم ومقالاتهم المبثوثة في الكتب والمجلات والدوريات المختلفة.

---

[1] شوقي ضيف، وحدة التراث، فصول مجلة النقد الأدبي – مشكلات التراث– مجلة تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة التراثية، العدد:1، أكتوبر 1980م، المجلد:1، ص14.

[2] المرجع نفسه، ص15.

[3] نفسه، الصفحة نفسها.

ثانيا: الملاحظات على نظرية النظم الجرجانية

ما من عمل إنسانيّ إلاّ ويستدرك عليه ما يستدرك، ولم تخرج نظرية النظم الجرجانية عن هذا الأمر، وقبل الولوج إلى مثل هذا نعدّد بعض ما حمد عليه الجرجاني بهذا الصنيع.

1- إيجابيات نظرية النظم:

تعد نظرية "عبد القاهر الجرجاني" من أهم النظريات التي درست في القديم وحينت في الدراسات اللغوية والنقدية الحديثة، حيث لا يمكن أن ينكر فضلها عاقل، وبالتالي نلخص إيجابياتها ونتائجها في النقاط التالية:

أ-إن نظرية "الجرجاني" اللغوية التي انطلقت من اعتبار أن الوظيفة الأساسية للغة تتجلى في استخدامها كوسيلة لاتصال الناس ببعضهم تبين ارتباط المعاني في النحو. بالدلالات العقلية لمعاني الكلم، وتبين أن نظم الكلم هو توخي معاني النحو.

ب-إن تعبير (نظم الكلم) الذي يستخدمه الإمام الجرجاني يقابل (الأسلوب) .[1]

ج- إن نظرية الجرجاني التي تضمنها كتاب "دلائل الإعجاز في علم المعاني" هي نظرية لغوية تطرقت إلى فلسفة اللغة وبيان ارتباطها بالتفكير، وبحثت في نشأة اللغة ووظيفتها الأساسية كوسيلة لِاتصال الناس ببعضهم البعض وفي ضوء ذلك حددت نظرية "الجرجاني" معنى الفصاحة والبلاغة وشرحت مفهوم نظم الكلم ومعاني الكلام.[2]

د- والرائي إلى ما جاء به "الجرجاني عبد القاهر" في النظرية يجده موافق لما أتى به تشومسكي في GTG (النظرية التوليدية التحويلية) من بعد.

هـ-إشارته إلى الوظيفة التواصلية للغة مع تلميحه إلى المنهج البنيوي في وقت مبكر جدّا.

[1] جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني "نظرية الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث"، دار الجليل، ط1، دمشق، 1400 هـ-1980م، ص 144.

[2] المرجع نفسه، ص 142.

و- أشار "الجرجاني" إلى أن القصد أو الغرض من الكلام هو إعلام السامع شيئا جديدا لا يعلمه. وتشير المدرسة البنيوية الوظيفية إلى أن الجملة الخبرية كوسيلة للاتصال يجب أن تعلم السامع ما يعتبر بالنسبة له جديدا في الموقف أو المقام الراهن.[1]

ز- انطلقت نظرية الجرجاني من اعتبار أن الجملة هي الوحدة اللغوية الأساسية وكذلك اعتبر تشومسكي الجملة وحدة لغوية أساسية، وهذا ما يوضّح اعتمادها على النحو أولا وأخيرا.

ح- تمييز" الجرجاني" في الجملة بين البنية الظاهرية والبنية العميقة وأشار إلى القواعد التحويلية التي تربط بينهما. [2]

ط- بمجيء "الجرجاني عبد القاهر" تطورت قضية الإعجاز القرآني.

ي- بيان مدى العلاقة بين النظم والنحو وإلى أي حد استفاد "عبد القاهر الجرجاني" من النحو في إرساء قواعد هذه النظرية ورفع بنائها حتى صارت بنيانا شامخا يأخذ بمجامع القلوب ويسلب العقول.

ك- حوّل الدراسات القديمة من دراسة اللفظ استقلالاً إلى دراسته باعتبارها جزءا من تركيب ما.

ل- جعل من النظم أيضا قواعد تهدي الذوق العربي في الكشف عن درجة الكلام وبذل في ذلك جهدا عظيما حتى ترسو فكرته في الأذهان وتستقر في العقول. [3]

م- إشارته إلى اعتباطية علاقة اللفظ بالمعنى أو الدال بالمدلول.

لقد رصدنا مجموعة من مظاهر الالتقاء بين فكر "عبد القاهر الجرجاني" وبعض الآراء اللسانية الحديثة مثل ما هو عند "نعوم تشومسكي" فلا يمكن إغفال نظرية النظم في تراثنا اللغوي والبلاغي، وها هي هذه النظرية، رغم ما مر عليها من قرون، تخدم اللسانيات

[1] المرجع السابق، ص 121.

[2] المرجع نفسه، ص 120.

[3] عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص 126.

الحديثة، وتحمل في طياتها مفاهيم الحداثة وتجلياتها، فقد عمدت في هذا البحث إلى إنجاز قراءة في(دلائل الإعجاز) "لعبد القاهر الجرجاني"، وقراءة أخرى في النظرية التوليدية التحويلية" لتشومسكي" للكشف عن حضور نظرية النظم في النحو التوليدي.

إنّ ما تيسّر لنا جمعه وإدراكه من مزايا نظرية النظم الجرجانية ليعدّ قليلا من كثير، فهو مثلاً قد تقاطع مع عديد النظريات اللغوية الحديثة، وما من لغويّ أو لساني إلاّ وقد طرق بابه عساه أن يظفر بما يعينه على بحثه.

2- سلبيات نظرية النظم:

رغم ما حظيت به نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني إلاّ أنّ هناك جانباً مخلاً في هذه النظرية عددناه على شكل مواقف سلبية نطرحها في ما يلي:

أ-لا يتمارى اثنان في نجاح الإمام "عبد القاهر الجرجاني" في تأسيس نظرية النظم، وهو الرجل الذي عرف بأنّه أول من ربط البلاغة بالنحو على إثر تأسيس النظرية البلاغية النقدية في الحكم على الأعمال الأدبية، لكن هذا الأمر لا يمنع من سقوطه في بعض المزالق التي قد لا يتفطّن لها إلا بعض الحذقة. فمثلا: إسرافه في الحديث عن ألوان البيان المختلفة من استعارة وتمثيل وكناية ومجاز، والمقصود هنا التكرار الذي قد يظهر اضطراب الرجل في بعض المباحث والقضايا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يختصر في موضع الإبانة والتفسير فيكتنف الموضوع المراد معالجته الغموض، ناهيك عن إدخاله النحو في البلاغة إدخالا غير سليم، ويقول كامل الخولي- وقد عاب عليه-: " تفريقه الحديث عن اللفظ والمعنى والمجاز والاستعارة وتكرار تعريف النظم والمجاز والاستعارة، واختصاره في مقام الإبانة والشرح حيث لم يعقد الموازنات بين الأبيات التي اتفق لفظها واختلف معناها بما يعود بالفائدة على النقد والبلاغة ولكنه عدّد أيضا من مآخذ "عبد القاهر" أنه أدخل النحو في البلاغة، فكان لهذا التداخل أثره في اضطراب منهج المادة

المقصودة بالدرس... وما حطم بلاغة المتأخرين شيء كما حطمها هذا التداخل الذي أسرفوا فيه وأساء إلى طريقتهم".[1]

ب-التطبيق الجزئي أو الناقص الذي لا تتضح فيه الرؤية البلاغية والنقدية، وهذا الأمر في الحقيقة هو غير محصور عند الإمام "عبد القاهر" وحده، بل هو يكاد يطرد عند النقاد العرب من قدامى ومحدثين على السواء، وانظر إلى ما قد قاله الخولي في ذلك: " إن عبد القاهر حين طبق نظرية النظم على الأمثلة لا نراه يتعدى الجملة أو الجملتين أو الجمل كما في الفصل والوصل. ولا يتجاوز ذلك إلى القطعة الكاملة أو القصيدة التامة".[2]

ج- تأثر الدرس البلاغي بمنهج القدماء في النقد وغيره.

د-النظرة الضيقة في المعالجة عند العرب القدماء عموماً و"الجرجاني" على وجه الخصوص، فمعلوم أنّ المغالاة في توخي معاني النحو قد تقود المنظرّ نحو حصر المعالجة في الجملة دون النص؛ لأنها هي موضوع النحوي من قدم. يقول الخولي مومِئا إلى هذا الأمر الذي أثار حفيظة كثير من الدارسين: "...وفي هذا المجرى الضيق الشديد الضيق سكنت البلاغة في ركود إلى عصرنا هذا، حتى أصابها العطب، دون محاولة جديدة لاتساع مجالها إلى ما هو أكثر من الجملة أو الجمل".[3]

هـ-وإذا ما تأملنا كتاب "الجرجاني" وجدنا أن فصوله تبدوا في ظاهرها عديمة الارتباط مشتتة الأجزاء فيها كثير من التكرار، ويبرز تكرار المثال الواحد والشواهد في عديد من الصفحات مثلا: (جملة ضرب زيد عمرا يوم الجمعة تأديبا له) كان من الأجدى تغيير المثال كي لا يبعث السأم في النفوس، مع مراعاته عدم الإخلال بالهدف في تأسيس النظرية.

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص411.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص411-412.

[3] ينظر: نفسه،412.

و- ويهتم "عبد القاهر" بالفلسفة اللغوية أكثر من اهتمامه بالفلسفة الجمالية التي يرتكز عليها النظم، ونلمس هذا في إيراده للأمثلة حين يقيم الفروق بين خبر وآخر: (زيد منطلق، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد).

ز- فالإمام في تقسيمه للاستعارة قد ساهم في دفع المتأخرين على الإفاضة فيها وعلى الاسترسال في التمحلات والإسراف في الأخذ بها.[1]

ح- إن دراسة "عبد القاهر" لوحدة اللغة لم تكن دراسة كاملة تماما، فقد هوت من بين يديه بعض المسائل الهامة وعلى الأخص مسألة الصوت والوزن والإيقاع. ونؤاخذ عليه إغفاله الجانب الصوتي حيث لم يعره اهتماما، بل كان يجب عليه أن يكشف علاقة الأصوات باللغة ووظيفتها في أداء المعنى.[2]

ط- والمتأمل لكتابه (أسرار البلاغة) يلحظ أنه لا يتحدث في قضية الإعجاز بكثير ولا قليل، بل لا يستشهد بالقرآن على نسبة كافية، وكأنه يتحرى ترك ذلك. كما يبدو أسلوبه فيه خاليا من الأسلوب المنطقي الاستدلالي ميالا إلى طول النفس وبساطة العبارة .[3]

ويوضح محمد بركات حمدي أن المتبع لمؤلفات عبد القاهر في الرسالة الشافية والدلائل أيضا يلاحظ قلة الشواهد والآيات القرآنية وتحليلها، وهذه الملاحظة قد وقف عليها الأستاذ أمين الخولي وتابعه في هذه الملاحظة الدكتور مصطفى ناصف، ويرى الرأي نفسه الدكتور أحمد البدوي.[4]

---

[1] المرجع السابق، ص 414-415.

[2] ينظر: محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، 1979م، ص (212، 329، 333، 339).

[3] ينظر: محمد خلف الله، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، دار لجنة التأليف والترجمة، (د ط)، 1366هـ-1947م، ص77.

[4] ينظر: محمد بركات حمدي أبو علي، معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، الأردن-عمان، ط1، 1405هـ-1984م، ص14-15.

ولتوثيق هذا الرأي قمنا بإحصاء الآيات القرآنية التي استخدمها "عبد القاهر الجرجاني" في رسالته وكتابيه، فكانت كالآتي:

- ورد في الرسالة الشافية ثمان آيات من خمس سور. وتقع هذه الرسالة في خمس وأربعين صفحة من القطع المتوسط.
- وفي كتاب (دلائل الإعجاز) يورد "عبد القاهر" مائة وستا وستين آية، في خمس وأربعين سورة، ويقع كتاب الدلائل في حدود ثلاث مائة وأربع وستين صفحة من القطع المتوسط، وقلة ورود الآيات، وعدم التعرض إلى تفسيرها، أمر واضح في هذا الكتاب.
- وفي كتابه(أسرار البلاغة) نرى أن "عبد القاهر" قد أورد تسعاً وثلاثين آية من خمس وعشرين سورة، وهذا يفسر ما ذهبنا إليه: من أنّ عبد القاهر، ما انشغل بتفسير البيان القرآني، ولكنه اهتم بتفسير الوسيلة وإيضاحها.

يتبدى لنا مما سبق أن "عبد القاهر" كان معنيا بأمر تفسير طريقة العرب في فهم البيان القرآني، لا لدراسة الإعجاز.[1]

ومن المعروف أن في أي نظرية هامة مهما كانت لها من ميزات لابد أن يتخللها بعض العيوب، وإن كان كل ما طرحناه لا ينقص من قيمة هذه النظرية وفي ما أضافته في الساحة الفكرية والأدبية، ويتأتى ذلك من خلال القيمة البالغة التي لعبتها النظرية ومن خلال تطابقها مع البحث اللساني الحديث.

كما أنّ إحصاء الملحوظات إزاء النظرية الأبرز في البلاغة والنقد خلال القرن الخامس الهجري لا ينقص من قيمتها، بل يقدّم لها الإضافة عسى أن يوفق المتأخرّ في سدّ الثغرات الواقعة بها.

[1] ينظر: المرجع السابق، ص17- 18.

الخاتمـــــــة

خاتمـــــــــــــة:

وبعد هذه الجولة الطويلة لم يتبق لنا إلا كلمات قليلة تشير لأبرز النقاط التي خلصت إليها هذه الدراسة وقد جاءت كالآتي:

- ✓ تعددت التعريفات للبلاغة العربية، إلا أنها تصب في اتجاه واحد وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.
- ✓ إن البلاغة قبل زمن العلاّمة " عبد القاهر الجرجاني" من العلوم العربية، التي اجتمعت لها جملة من البواعث والدوافع، استدعت نشأتها كعلم وكفلت له أسسه ومبادؤه، وفي مقدمتها الأسباب الدينية، والذوقية الجمالية، ثمّ العامة، غايتها جميعا تأسيس علم يكشف أسرار النص القرآني ويحافظ على سلامة الذائقة، والحس الفني في كلام العرب وفي إبداعاتهم.
- ✓ تمحورت البلاغة قبل الإمام " عبد القاهر الجرجاني" حول علمي البيان والمعاني، وقد كانت قضية اللفظ والمعنى السبب الرئيس في تطور الدرس البلاغي العربي عموما.
- ✓ إن الدارس لتاريخ البلاغة العربية يكشف على إسهامات طائفة كبيرة من العلماء الأفذاذ الذين كانت لديهم بصمات واضحة في تشكيل هذا العلم الجليل قبل الإمام "عبد القاهر الجرجاني"، حيث تبلورت هذه الإسهامات في شكل آراء وتآليف ورسائل مختلفة فجاءت بين متخصص وغير متخصص.
- ✓ إن أهم ما ميز الدراسات البلاغية قبل الإمام "عبد القاهر الجرجاني " الخوض في قضية اللفظ والمعنى إلى حدّ التنازع، كما أنها اهتمت بالفصاحة وأسبابها.
- ✓ فكرة النظم ليست وليدة الإعجاز القرآني كما يظن البعض، بل هي ممتدة عبرة العصور، وقد لمح أرسطو (384–322ق م) إليها في كتابه فن الشعر.
- ✓ ارتباط نظرية النظم الجرجانية بقضية الإعجاز القرآني، وتفسيرها واعتناؤها بكتاب الله وخدمته، كان سببا مهما في بروزها في عالم المعرفة اللغوية.

- ✓ استكمال الجرجاني نقائص سابقيه إزاء قضية اللفظ والمعنى، وفكه للنزاع حولها، وحسم الأمر باعتماد النظم.
- ✓ إن النحويين يرون أن النظم ضبط أواخر الكلمات المكونة للجملة، بينما يرى النقاد أن النظم في ترابط وتلاحم أجزاء الكلام، أما البلاغيون فيرون أنه حسن اختيار الألفاظ مع جودة التركيب لإقامة المعنى.
- ✓ يتقاطع علم النظم مع باقي الفنون البلاغية في كونه يرصد حسن البيان وبراعة التعبير ومتانة الربط بين أجزائه، واستخدام الألفاظ المختارة المنتقاة، ووضع الكلمة في مكانها، بحيث يؤدي تغيير مكانها إلى فساد المعنى المراد.
- ✓ رجح الجرجاني قوله في قضية اللفظ والمعنى إلى أسبقية المعنى عن الألفاظ لقوله (أوجب المعنى أن يكون أولا في النفس، ووجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق).
- ✓ التطبيق الجزئي –غير المكتمل– لنظرية النظم الجرجانية إزاء الأعمال الأدبية.
- ✓ إن التطبيق الجزئي الذي أجراه الإمام إنما هو حجر الأساس ولبنة البداية لمن يجيء بعده، لأن تحليل البيت أو البيتين يؤول إلى تحليل القصيدة، وتحليل الآية و الآيتين يؤول إلى تحليل السورة.
- ✓ حملت طائفة من الأعلام بعد" الجرجاني" على عاتقها مسؤولية تطوير الدرس البلاغي، سواء كان من الناحية التطبيقية كما فعل "الزمخشري" في معالجة النص القرآني تفسيرًا، أو من ناحية التبويب والتفريع فلا يخفى على دارس أثر "السكاكي" في ذلك.
- ✓ إن دراسات المحدثين حول نظرية النظم التي لا يمكن إحصاؤها لأكبر دليل على أهمية النظرية ومدى قيمتها العلمية.

- ✓ تمَّ حسم الجدل القائم بين النقاد والبلاغيين حول انتماء مصطلح نظرية النظم، ومفاد هذا الجدل متمثل في أن كل فريق يرجح الكفة لصالحه، وانتهى أخيرا بأن مصطلح النظم يتماوج بين البلاغة والنقد ولا يمكن الفصل بينهما.
- ✓ جعل عبد القاهر الجرجاني النظم أساسا لِتيبيان القيمة الفنية للعمل الأدبي.
- ✓ كانت نظرية النظم وأسسها بمثابة الدليل عن الذوق الأدبي العربي الرفيع.
- ✓ اتَّخذ النقاد والبلاغيون من نظرية النظم مرجعا لهم وميزانا تُوزن به جماليات النص الأدبي.
- ✓ لعلّ أهم رابط بين اللغة والنقد هو رابط اللفظ والمعنى، حيث نجد اللفظ متعلقًا باللغة، والمعنى محور الدراسات النقدية.
- ✓ يعتبر الجدل الذي أثير حول نظرية النظم امتدادا طبيعيا لقضية اللفظ والمعنى، وعليه قد تباينت آراء الدارسين حولها بين مؤيد ومعارض وموفق بين هذا وذاك.
- ✓ ومن المعلوم أنّ عمل الإنسان معرض للنقد والاستدراك، ولم يحد صنيع عبد القاهر الجرجاني عن هذا الأمر، وأهم ما لوحظ عليه أنّه أهمل الجانب الصوتي في الدراسة، وكذا عدم الاهتمام بالمحسنات اللفظية.

ومهما يكن من أمر فإنّ الرّجل قد أجاد في الدّرس البلاغي العربي حيث أبدع نظرية مكتملة قائمة بذاتها، وقد نجح في تطويرها من فكرة إلى تأسيس فتطبيق كافل لكشف أسرار البلاغة في القرآن الكريم والأعمال الأدبيّة.

الملحق:

بناة نظرية النظم :

نورد في هذا الملحق أهم الشخصيات التي كان لها الأثر البالغ في بناء نظرية النظم منذ كونها فكرة إلى التأسيس.

العالم	اسمه وكنيته	تاريخ ولادته وتاريخ وفاته	أهم المراجع التي ذكر فيها النظم
- **سيبويه**	- هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بسيبويه.	- توفي سنة 180هـ	- كتاب "الكتاب"
- **الجاحظ**	- هو أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب الكنائي، المعروف بالجاحظ.	- ولد سنة 150هـ - توفي سنة 180هـ	-كتاب "البيان والتبيين" -كتاب "الحيوان"
- **ابن قتيبة**	- هو أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعروف بابن قتيبة.	- ولد سنة 213هـ - توفي سنة 276هـ	- كتاب "تأويل مشكل القرآن" -كتاب "أدب الكاتب"
- **إبراهيم بن المدبر**	- هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر، المعروف بابن المدبر.	- ولد سنة 195هـ - توفي سنة 279هـ	- كتاب "الرسالة العذراء"

- **المبرد**	- هـو أبـو العبـاس محمد بـن يزيـد المبـرد، المعروف بالمبرد.	- ولد سنة 210هـ - توفي سنة 286هـ	-كتاب "البلاغة"
- **الطبري المفسر**	- هو أبو جعفر محمد بن يزيـــد بن جريـر بن كثـــير الطبري، المعروف بالطبري.	- ولد سنة 224هـ - توفي سنة 310هـ	- كتاب "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"
- **ابن طباطبا**	- هو أبو الحسن محمد بـــن أحمـد بـن محمد بـــن إبراهيم طباطبا العلــوي، المعــروف بابن طباطبا.	- تـوفي سـنة322 هـ	- كتاب"عيار الشعر"
- **الرماني**	- هو أبو الحســـن علـــي بـن عيسـى الأخشـــــــــيدي الرمانـــي، المعروف بالرماني.	- تـــوفي ســـنة 386هـ	- كتـاب "النكـت فـي إعجاز القرآن"
- **الخطابي**	- هـــو أبـــــو سليمـــان حـــمد بـــن محـــمد بـن إبراهـــيم الخطابي البســتي، المعــروف بالخطابي.	- تـــوفي ســـنة 388هـ	-كـــتاب"بـيـــان إعجـــار القـــرآن"
- **أبـــــو هـــلال العسكري**	- هـو أبـو هـلال الحسن بـــن عبد الله	- تـــوفي ســـنة 395هـ	- كتاب "الصناعتين"

	بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، المعروف بأبي هلال العسكري.		
- الباقلاني	- هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني البصري، المعروف بالباقلاني.	- توفي سنة 403هـ	- كتاب "إعجاز القرآن" - كتاب "الانتصار للقرآن"
-القاضي عبد الجبار المعتزلي	- هو ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، بالقاضي عبد الجبار.	- توفي سنة 415هـ	- كتاب "المغني في أبواب التوحيد"
-عبد القاهر الجرجاني	- هو عبد القاهر بن الرحمان بن محمد أبو بكر الجرجاني، المعروف بعبد القاهر الجرجاني.	- توفي سنة 471هـ أو474هـ	- كتاب "دلائل الإعجاز" - كتاب "أسرار البلاغة"

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ثانيا: كتب التفسير

1- الزمخشري، تفسير الكشاف، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط3،1430هـ-2009م.

2- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المكتبة التجارية الكبرى، تحقيق: أبي عبد الله الداني بن منيرال زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ- 2006م، الجزء1.

3- الطبري ابن جرير، تفسير الطبري من كتاب جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1415هـ-1994م.

4- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق: محمود شاكر، تصحيح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، (د ت)، مجلد16.

5- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ط)، 1984م، الجزء1.

6- عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم-منسوب-دراسة وتحقيق: طلعت صلاح الفرحان ومحمد أديب شكور، دار الفكر ناشرون وموزعون، الأردن-عمان، ط1، 1430هـ -2009م، الجزء2.

7- الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار الكتب البصرية بالقاهرة، ط 1، 1374هـ- 1955م،ج1.

8- ابن كثير القرشي الدمشقي الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار ابن الحزم، (د ط)، (د ت).

ثالثا: كتب الحديث النبوي الشريف

1- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار بن كثير للطباعة والنشر والتوزيع دمشق- بيروت، ط 3، 1423هـ- 2002م.

2- عبد المحسن بن حمد العباد البدر، فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب، دار عمر بن الخطاب، القاهرة، ط1، 1429هـ-2008م.

3- موسى شاهين لاشين، المنهل الحديث في شرح الحديث، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1424هـ-2003م، الجزء2.

رابعا: كتب الغريب

1- الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وإعداد: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د د)، (د ط) ،(د ت)،ج 1.

2- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث بالقاهرة، ط2، 1393هـ-1973م.

خامسا: الكتب العامة

1- إبراهيم سلامة بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مكتبة الأنجو المصرية، ط1، 1369هـ-1950م.

2- ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، (دط)، (دت).

3- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب .نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن هجري، دار الثقافة بيروت -لبنان، ط4، 1404هـ-1983م.

4- أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، مكتبة مصر، القاهرة - مصر، (دط)،(دت).

5- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر، (دط).

6- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب ، دار الثقافة ببيروت- لبنان ، (دط) ، 1972م.

7- أحمد مطلوب، البحث البلاغي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد ـ الجمهورية العراقية، (د ط)، 1982م.

8- أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، دار التضامن، بغداد، ط1، 1384هـ- 1964م.

9- أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1393هـ-1973م.

10- أحمد مطلوب، وكامل حسن، البلاغة والتطبيق، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ط2، 1990م.

11- الباقلّاني أبو بكر ، إعجاز القرآن، مطابع دار المعارف بمصر، (د ط)، 1971م.

12- الباقلّاني أبو بكر ، الانتصار للقرآن تحقيق: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت، لبان، ط1، 1422هـ-2001م.

13- بدوي طبانة، البيان العربي، مطبعة الرسالة، مصر ،ط2، 1377هـ-1958م.

14- بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، مؤسسة المختار، دار المعالم الثقافية، للنشر وللتوزيع، القاهرة، ط1، 1998م.

15- بكري الشيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد،ج2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

16- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، (دط)، 1944م.

17- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1418هـ- 1998م.

18- ثعلب، قواعد الشعر، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 1، 1995م.

19- الجاحظ، أبو عثمان عمر وبن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، تحقيق درويش، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د ط)،2001م.

20- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (د ط)، (د ت).

21- الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2،(د ت).

22- جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني "نظرية الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث"، دار الجليل، ط1، دمشق، 1400 هـ-1980م.

23- حاتم الضامن، نظرية النظم تاريخ وتطور، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، (دط)، 1979م.

24- حاتم الضامن، نظرية النظم، دار الحرية للطباعة بغداد، (د ط)، 1399هـ- 1979م.

25- حمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغي، دار منشاة المعارف، الاسكندرية، ط3، (د ت).

26- أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، مراجعة: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، (د ط)،1432هـ-2011م، الجزء01.

27- خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009م.

28- الرازي فخر الدين ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق نصر الله حاجي مفتي أوغلى، دار صادر، بيروت، ط1، 1424هـ- 2004م.

29- الزوزني أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات العشر، دار المدار الإسلامي، ط1، 2002م.

30- سعد سليمان حمودة، دروس في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، (د ط)، 1999م.

31- سفر الحمداني، الأمثال والحكم العربية في خدمة الدّاعية، (د د)، ط1، 1432هـ ـ 2011م.

32- سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1408هـ- 1988م.

33- شرح ديوان امرئ القيس، جمع وتحقيق: حسن السندوبي، مراجعة وشرح: أسامة صلاح الدين، دار إحياء العلوم، بيروت ـ لبنان، ط1، 1410هـ ـ 1990م.

34- الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، مطبعة المعارف، بغداد-العراق،(د ط)، 1375هـ - 1995م.

35- شكري محمد عياد، اللغة والإبداع "مبادئ علم الأسلوب"، مدينة الصحفيين، ط1، 1988م.

36- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف الإسكندرية بمصر، ط 9، 1995م.

37- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف الإسكندرية، ط8، (دت).

38- الصاحبي، ابن فارس، فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامهم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1418هـ ـ 1997م.

39- صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، (دب)، (د ط)، (د ت).

40- صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط4، 2014م.

41- ابن طباطبا، عيار الشعر، عيار الشعر، شرح وتحقيق: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ-2005م.

42- عاطف فضل، البلاغة العربية للطالب الجامعي، دار الرازي، ط1، 1426هـ - 2006م.

43- عبد الرحمان حسن حبنكة الميراني، البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، دار القلم، دمشق، حلبُونِي، ط 1، 1416هـ ـ 1996م.

44- عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، جامعة قازيونس- بنغازي، (دب)، ط1، 1997م.

45- عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين، عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ- 1993م.

46- عبد العزيز عبد المعطي، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1405هـ- 1985م.

47- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، (دط)، 1985م.

48- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية ـ علم المعاني، البيان، البديع ـ دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، (د ت).

49- عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،(دط) ، 1998م.

50- عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب، القاهرة، (د ط)، 2001م.

51- عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب، القاهرة، ط 2، 2000م.

52- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، علق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، (دط)، (دت).

53- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: شاكر، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، (دط)،(دت).

54- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط)، (دت).

55- عبد المعطي شعراوي، النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، مكتبة الأنجو مصرية، القاهرة (دط)، 1999م.

56- عبد الواحد حسن الشيخ، المدخل إلى البلاغة العربية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، كلية التربية، جامعة الإسكندرية، (د ط)، (د ت).

57- أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تح: محمد فؤاد سزكين، الخابجي، بمصر، ط 1، 1374هـ ـ 1954م.

58- علي التواب علي، وصلاح رمضان السيد، الأدب اللاتيني في عصري الجمهورية وصدر الإمبراطورية، قراءة في الأجناس الأدبية، (د د)، (د ط)، 2006م.

59- فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، دار الفرقان، ط10، 2005م.

60- القاسم الحسن بن بشر الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط4، (دت).

61- قدامة بن جعفر، نقد النثر، تحقيق طه حسين، دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ط 15، 1351هـ- 1933م.

62- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، كورنيش النيل–القاهرة،(د ت)، ط3،الجزء5.

63- مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر المعاصر، قطر،(د ط)،2014م.

64- المبرد محمد بن يزيد، البلاغة، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الريفية، القاهرة، ط2، 1405هـ-1985م.

65- أبو المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، بالجماميزت، (د ط)، (د ت).

66- محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز، دار اليقين المنصورة–مصر، ط2،1434هـ- 2013م.

67- محمد أبو شارب، المدخل لدراسة اللغة العربية، دار الوفاء لدينا، القاهرة، ط1، 2007م.

68- محمد أبو موسى، البلاغة في تفسير الزمخشري، دار الفكر العربي، (دط)، (دت).

69- محمد أبو موسى، خصائص التركيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4،1416هـ- 1996م.

70- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار أفريقيا الشرق، بيروت ـ لبنان،(د ط)، 1999م.

71- محمد الولي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ط1،1990م.

72- محمد بركات حمدي أبو علي، معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، عمان- الأردن، ط1، 1405هـ -1984م.

73- محمد خلف الله، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، دار لجنة التأليف والترجمة، (د ط)،1366هـ -1947م.

74- محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، تقديم: محمد خلف الله أحمد، مكتبة الشباب بالمنيرة، ط1، (دت).

75- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، 1979م.

76- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، لونجمان، ط1، 1994م.

77- محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية- لونجمان، القاهرة، ط1، 1995م.

78- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، (دط)، 1997م.

79- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، (دط)، أكتوبر 1990م.

80- محمد سمير نجيب اللّبْدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة دار الفرقان، الأردن، ط1، 1405هـ. 1985م.

81- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، منهج البحث في الأدب واللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة (دط)،أبريل 1996م.

82- محمد مندور، في الميزان الجديد، الناشر مؤسسة هنداوي، ط4، 2020م.

83- محمد مندور، في الميزان الجديد، نشر وتوزيع بن عبد الله، تونس، ط1، 1988م.

84- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت (دط) ، (دت).

85- محمود كريم الكواز، البلاغة والنقد - المصطلح والنشأة والتحديد الانتشار العربي- بيروت- لبنان، ط1، 2006م.

86- المرزوقي أبو علي ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام، تعليق وتحشية: غريد الشيخ، وضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ -2003م، الجزء4.

87- مصطفى إبراهيم، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (دط)،2012م.

88- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، القاهرة، ط1، 1997م.

89- ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير، دار بيروت، (د ط)، 1397هـ-1977م.

90- منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منشأة المعارف بالإسكندرية جلال حزي، مصر، (د ط)، (د ت).

91- ميخائيل نعيمة، الغربال، دار نوفل، بيروت- لبنان، ط1991،15م.

92- الميداني، مجمع الأمثال، مكتبة مشكاة الإسلام، (د ط)، (د ت)،ج1.

93- نصر حامد أبو زيد، اشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014م.

94- أبو هلال العسكري، الصناعتين تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، (د ت).

95- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط 2، 1989م.

96- وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق-سوريا،ط1403،1هـ-1983م.

سادسا: الرسائل

1- إبراهيم بن المدبر، الرسالة العذراء، تقديم: زكي مبارك، مطبعة الكتب المصرية بالقاهرة، ط1، 1350هـ- 1931م.

2- الرسائل الأدبية، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل للطباعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ مصر، الجمهورية المصرية العربية، (د ت)،ج 1.

3- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976 م.

4- ابن المعتز أبو العباس عبدالله، كتاب البديع، شرحه وحققه ؛عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، بيروت، ط1، 2012م.

سابعا: دواوين

1- ديوان البحتري، دار المعارف، مصر،(د ط)، 2009م.

2- ديوان الصمة بن عبد الله القشيري، تحقيق: خالد عبد الرؤوف الخير، دار المناهج عمان، الأردن، (دط)، 2003.

3- ديوان امرئ القيس، شرح: عبد الرحمن المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط2، 1425هـ . 2004م.

4- ديوان عمرو بن كلثوم، إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1411هـ .1991م.

ثامنا: المعاجم اللغوية

1- أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (د ط)، (د ت)، المجلد1.

2- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، (دط)، 1339هـ -1979م.

3- البستاني، دائرة المعارف، دار الفكر، بيروت، ط1، ج6.

4- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 2004.

5- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ترتيب ومراجعة: داود سلوم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2004م.

6- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم العربية، مكتبة لبنان، (د ط)، (د ت).

7- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، (دط)، 1429هـ -2008م.

8- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمود مسعود أحمد، المكتبة العصرية، بيروت . لبنان، ط1، 1430هـ ـ 2009م، مجلد3، الجزء3.

9- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: ياسر سليمان أبو شادي ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة . مصر، (د ط)، (د ت)، مجلد7، الجزء7.

تاسعا: كتب التراجم

1- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مؤسسة التاريخ العربي، (د ط)، (د ت).

2- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان، (د ط)، 1951م، مجلد1.

3- الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة، (دط)، (دت)، الجزء 5.

4- الأنباري أبو البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن، ط3، 1405 هـ-1985م.

5- الأنباري أبو البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي مدينة نصر، القاهرة، (د ط)، 1418هـ-1998م.

6- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تعليق: محمد شرف الدين بالتقايا ورفعت بيك الكلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان، (دط)، (دت)، مجلد:1.

7- الحموي شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر -بيروت، 1397هـ-1977م، المجلد1.

8- الحنبلي ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة-بيروت، ط2، 1399هـ-1979م.

9- الحنبلي ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب المصرية، مكتبة القدسي، (دط)، 1351هـ، الجزء3.

10- الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق وضبط :أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1405هـ-1985م،الجزء2.

11- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية في لبنان، (د ط)، 2004م،ج 1.

12- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط11، 1417هـ-1996م، الجزء18.

13-الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم، دار العلم للملايين بيروت-لبنان، ط7، 1976م،222/8.

14-السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد إسحاق، دار إحياء الكتب العربية، (دط)،(دت)، الجزء 5.

15-السهمي، تاريخ جرجان، مراقبة: محمد عبد المعيد خان، مدير دائرة المعارف العثمانية، عالم الكتب، ط4، 1407هـ-1987م.

16-السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1، 1384هـ - 1964م، المجلد2.

17-عبد الباقي اليماني، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق: عبد المجيد دياب، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1406هـ-1986م.

18-علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، دمية القصر وعمرة أهل العصر، تحقيق ودراسة: محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1414هـ-1993م، الجزء1.

19-الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2000م.

20-القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1406هـ-1986م، الجزء 2.

21-الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة بمصر، (د ط)، (د ت)، الجزء 1.

22-اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1417هـ - 1997م،الجزء 3.

23-ياقوت الحموي الرّومي، معجم الأدباء، تح: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1993م.

عاشرا: الرسائل العلمية الأكاديمية:

1-أحمد عاطف محمد كلاب، منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني، في عرضه المسائل النحوية- دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 1434 هـ - 2013م.

2- أحمد مداح، التنظير البلاغي عند ابن قتيبة، مذكرة الماجستير، قسم العربية وآدابها، جامعة وهران،2011م-2012م.

3- إسماعيل السويقات، نظرية النظم وتطبيقاتها في تفسير الكشاف الزمخشري، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2010م-2011م.

4- أم الخير بن الصديق، النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقاتها، مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،30 افريل2007م، نقلا عن: أثر النحاة في البحث البلاغي عبد القادر حسين.

5- ثقبايث حامدة، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، الجزء 1.

6- جهيدة عبدات وأمال ساسي، المصطلحات البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبين ج1، مذكرة ماستر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البويرة، 2016م_2017م.

7- الدوادي بريكة ومحمد زغمار، التناسب بين الألفاظ والمعاني في معلقة لبيد بن ربيعة العامري، مذكرة ماستر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري قسنطينة، ماي 2011م.

8- زهرة عز الدين، جماليات الصورة ومقتضيات النظم عند عبد القاهر الجرجاني، رسالة دكتوراه، جامعة بوزيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2015م.

9- سليمة بوقودي، ليثماس عمريو، أثر نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني في الدراسات اللغوية العربية من خلال كتابه دلائل الإعجاز، مذكرة ماستر جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، 2017م-2018م.

10- سمية إبرير، مفاهيم لسانيات وتحليل الخطاب في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني " دراسة في ضوء علم المصطلح " رسالة ماجستير، جامعة باجي مختار، عنابة،2010-2011م.

11- عبد الستار حسين مبروك زموط، كتاب التبيان في البيان للإمام الطيبي، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1397هـ- 1977م، الجزء2.

12- عبود خليفة، علاقة الدرس النحوي بالدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، مذكرة ماستر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر22-5-2019م.

13- نجاح أحمد عبد الكريم الظهار، الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1408هـ . 1988م.

14-نورة فلوس، بيانات، الشعرية العربية من خلال مقدمات المصادر التراثية، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري تيزي وزي، 2012م.

الحادي عشر: المجلات والدوريات

1- إبتسام أحمد حمدان، أسس نحوية ولغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة دراسات اللغة العربية و آدابها، فصلية محكمة، العدد3، 2010م.

2-إلهام السوسي العبد اللوي، العناصر البلاغية والنقدية في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (79)، الجزء3.

3-جهاد النصيرات، الرسالة الشافية (في إعجاز القرآن) لعبد القاهر للجرجاني- تحليل ونقد- المجلة الأردنية في الدارسات الإسلامية، وزارة التعليم العالي،2015م.

4-حميد قبايل، نظرية النظم عند القاهر الجرجاني، مجلة الاثر ، جامعة عباس لغرور خنشلة، الجزائر، العدد 29، ديسمبر 2017م.

5-خلادي محمد الأمين، (خصيصات الدرس البلاغي ومؤثلاته بعد الإمام عبد القاهر الجرجاني – بصمات الأئمة الزمخشري،والفخر الرازي، والسكاكي أنموذجا)،مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن جامعة أدرار –الجزائر،العدد:22، (د ط)،2012م.

6-سامي عوض، النظم من سيبويه إلى الجرجاني، سلسلة الآداب والعلوم، جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، العدد:17، 2002م، المجلد24.

7-شوقي ضيف، وحدة التراث، فصول مجلة النقد الأدبي-مشكلات التراث- مجلة تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة التراثية، العدد: الأول، أكتوبر 1980م،المجلد01.

8-الصغير عبيد، نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني ونقاط التقاؤها مع مقولات النقد الغربي الحديث، مقال، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر.

9-عباس محمد وآخرون، متون، مجلة دورية محكمة يصدرها معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي، مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر، العدد:01، جانفي 2008م.

10-عبد السلام غجاتي، القراءات القرآنية والدرس اللغوي العربي، جهود أبي عمرو بن العلاء ويعقوب بن أبي إسحاق الخضرمي، مجلة علمية لغوية متخصصة ومحكمة تصدر عن مختبر، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد1431،06هـ-2010م.

11-محمد الحبيب بشاري، الحياة الأدبية الرومانية، ومساهمة الأفارقة في إنعاشها، مجلة عصور، مجلة علمية محكمة علوم إنسانية تاريخ وحضارة، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم) ، جامعة وهران الجزائر، العدد 20، جانفي -جوان 2013م.

12-محمد حسن مصطفى، فكرة النظم بين الحقيقة والوهم، مجلة كلية التربية الأساسية، المؤتمر العلمي، جامعة الموصل، العراق، العدد:1، 23-24ايار2007م، مجلد6.

الثاني عشر: المواقع الإلكترونية

1-جهاد النصيرات، رسالة الشافية في إعجاز القرآن لعبد القاهر الجرجاني، تحليل ونقد، PDF http://academic.ju.edu.jo/j.nusairat/Lists/PublishedResearches/DispForm.aspx?ID=

2-محمد عبد المنعم خريبة، (17\02\1434هـ، 31\12\2012م)، دراسة تاريخية عن الإعجاز البلاغي للقرآن، https://www.alukah.net 12: 00 ، 24\4\2021م.

3-نظرية النظم عند الجرجاني: معناها ومبناها

https://www.inst.at24\04\07:00،2021.

الفهرس:

مقدمة	أ–و
المدخل: البلاغة عند الأمم الأخرى السابقة للعرب	7
الهنود	8
اليونان	10
الرومان	15
الفرس	18
الفصل الأول: ترجمة مختصرة للإمام عبد القاهر الجرجاني	21
المولد والنشأة	22
التعلم والتعليم	30
التأليف اللغوي عند الإمام عبد القاهر الجرجاني	36
أقوال العلماء في الإمام عبد القاهر الجرجاني	43
ظروف وفاته	47
الفصل الثاني: البلاغة العربية قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني	49
البلاغة وحدود المصطلح	50
أسباب نشأة البلاغة العربية وظهورها	58
مباحث علم البلاغة وقضاياه	62
بدايات التأليف البلاغي العربي	73
الفصل الثالث: البلاغة العربية في عصر الإمام عبد القاهر الجرجاني	87
فكرة النظم والتوطئة لظهور النظرية	88
دواعي ظهور نظرية النظم الجرجانية	99
نظرية النظم ونقاط التحول في الدرس البلاغي الجديد	109
تطبيقات نظرية النظم	128
الفصل الرابع: البلاغة العربية في بعد الإمام عبد القاهر الجرجاني	147
صدى نظرية النظم في التآليف اللاحقة	148

خصوبة نظرية النظم وفاعليتها في اتصال النقد باللغة	163
نقد نظرية النظم	181
الخاتمة	200
ملاحق	203
قائمة المصادر والمراجع	207